أعلاق أندلسية
إشبيلية (٤)

سلسلة مؤلفات الإمام
أبي بكر ابن العربي (٤)

سراج المريدين في سبيل الدين

لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات
الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية
وهو القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير

إملاء
إمام الأئمة وزين الملة الفقيه الحافظ النظار
أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإشبيلي
المتوفى سنة ٥٤٣ هـ

ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله
الدكتور عبد الله التوراتي

السفر الرابع

دار الحديث الكتانية

سِرَاجُ المُرِيدِينَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ



دار الحديث الكتانية

المملكة المغربية ، طنجة - شارع لبنان -إقامة يامنة- الطابق الثالث رقم ٤٧
هاتف ٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧
الجمهورية اللبنانية ، بيروت - شارع برج أبي حيدر - ص.ب ٥٥٥٦-١٤ بيروت
هاتف ٠٠٩٦١-١-٨٤١٦٣٦/٠٠٩٦١-٣-٢٨٧٨١٩
e-mail. dar.alkatani@gmail.com

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة واختصار أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً
أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته
على إسطوانات ضوئية إلاّ بموافقة الناشر خطيًّا

الكتاب : سراج المريدين في سبيل الدين لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية

المؤلف : الإمام الحافظ أبو بكر ابن العربي المعافري

تحقيق: الدكتور عبد الله التوراتي

الطبعة : الأولى ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء الدار

تطلب منشوراتنا من

المغرب: دار الأمان - الرباط - زنقة المأمونية
هاتف : ٠٠٢١٢٥٣٧٧٢٦٣٧٨٧

الأردن : دار مسك - عمان - العبدلي
هاتف : ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠

تركيا : دار الشامي - استانبول - بايزيد
هاتف : ٠٠٩٠٢١٢٥٢٦٠٥٤٦-٠٠٩٠٥٤٢٣٣٢٣١٥٧

القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر - ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي
هاتف : ٠٠٢٠٢٢٥٩٣٢٨٢٠



الطَّبِيبُ[(١)]: وهو الاسمُ الخامس والثمانون[(٢)]

وهو الذي يَعْرِفُ الطبَّ؛ وهو: العِلْمُ بالشيء الخَفِيِّ الذي لا يبدو إلَّا بعد معاناة؛ بفِكْرٍ صَافٍ، ونَظَرٍ وَافٍ[(٣)].

وهو بالحقيقة والكمال للباري، ويُسَمَّى به العبد.

ولمَّا وَلِيَ أبو الدرداء القضاء كتب إليه سلمان يقول له: «بلغني أنك جُعلت طبيبًا تُداوي الناس، فاحذر أن تكون مُتَطَبِّبًا فتُهلكهم، فكان إذا جلس إليه الخصمان فسمع كلامهما وحَكَمَ بينهما ثم وَلَّيَا يقول: ارجعَا، أَعِيدَا عليَّ أمركمَا، مُتَطَبِّبٌ، والله»[(٤)].

ويتداخل مع «الرفيق»؛ في أن التوصل إلى معرفة الخفي إنما يكون بإمهال النظر، وحسن الترتيب في المقدمات المُوصِلَةِ إلى العلم المطلوب، وإنما نفى عنه النبيُّ ﷺ الطِبَّ لأنهم أطلقوه في استعمالهم على عِلْمٍ يرفع الجهل، ودواء يرفع الداء، فكانوا يعتقدون ذلك منسوبًا إلى الأدوية،

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثالث والثمانون، وفي (ص): الحادي والثمانون، وفي (ب): الموفي ثمانين.

(٣) ينظر: الأمد الأقصى – بتحقيقنا –: (٣٤/٢).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب القضاء، جامع القضاء وكراهيته، (١٨١/٢)، رقم: (٢٢٣٥–المجلس العلمي الأعلى).

ويظنون أنهم إذا وَضَعُوا دواءً واستُعمِل وذهب الداءُ؛ أن ذهاب الداء منسوب إلى ذلك الدواء[١]، فنبَّههم النبيُّ ﷺ على أن الطبيب - أي: المُزِيل للداء - عند استعمال الدواء هو الله، لا الدواء، وقال له: «أنت رفيق»[٢]، أي: مُرَتِّبٌ لما يسَّره[٣] الله على يديك من القول والفعل بتُؤَدَةٍ، وترتيب مُتَّسِقٍ، ونَظْمٍ مستقيم، كل ذلك من فِعْلِ الله فيك ولك ومنك، وأنت وغيرك مَحَلٌّ لفِعْلِ الله.

٢ وفي الحديث: «الهَدْيُ والتؤدة وحُسْنُ السَّمْتِ جزء من خمسة وعشرين/ جزءًا من النبوة»[٤]، من كلام ابن عباس، وقد أُسند إلى النبي، والصحيح وَقْفُه. [٨٨/ب]

فأمَّا قوله: «الهَدْي»؛ فقد بيَّنَّا معنى تركيب «هـ د ي» في القول المتقدم من هذا الكتاب، وفي غيره من الأسماء والتوحيد والصفات[٥]، وهو ينطلق على معاني كثيرة[٦]؛

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٤٣٢-٤٣٣).

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ك): يسَّر.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا: كتاب الجامع، ما جاء في المتحابين في الله، (٢/٣٢٦)، رقم: (٢٦٩٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٨٢-١٨٣).

(٦) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٤)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/ ١٨٤).

منها: الدلالة على الشيء؛

ومنها: التيسير للشيء؛ بالتأييد له والتوفيق عليه[١].

والهادي هو الله، والنبيُّ هادٍ، فالله خالقُ الهُدى، والنبي داعٍ إليه ودليلٌ عليه، فسُمِّي به.

قال له[٢] سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٤٩]، أي: تدعو.

وقال له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، فبيَّن له في الآية الأولى حالَه التي لزمته من دعاء الخلق، وبيَّن له في الحالة الثانية حقيقة الحق؛ بأنَّ الله هو خالق الهُدَى، خالق القبول[٣].

ويقال: الهَدْي - بإسكان الدال - على معاني أيضًا، منها ما جاء في حديث ابن مسعود: «إن أحسن الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ»[٤]، وفي حديث آخر: «كُنَّا ننظر[٥] إلى هَدْيِه ودَلِّه»[٦].

وثَبَتَ عن حُذَيفة صاحب النبي ﷺ أنه قال: «كان أقرب الناس هَدْيًا ودَلًّا وسَمْتًا برسول الله ابنُ مسعود، حتى يتوارى منَّا في بيته،

---

(١) ينظر: الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/١٣٥)، والمتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٥).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الله.

(٣) ينظر: كتاب الغريبين: (٦/١٩٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٧٢٧٧-طوق).

(٥) في (د): ننتظر.

(٦) أخرجه أبو عُبَيد في غريب الحديث: (٤/٢٧٤).

ولقد عَلِمَ المحفوظون من أصحاب مُحَمَّدٍ أنَّ ابنَ أُمٍّ عبد هو أقربهم إلى الله زُلْفَى»[١].

وفي الصحيح[٢] - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحدًا[٣] منكم عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلَّا أن يتغمدني الله برحمته، سَدِّدُوا وقاربوا، واغدوا ورُوحوا، وشيءٌ من الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ»[٤].

وروي: «اهتدوا بهَدْي عمَّار»[٥]، ولم يَقْوَ[٦].

ونَصُّ الحديث المتقدم: «القَصْدُ والتُّؤَدَةُ وحُسْنُ السَّمْتِ جُزْءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»[٧].

وقد رُوي فيه: «السَّمْتُ الصالح والهَدْيُ الصالح والاقتصاد جُزْءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»[٨].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم: (٣٨٠٧-بشار).

(٢) في (د): «وفي الصحيح عن النبي واللفظ للبخاري عن أبي هريرة واللفظ للبخاري قال: قال رسول الله»، وفي (ب): «وفي الصحيح: قال رسول الله».

(٣) في (د): أحدٌ.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم: (٣٨٠٥-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى.

(٦) في (ص): يُعْزَ.

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: كتاب الأدب، باب في الوقار، رقم: (٤٧٧٦-شعيب).

وقد روى عبد الجبَّار بن سعيد المُسَاحِقِي[1] قال: سمعتُ مالك بن أنس يقول: قال ابن عباس: «حُسْنُ السَّمْتِ والتؤدة ونقاء الثوب وإظهار المروءة جُزْءٌ من بضعة وأربعين جزءًا من النبوة»[2].

فهذه خمسة أسماء: «الهَدْيُ»، «الدَّلُّ»، «السَّمْتُ»، «القَصْدُ»، «التُّؤَدَةُ»؛ تتمة تِسْعِينَ[3] اسمًا.

* * * * *

---

(١) في (ك): المسافقي، وفي (د) كلمة غير واضحة.

(٢) الاستذكار: (١١٥/٢٧).

(٣) في (ك): تسعة وثمانين، وفي (ص): ثمانية وثمانين، وسقطت من (ب).

[الهَدْيُ: وهو الاسم السَّادس والثمانون]

فبناءُ[١] «هـ د ي» يتصرَّف على معاني؛ منها: ما جاء في الأحاديث التي تلوناها آنِفًا، كقول ابن مسعود: «إنِ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ»[٢]. ٢

[٨٩/أ] قال المفسرون: «أراد الطريق»[٣]/.

وقوله: «كُنَّا ننظر في هَدْيِهِ ودَلِّه»؛ أي: «طريقته[٤] وهيئته[٥]»[٦].

يقال: حَسَنُ الهَدْي، أي: «حَسَنُ المذهب»[٧].

وقالوا: «الهَدْيُ: السِّيرَةُ»[٨].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فأما الهدي فبناءُ، وفي طرة بـ (د): فأمَّا الهدي يتصرف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) كتاب الغريبين: (٦/١٩٢٢)، وأصله في غريب الحديث لأبي عبيد: (٤/٢٧٥).

(٤) في (ك): طريقه.

(٥) في (ك): هيئة.

(٦) كتاب الغريبين: (٦/١٩٢٢).

(٧) كتاب الغريبين: (٦/١٩٢٢).

(٨) كتاب الغريبين: (٦/١٩٢٢).

[الدَّلُّ: وهو الاسم السَّابع والثمانون]

وأمَّا الدَّلُّ؛ فقالوا: «إنه قريب من الهَدْيِ، وهُمَا من السكينة والوقار»[١].

وقالوا: دَلُّ المرأة: حُسْنُ حديثها وهيئتها.

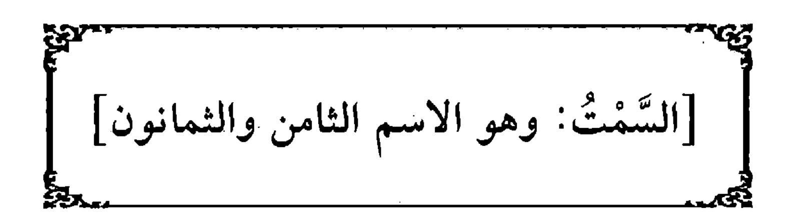
والدَّلَالُ: الجَراءة[٢] في تَغَنُّجٍ وتَشَكُّلٍ.

ومنه: الإِدْلَالُ.

* * * * *

(١) غريب الحديث لأبي عبيد: (٤/٢٧٥).

(٢) في (ك): الجرأة.



[السَّمْتُ: وهو الاسم الثامن والثمانون]

وأمَّا السَّمْتُ؛ فحُسْنُ الهيئة، وذلك يكون في معنيين:

أحدهما: حُسْنُ المَنْظَرَةِ[١] والهيئة في الدين، وليس بالجَمال؛ وذلك بأن يكون له هيئة أهل الإسلام[٢].

* * * * *

---

(١) في (ص): النضرة.

(٢) كتاب الغريبين: (٣/٩٢٦)، وأصله في غريب الحديث لأبي عبيد: (٤/٢٧٥).

[القَصْدُ: وهو الاسم التاسع والثمانون]

[الثاني]: وسَمْتُ الطريق: «قَصْدُه»[١]، انتهى كلامهم[٢].

قال الإمام الحافظ[٣] رضي الله عنه: قد تكون الأبنية في تأليف الحروف مختلفة والمعاني متفقة، وقد تكون الأبنية متفقة والمعاني مختلفة، وبهذا[٤] تميَّزت العربية عن سائر الألسن في الفصاحة.

فأمَّا الهَدْيُ؛ فيرجع إلى أحد معاني الهُدَى الثمانية[٥]؛ وهو الاستقامة على الطريق، كما قال سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص:٢١]، توجَّه ﷺ[٦] بنفسه تِلْقَاءَ مَدْيَنَ من غير قَصْدٍ إلى مَدْيَنَ أو غيره، بل خرج على الفُتُوحِ، وتوجَّه بقلبه إلى ربه؛ ينتظر إلى أن يهديه ربه إلى النحو الذي هو خَيْرٌ له، فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهو

---

(١) كتاب الغريبين: (٩٢٦/٣)، وأصله في غريب الحديث لأبي عبيد: (٢٧٥/٤).

(٢) في (ص): انتهى الكلام، وسقطت من (ب).

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بهذا.

(٥) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٥٣-٤٥٤).

(٦) في (ك): صلى الله عليه.

الذي سَأَلَتِ الفِتْيَةُ[١] الكَهْفِيَّةُ والفِئَةُ[٢] الصَّالِحِيَّةُ بقولها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنَ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ [الكهف:١٠]، وكذلك قال الحبيبُ الأوَّل والخليلُ الأكمل: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، على ما بيَّنَّاه من قَبْلُ.

فأمَّا خَاتِمُ الرُّسُلِ وناسخُ المِلَلِ والسَّابِقُ للأَوَاخِرِ والأُوَلِ؛ فإنَّ الله ابتدأَهُ بالنعمة، وأَلْحَفَهُ[٣] بالحُرْمَةِ، فقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧]، وقد ذَكَرَ النَّاسُ فيها أقوالًا كثيرة، بيَّنَّاها في «أنوار الفجر»، الأَصْلُ منها خمسة عشر قَوْلًا:

الأَوَّل: ناسيًا للرسالة فأعطاكها[٤]، كما قال: ﴿فِي كِتَٰبٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾ [طه:٥١]، وقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَيٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨١]، أي: تنسى.

الثاني: ضَالًّا عن الهجرة[٥].

الثالث: ضالًّا بين مكة والمدينة، فهداك إليها.

الرابع: في قوم ضُلَّالٍ، فهداك بينهم[٦].

الخامس: حيران عن النبوة، فعرَّفك بها[٧]./ ٢ [٨٩/ب]

---

(١) في (ك): الفئة.

(٢) سقطت من (د) و(ب).

(٣) في (ك): ألحقه.

(٤) الكشف والبيان: (١٠/٢٢٨).

(٥) النكت والعيون: (٦/٢٩٤).

(٦) تفسير الطبري: (٢٤/٤٨٩-التركي)، ولطائف الإشارات: (٣/٧٤١)، والكشف والبيان: (١٠/٢٢٦).

(٧) الكشف والبيان: (١٠/٢٢٦)، والهداية: (١٢/٨٣٢٦).

السَّادس: ضالًّا عن الفرائض، فهداك لتفاصيلها[١].

السَّابع: ضالًّا عن معرفة كيفية هداية قومك، فعرَّفك كيف تهديهم.

الثَّامن: مُحِبًّا في هدايتهم، فيسَّرها لك[٢].

التَّاسع: ضالًّا في شِعَابِ مكَّة، فهدى إليك عمَّك أبا طالب في حال صباك[٣].

العاشر: مُتَحَيِّرًا فينا، فهديناك إلينا[٤].

الحادي عشر: ضالًّا عن الاستثناء، فهديناك إليه[٥].

الثاني عشر: ضالًّا في محبتنا، فنوَّرنا قلبك بها[٦].

الثالث عشر: ضالًّا عن محبتنا لحُرْمَتِك[٧]، فعرَّفناك بها[٨].

الرابع عشر: ضالًّا عن مِقْدَارِ شرفك، فعرَّفناك درجتك[٩].

الخامس عشر: مُسْتَتِرًا في أهل مكة، فأظهرناك[١٠].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٢) النكت والعيون: (٦/٢٩٤).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٥) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١)، وفيه: الاستنشاء، وهو تصحيف.

(٦) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): نحن فيك.

(٨) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(٩) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

(١٠) لطائف الإشارات: (٣/٧٤١).

قال الإمام الحافظ[1]: قد بيَّنَّا في كتاب «المُشْكِلَيْنِ»[2] حال الأنبياء، وأنهم لا يَكْفُرُونَ بالله في حال؛ لا قبل النبوة ولا بعدها، ولكنهم تأتيهم الرسالة وهم لا يعلمونها[3]، فتَرِدُ على قلوب سليمة، وتطَّرد على مناهج مستقيمة، قال الله في مُحَمَّدٍ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنَ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٤٩].

قيل: هو المخاطب، والمراد الأمة.

وقيل: المراد به: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ لولا الرسالة، ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لولا الهداية.

فلم يكونوا يعرفون الإيمان، ولا كانوا يكفرون، وإنَّما كانت قلوبهم مخلوقة على الفطرة، سليمة من الباطل والبدعة، فعلَّمها الله الفضائل كما علَّم جميع الخلق المنافع، بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]، فكُلُّ ما لم يكن به عالمًا ثم عَلِمَه كان داخلًا في الآية.

وإنَّما بقي[4] وَجْهُ التعلق من قولك: ﴿ضَآلًّا﴾، والضَّلَالُ على قسمين:

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام القاضي رضي الله عنه.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٧٠).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): يعلمون بها.

(٤) سقط من (ك).

ضلال بمعنى عدم المعرفة؛

وضلال بمعنى اعتقاد الباطل والبدعة؛

وهذا القِسْمُ نَزَّه الله رُسُلَه عنه، وخَلَقَهم على صفة الآدمية[1] لا يعلمون شيئًا، ثم عَلَّمهم ما لم يُعَلِّمْهُ أحدًا من الخلق، كما قال لنَبِيِّهِ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:١١٢].

٢ [٩٠/أ] فثبت[2]/أن الهَدْيَ عبارةٌ عن كل حالة جرت على الهُدَى، وكل صفة لم تخرج عن الاستقامة.

وأمَّا الدَّلُّ؛ فهو كلُّ هيئة حسنة في وجه، فيرجع إلى الهَدي، وفي وَجْهٍ إلى التبسط في القول والفعل، وهو نَوْعٌ من الجُرْأَةِ.

وفي الحديث الصحيح: «أنَّ امرأة مخزومية سَرَقَتْ، فأمر النبي أن تُقْطَعَ، فتَحَزَّنَ الناس لذلك، وقالوا: من يُكَلِّمُ رسول الله؟ من يجترئ عليه إلَّا أسامة بن زيد، فكلَّمه، فذكر الحديث إلى قوله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها»[3].

وبالقول[4] الأوَّل ينتظمُ الحديث.

وأمَّا السَّمْتُ؛ فمعناه: أن يكون على وَجْهِ الحق والعدل في قَوْلِه، وفِعْلِه، وهيئته، وحَرَكَاتِه، وسَكَنَاتِه.

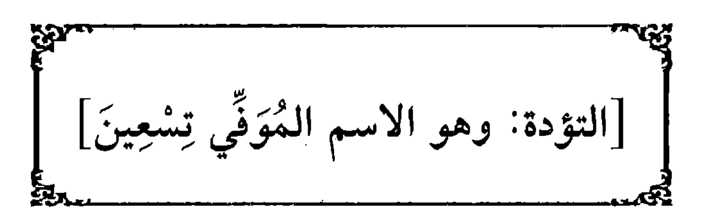
---

(١) في (د): الآدميين.

(٢) في (د): فنبَّه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب الأنبياء، بابٌ، رقم: (٣٤٧٥-طوق).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بالمعنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.



[التؤدة: وهو الاسم المُوَفِّي تِسْعِينَ]

وأمَّا التُّؤَدَةُ؛ فهي الرِّفْقُ والتَّأَنِّي، يقال: اتَّئِدْ، أي: ارفق.

وفي حديث عمر حيث اجتمع إليه العبَّاس وعلي وعثمان وعبد الرحمن بمحضر الصحابة في بيان تَرِكَةِ النبي، أنه قال لهم: «تَيْدَكُمْ»(١)، أي: ارفُقوا رِفْقَكم، والزمُوا(٢) سُكُونَكم وتَأَنِّيكُمْ، حتى أذكر ما عندي لكم، حسب المعلوم منكم واللَّائق بكم، وهو الأَنَاةُ بعينه.

ومن كلام سعد بن أبي وقاص - وربَّما أُسْنِدَ، ولم يصحَّ -: «الأَنَاةُ في كل شيء خَيْرٌ، إلَّا في أمر الآخرة»(٣)، وهو كلام صحيح.

ولمَّا تداخلت هذه الألفاظ وارتبط بعضُها ببعض ورجعت كلها إلى الصفات المحمودة؛ جَمَعَها من جمعها، وأفردها من أفردها، وبعضُها قَرِيبٌ(٤) من بعض كما سُقْنَاهُ عنهم، وكان ذِكْرُهم لذلك بحسب الحاجة إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، رقم: (٣٠٩٤-طوق).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أو الزموا.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في الرفق، رقم: (٤٨١٠- شعيب)، ولم يذكر فيه سعدًا، وأرسله عن الأعمش.

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب)، وهي في طرة بـ (د) غير واضحة، وإنَّما اجتهدت في قراءتها، والله أعلم.

البيان، والواحد منها يدل على الجميع، والتكرار يفيد التأكيد وزيادة البيان، وذلك فصاحة في اللِّسَانِ.

فإن قيل: فما وَجْهُ كونها من النبوة؟

قلنا: النبوة عبارة عن وجهين:

أحدهما: إبلاغُ الله كلامَه إلى العبد بواسطة المَلَكِ.

والثاني: ما هو عليه العبد المُبَلَّغُ ذلك من فضائل ومناقب.

فأمَّا إبلاغ الكلام بالواسطة من الملك فلا مطمع فيه.

وأمَّا خصالُ الكَرَمِ وفضائل الذات فالعبدُ مندوبٌ تارةً في بعضها، ومُلْزَمٌ أخرى فيما يلزم منها، وهذه الخصال الخمس التي ذكرناها هي من جملة أمَّهات/ الفضائل، والعبدُ مأمورٌ بها، كما أن الرؤيا جُزْءٌ من النبوة [٩٠/ب] على الوجه الذي بيَّنَّاه في موضعه[١].

فإذا احترز الإنسانُ عن المعاصي والتزم الفضائل كان على الهَدْيِ والقَصْدِ والسَّمْتِ، وكان «كَيِّسًا».

* * * * *

(١) المسالك: (٧/٥٠٤-٥٠٥)، وأحكام القرآن: (٣/١٠٧٣-١٠٧٤).

الكَيِّسُ[١]: وهو الاسمُ الحادي والتسعون[٢]

أخبرنا المُبارك بن عبد الجبَّار: أخبرنا ابنُ المُذْهِبِ: أخبرنا ابن حمدان: أخبرنا عبد الله: أخبرنا عباس بن الوليد النرسي ومحمد بن بكَّار جميعًا[٣]: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضَمْرَةَ بن حبيب، عن شدَّاد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله»[٤].

وفي «كتاب الترمذي»: «والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله[٥]»[٦].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): التاسع والثمانون، وفي (ص): الثاني والثمانون، وفي (ب): الحادي والثمانون.

(٣) قوله: «أخبرنا عباس بن الوليد النرسي ومحمد بن بكَّار جميعًا» سقط من (ك) و(ص) و(ب)، وفيها: أنا عبد الله: نا أبي: أنا علي بن إسحاق: أنا عبد الله: أنا أبو بكر بن أبي مريم.

(٤) الزهد للإمام عبد الله بن المبارك: (٢١٥/١)، وهذا إسناد الإمام ابن العربي إلى كتاب «الزهد» لابن المبارك.

(٥) في المنشور من جامع الترمذي (٢٤٧/٤-بشَّار): والعاجز.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥٩-بشار)، وقال: «حديث حسن».

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: «خَبِّرُونِي بأحمق الناس، قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال[١] لهم عمر: أَفَلَا أُنْبِئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، فقال: رَجُلٌ باع آخرته بدُنْيَا غيره»[٢].

ولَفْظُ[٣] الكَيْسِ في اللغة يَرِدُ[٤] على معاني[٥]، يَرِدُ بمعنى الجماع[٦]؛ كما ورد في الحديث أنَّ النبي قال لجابر: «إذا قَدِمْتَ فالكَيْسَ الكَيْسَ»[٧]، قالوا: معناه طلب الولد.

ويكون بمعنى العقل، كما تقدَّم في الحديث السَّابق أوَّلًا، وفي حديث جابر أيضًا في أوَّله، أنَّ النبي قال له: «أتراني إنَّما كِسْتُك لآخُذَ جَمَلَكَ؟»[٨]، أي: غلبتك[٩] بالكَيْسِ.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): قال.
(٢) حلية الأولياء: (٥/٣٢٥).
(٣) في (د) و(ص): معنى.
(٤) في (د): ترد.
(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/١٤٩-١٥٠).
(٦) ينظر: فتح الباري: (٩/٣٤٢).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب طلب الولد، رقم: (٥٢٤٥-طوق).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جازَ، رقم: (٢٧١٨-طوق)، ولفظه فيه: «ما كنتُ لآخذ جملك، فخذ جملك ذلك»، قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري:٥/٣١٧): «رواه علي بن عبد العزيز عن أبي نُعَيم شيخ البخاري فيه بلفظ: أتراني إنما ماكستك لآخذ جملك، أخرجه أبو نُعَيم في «المستخرج» عن الطبراني عنه»، وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم: (٧١٥-عبد الباقي).
(٩) في (د) و(ص): عليك.

تقول: كَاسَنِي[١] فُلَانٌ فكِسْتُه، أي: كنتُ أَكْيَسَ منه.

قال الإمام الحافظ[٢] ﷺ: بِنَاءُ[٣] «ك ي س» إنَّما هو مُفِيدٌ للعقل، والعلم، والمعرفة، والتَّفَطُّنِ، والحِذْقِ، كيفما تصرَّف، تقول: كاس في عمله لدنيا أو آخرة، يَكِيسُ كَيْسًا: حَذَقَ، وكَاسَ غيرَه: غلبه[٤] عند المحاذقة، وأكاسَ الإنسانُ: وَلَدَ وَلَدًا كَيِّسًا، وأَكْيَسَ أيضًا.

قال الشَّاعر:

فلو كُنتم لمُكْيِسَةٍ أَكَاسَتْ ... وكَيْسُ الأم أَكْيَسُ للبَنِينَا[٥]

وقال المُتَلَمِّسُ:

والظُّلْمُ يُنْكِرُه القَوْمُ المَكَايِيسُ[٦]

والحُمْقُ ضِدُّه، قالت امرأة:

لستُ أبالي أن أكون مُحْمِقَهْ ... إذا رأيتُ خُصْيَةً مُعَلَّقَهْ[٧]

---

(١) في (ص): كايسني.

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٣) في (ك): بناءُ كَيِّسٍ «ك ي س».

(٤) في (ك) و(ص): عَلِيَه.

(٥) البيت من الوافر نسبه في اللسان (ك ي س) لرافع بن هريم من جملة أبيات، وهي أيضا في البيان والتبين: (١/١٨٦).

(٦) البيت من البسيط، للمتلمس في ديوانه: (ص٨٠)، من قصيدة، وشطره الأول: شدوا الجمال بأكوار على عجل.

(٧) البيت من الرجز، وهو لبعض نساء العرب؛ في الصحاح، واللسان، والتاج، وغيرها: (ح م ق).

معناه: إذا ولدتُ رجلًا لا أبالي؛ كان أحمق أو كَيِّسًا.

وقد ظهر أنَّ الكَيْسَ/ هو العقل، وإنَّما سُمِّيَ الجماعُ به لأنه يُطلب به الأولادُ الأكياسُ، فسُمِّيَ باسم ما يؤول إليه، على ما بيَّنَّاه في أَحَدِ قِسْمَي المجاز. [٢/٩١أ]

ومن الكلام الصحيح: «كل شيء بقضاء وقَدَرٍ، حتى العجز والكيس»(١).

معناه: أن الرجل لا يتفطَّن للخير فيفعله أو يتركه إلَّا بقضاء وقَدَرٍ مكتوب ذلك عليه فيه، مُرَادٍ من الله ما نفذ منه(٢)؛ من فِعْلٍ أو تَرْكٍ، رَدًّا على المبتدعة؛ الذين يقولون: «إن الباري قد أراد الخير، والعبد قد تركه بإرادته، فكان ما أراد العبد، ولم يكن ما أراد الله»(٣)، تعالى عن قولهم.

فإذا عرفتم معنى الكَيْسِ عَرَبِيَّةً، ورَأَيْتُم ما رَوَيْتُم من قوله: «إن الكَيِّسَ من دان نفسه»(٤)، أي: مَلَكَها وخار لها(٥)، فلم يُصَرِّفْهَا إلا في طاعة مولاها، وقهرها عمَّا يضرها، وإذا فعل ذلك كان قد وفَّى العقل حقَّه، واستظهر لنفسه، واستحق الاسم، وإن عَدَلَ عن ذلك كان أحمقَ وعاجزًا، على الروايتين جميعًا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، رقم: (٢٦٥٥-عبد الباقي).

(٢) في (د): فيه.

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٩٩-٢٠٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (د): حار بها.

فأمَّا الحُمْقُ فينقصه من العقل بمقدار ما نقصه من النظر كله أو بعضه، وكذلك يكون في الفجور، ويَقْوَى على الخير ولا يضعف ولا يعجز[١].

من مأثور أبي هريرة عنه صلى الله عليه[٢]: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرص[٣] على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[٤].

[أفعالُ الكَيِّسِ]:

والضَّابِطُ لذلك فيه قرآنًا وسُنَّةً:

[الأوَّل]: أن لا تقول إلَّا خَيْرًا، فرحم الله من قال خيرًا فغنم، فمن مُرْسَلَاتِ الحسن بن أبي الحسن البَصْرِي: «رحم الله من قال خيرًا فغَنِمَ، أو سكت فسَلِمَ»[٥].

الثاني: ألَّا يعمل إلَّا لله، فإنَّما الأعمال بالنيَّات.

الثالث: ألَّا يكون له عَمَلٌ بنيَّة إلَّا بموافقة السُّنَّةِ.

الرابع: أن ينظر من عقيدته فيحفظها عن الشُّبَهِ، ويقينَه من الشكوك، وقلبَه من الوساوس، ونِحْلَتَه من البدع.

الخامس: أن يحفظ صلاته من الفواسد والعوارض، كما تقدَّم في اسم «المُصَلِّي»، فإعادته تطويل، والعهد بها قريب.

---

(١) في (ص): يفجر.

(٢) في (ص) و(ب): ﷺ.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): واحرص.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الشهاب في مسنده عن الحسن مرسلًا: (١/٣٣٨)، رقم: (٥٨١).

وقد رُوي عن عمر: «أنَّه خرج إلى حائط لـه ففاتته صـلاة العـصر فـي جماعة»، فتصدَّق بالحائط جَبْرًا لما فاته، كما تـصدَّق الأنـصاري بالحـائط لِـمَا فاته مـن التفاتـه إلـى الطـائر[١]، وكـذلك سـائر العبـادات والطاعـات، وتفصيلُه طويل، بيَّنَّاه في «أنوار الفجر»./

٢
[٩١/ب]

السَّادس: تَرْكُه ما لا يَعْنِيهِ.

السَّابع: أَخْذُه بالرِّبْحِ[٢] في جميع أحواله وأعماله، ومنها الخُرُوجُ من أرض الغلاء إلى أرض الرُّخْصِ، قال سفيان الثوري: «كُنْ في موضع تملأ فيه جِرَابَكَ خُبْزًا بدرهم[٣]»[٤].

الثامن: تقديمُ أمر الآخرة على أمر الدنيا، فمن الحكمة الأولى ما ذَكَرَ في «الزهد» أَحْمَدُ: «أنَّ النُّصْحَ لله أن يبدأ بحق الله قبل حق النـاس، وإذا عَرَضَ لـك أمران؛ أحدهما للآخرة والآخَرُ للدنيا، فابدأ بالآخرة؛ فإنَّ الخالص من العمل الذي لا تُحِبُّ أن يحمدك الناس عليه»[٥].

التاسع: أن يكون حَذِرًا من سوء الخاتمة، وإن كان على أَوْفَى طريقة؛ فإن القلوب بيد الله، والأمر لله، والعاقبة مجهولة إلَّا عند الله.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ص) و(د): الربح.

(٣) قوله: «قال سفيان الثوري: كن في موضع تملأ فيه جرابك خبزًا بدرهم» بيَّض له في (ك) و(ص).

(٤) قوت القلوب: (١٢٦٨/٣).

(٥) الزهد للإمام أحمد: (ص٧٣).

العاشر: الاجتهادُ آخِرَ العُمُرِ لمن فاته أوَّلُه، أو لمن لم يَفُتْه، فأمَّا من فَاتَهُ؛ فنِعْمَ النعمة الإلهام للاستدراك، وإن لم يكن مُقَصِّرًا في أَوَّلِ أمره فما أحسن اتساق الآخِرِ بالأَوَّل، وانتظامه معه واختتامه به[1]!

رُوِيَ أن أبا مسلم الخَوْلَانِي زاهد الأمة حيث كَبِرَ ورَقَّ؛ قال له قائل: «لو أقصرت عما تصنع؟ فقال: أرأيتم إذا أرسلتم الخيل في الحَلَبَةِ، ألستم تقولون لفارسها: ارفق، حتى إذا رأيتم الغاية تسابقتم؟ قالوا: بلى، قال: فإني قد رأيتُ الغاية»[2].

الحادي عشر: ألَّا تمر عليه لحظة هي لغير الله، فإنَّ عُمُرَه ساعاته وأوقاته على تفاصيلها معدودٌ عليه ذلك كله في النِّعَمِ[3]، مسؤول عنه ما صنع فيه.

الثاني عشر: ألَّا يصحب إلَّا من يكون على هذه الطريقة، يُروى في «الزهد»: «أن أبا مسلم الخولاني دخل المسجد فرأى قومًا قد اجتمعوا جلوسًا، فرجا أن يكونوا على خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قَدِمَ لي غلام، فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: وأنا قد جهَّزتُ غلامًا، فنظر إليهم فقال: سبحان الله، هل تدرون ما مَثَلِي ومَثَلَكم؟ كمَثَلِ رَجُلٍ أصابه مطر غزير وابل، فالتفتَ فإذا هو بمِصْرَاعَيْنِ عظيمين[4]، فقال: لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب عنِّي المطر، فدخل فإذا بَيْتٌ لا سقف فيه، جلستُ

---

(١) سقطت من (ص).

(٢) الزهد لابن المبارك: (٢/٨٥٩).

(٣) في (ك): النعيم.

(٤) في (د): عظيم.

إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير وعلى ذِكْرٍ، فإذا أنتم أصحاب دُنْيَا، فقام عنهم»[١].

٢ وقد روى الترمذي عن خارجة بن[٢] زيد بن ثابت قال: «دخل نَفَرٌ على زيد بن ثابت فقالوا له: حَدِّثْنَا أحاديث/ رسول الله ﷺ[٣]، قال: ماذا أُحَدِّثُكُمْ؟ كنتُ جَارَهُ، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته له، فكُنَّا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، بكُلِّ هذا أُحَدِّثُكُمْ عن رسول الله؟»[٤]، وهذا أصح. [٩٢/أ]

الثالث عشر: ألَّا يشغل باله في باب النظر لدنياه.

رُوي أن أبا حازم مرَّ بأبي جعفر المديني[٥]؛ وهو مكتئب حزين، فقال له: «ما لي أراك مكتئبًا حزينًا؟ وإن شئتَ أخبرتُك، قال: أخبرني ما وراءك[٦]، قال: ما وراءك[٧]؛ ذَكَرْتَ وَلَدَكَ من بعدك، قال: نعم، قال: فلا تفعل؛ فإن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضَّيْعَةَ، وإن كانوا لله أعداء فلا تُبَالِ ما لَقُوا بعدك»[٨].

---

(١) الزهد لابن المبارك: (٧٠٩/٢).

(٢) قوله: «خارجة بن سقط» من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) لم ترد في (ك).

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل: باب ما جاء في خُلُقِ رسول الله ﷺ، (ص٢١٥)، رقم: (٣٤١).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): المدني.

(٦) بعده في (ك) و(ب): الكلام على الخاطر.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): وراك.

(٨) حلية الأولياء: (٢٣٢/٣).

وإذا لَمَحَ اللَّبِيبُ الدنيا بنظر صحيح تحقَّق أن تأميلها خداع، ووَصْلَها انقطاع، والثقة بها غرور، والسكون إليها حماقة، ويَرَى أنه في غير شيء منها، فيعقد عزمه على التخلي عنها، ويعلم أنه قد كَشَفَ حالها من وَصَفَ مثالها، فقال[١]:

أقطعُ الدَّهْرَ بظَنٍّ حَسَنٍ ... وأُجَلِّي غَمْرَةً ما تنجلي

كلَّما أمَّلتُ يومًا صالحًا ... عَرَضَ المكروهُ لي في أَمَلِي

وأَرَى الأيَّامَ لا تُدْنِي الذي ... أَرْتَجِي منك وتُدْنِي أَجَلِي[٢]

الرابع عشر: ألَّا يطلب الدنيا بالدين، ولا يجعل ما علَّمه الله من فضله وَسِيلَةً إلى ما يزداد من دنياه، أو يَزْدَرِدُه من زهرتها.

قال ربيعة بن صالح: قال الزُّهْرِي لسليمان بن هشام: «ألَا تسأل أبا حازم عمَّا قال في العلماء؟ قال أبو حازم: وما عسى أن أقول في العلماء إلَّا خيرًا، إنِّي أدركتُ العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، ولم يستغن أَهْلُ الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلمَّا رأى ذلك هذا وأصحابه - يعني: الزهري - تعلَّمُوا العلم فلم يستغنوا به، واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلمَّا رأوا ذلك قذفوا بعلمهم إلى أهل الدنيا، ولم يُبَلِّغْهُمْ أَهْلُ الدنيا من دنياهم شيئًا، إن هذا وأصحابه ليسوا علماء، إنَّما هم رُوَاة»[٣]. /

٢ [٩٢/ب]

(١) الأبيات من الرمَل، وهي لمحمد بن أمية، في الأغاني: (١٧٠/١٢).

(٢) قوله: «وإذا لمح اللبيب .. أجلي» سقط من (ص).

(٣) حلية الأولياء: (٢٣٤/٣).

الخامس عشر: ألَّا يرى لنفسه قَدْرًا، فكيف حقًّا؟ فما هَلَكَ امرؤٌ عرف قَدْرَ نفسه، ولا ضلَّ من عَلِمَ حقَّ ربه عليه وعَدِمَ حقَّه هو عنده إلَّا بفضله[١]، وقد ضَلَّت الكفرة والمبتدعة عن هذه المسألة ضلالًا بَيِّنًا، فأمَّا ضلال الكفرة فله مثالان:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف:٣٢] إلى آخِرِ الآية، فهذا رَجُلٌ كَفَرَ بالله لأنه ادَّعى استحقاق النعمة، وهو[٢] جَهِلَ نفسَه ومنزلتها، وجهل ربَّه وما يجب له، ألَا تنظر إلى قوله: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾[٣]، كما قدَّمناه، فجهل الحقيقة الحِسِّيَّة، ثم قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، فجَهِلَ الحقيقة الدلالية الثابتة بواضح البراهين، ثم جاء بالطامَّة بعد الطامَّة بقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا﴾، فاعتقد استحقاقه على رَبِّه أن لو كان له مرجع إليه الإكرامَ؛ بأفضل من تَيْنِك الجنَّتين، مع جهله به وإنكاره مَعَادَه إليه.

المثال الثاني: قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٨-٧٩]، نزلت في العاص بن وائل، قال خبَّاب: «كنتُ قَيْنًا في الجاهلية بمكَّة، فعَمِلْتُ للعاصي بن وائل السَّهْمِي سيفًا، فاجتمعت لي عنده دراهم، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمُحَمَّدٍ، فقلت: لا، والله لا أكفر بمُحَمَّدٍ حتى

---

(١) في (ك) و(ص): يفضله، ومرَّضه في (د).

(٢) في (ب): ومن.

(٣) في النسخ: وما أظن.

يميتك الله ثم يبعثك، قال: وإني لمَيِّتٌ ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث، فسوف أُوتَى مالًا وولدًا فأقضيك، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الآيات»[1].

فاتخذه سُخْرِيًّا حين ذكر له البعث، وقال له: إني أُوتِيكَ في الدار التي تقول حقَّك من مالي هنالك من مَالٍ.

والكافرُ إنَّما قال ذلك الكلام لخبَّاب على معنى: أنه لو كان هنالك دارٌ[2] أخرى لكنتُ فيها بالمال والولد كما أنا في هذه، ولم تكن أنت على شيء ممَّا تعتقد في نفسك فيها، ولا أنا على حال ممَّا تخَوِّفُنِي بها، فردَّ الله عليه دعواه استحقاق المالكية[3] في الدار الآخرة، وقال: بأي/ شيء تذكر ذلك؛ باطِّلاع منك عليه، أو بعَهْدٍ نَفَذَ إليك من الله؟

٢
[٩٣/أ]

قال علماؤنا: وفي هذه الآية تَنْبِيهٌ على أنَّ عَهْدَ الله عند عبده بغفران ذنوبه ومضاعفة حسناته ورَفْعِ درجاته مُدْرَكٌ له ومُوَفًّى، فإنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعاد بقوله هاهنا، أكان له عند الله عَهْدٌ فيقع الوفاء به له[4]؟

وبهذا ضَلَّتِ المبتدعة، وهي[5] مثال الضَّلال بالبدعة الموعود به؛ فإنَّ القدرية تقول: «إنه واجب على الله عقلًا مُسْتَحِقٌّ عليه قطعًا مُجَازَاةُ المحسن بالإحسان، لا يصحُّ فيه أن يقال: أنعم به، ولا تفضَّل»، وقد بيَّنَّا جَهْلَهم فيه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿كهيعص﴾، رقم: (٤٧٣٢- طوق).

(٢) في (د) و(ك) و(ب): دارًا.

(٣) في (ص): المِلْكِيَّة.

(٤) لطائف الإشارات: (٤٤١/٢).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): هو.

وسخافاتهم في «كتب التوحيد»، ولو لم يكن من جهلهم إلَّا ما أوعبناه[1] في اسم «الشَّاكر»؛ من تَعْدِيدِ نِعَمِ الله التي واحدة منها تستغرق عمل العُمُرِ من العبد في فرض الشكر، وتبقى سائر النعم غير مقابلة بشُكْرٍ، فأين وجوب الجزاء على ما وقع من العبد من عمل؟ هل هذا إلا ضَلَالٌ مُضَلِّلٌ ونَسْجٌ[2] من الكلام مهلهل[3]؟

وكما تحتاج الأعمال الصالحات إلى الكَيْسِ[4]، كذلك تفتقر الأعمال المحظورة إلى مثلها عند تعارض البلاء فيها، فربَّما فات هنالك عِلْمُها.

روى النسائي عن عثمان قال: «اجتنبوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممَّن خلي قبلكم متعبد، فعَلِقَتْهُ امرأة غَوِيَّةٌ، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنَّا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطَفِقَتْ كلَّما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وَضِيَّةٍ، عندها غلام وبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فقالت له: إنِّي والله ما دعوتك للشهادة، ولكنِّي دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذه الخمر كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذه الخمر كأسًا، فسَقَتْهُ كأسًا، فقال: زيدوني، فلم يَرَلْ[5] حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها - والله - لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلَّا أوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه»[6]، وهذا حديث صحيح.

---

(١) في (ك) و(ص): أوعيناه.

(٢) في (ص): نسيج.

(٣) في (ص): مهلل، ومرَّضها، وفي الطرة: الظاهر: هلهل.

(٤) في (ص): الشكر.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يَرِمْ.

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب الأشربة، ذِكْرُ الآثام المتولدة عن شرب الخمر، رقم: (٥١٥٦-شعيب).

٢ فانظروا - رحمكم الله - كيف فاته وَجْهُ الترجيح ؛ في أنَّ مَعْصِيَةً تُزِيلُ العقل أشدُّ من معصية/ لا يزول معها ، وفي ذلك نَظَرٌ طويل يختلف [٩٣/ب] باختلاف المعاصي والحالات ، فلا يَنْفُذُ فيها إلَّا النِّحْرِيرُ ، وبهذه الصفات ونظائرها استحق أن يسمَّى «ثَقِفًا» «لَقِفًا[١]» .

* * * * *

(١) بعده في (ب): انتهى الجزء الثالث بحمد الله .

الثَّقِفُ اللَّقِفُ[١]: وهما[٢] الاسمُ الثاني والتِّسْعُون والثالث والتِّسْعُون[٣]

وقد ورد في الحديث الصحيح في هجرة النبي إلى المدينة في صفة عبد الله بن أبي بكر الصديق: «ويَبِيتُ معهما - يعني: في الغار- عبد الله بن أبي بكر، غلام لَقِفٌ لَقِنٌ، - وفي رواية: «ثَقِفٌ لَقِفٌ[٤]»[٥]-، ثم يصبح بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلَّا وعاه وأخبرهما به»[٦].

وقالت أُمُّ حَكِيمٍ عَمَّةُ النبي: «إني حَصَانٌ فما أُكَلَّم، وثَقَافٌ فما أُعَلَّم»[٧].

فاللَّقِنُ هو الذي يفهم ما يُلقى إليه، وهو اللَّقِفُ، أي: يتلقَّفه، يعني: يتلقَّاه. وقوله: «ثَقِفٌ»، يعني: يُثَقِّفُه بالوَعْيِ له والحِفْظِ في قلبه، فيُورِدُه

---

(١) سَقَطَا من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (د) و(ص) و(ب): وهو.

(٣) في (ك): التسعون والحادي والتسعون، وفي (ص): الثالث والثمانون، وفي (ب): الثاني والثمانون.

(٤) في طرة بـ (د): «غلام ثقف لقف، وفي رواية: ثقف لقن».

(٥) المشارق: (٣٦٢/١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﷺ: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم: (٣٩٠٥-طوق).

(٧) كتاب الغريبين: (٢٨٧/١).

بفَصِّه، وذلك من الكَيْسِ، وبه وَصَفَ أبو طلحة أَنَسَ بن مالك للنبي كما تقدَّم، وذلك بثبوت ذلك في قلبه، وانتقاشه في نفسه، ولا شيء أفضل من ثبوت المعرفة في النفس، وتحصيلها متقنة حاضرة، يُصَرِّفُها إذا احتاج، كما يُصَرِّفُ ماله المختزن عنده فيما يَعِنُّ له من حوائجه، فإذا طلبه فلم يجده والتمسه عند الحاجة إليه فلم يَحْضُرْهُ فليس بكَيْسٍ، ولا لَقِنٍ، ولا لَقِفٍ، ولا ثَقِفٍ.

وإذا ثبت له ذلك واستعمله وَقْتَ الحاجة إليه فهو «المُتَثَبِّتُ» على الإطلاق، وهو «الشُّجَاعُ» لثُبُوتِهِ[1] بالعلم عند المكاره خاصَّةً.

* * * * *

(١) في (ك) و(ب): ثبوته، وفي (ص): بشبوته.

المُتَثَبِّتُ والشُّجَاعُ[(١)]: وهما الاسمُ الرَّابع والتسعون والخامس والتسعون[(٢)]

وما وَرِثَ عبد الله بن أبي بكر ما كان فيه من تلك اليقظة إلَّا من بَحْرِ أبي بكر العَجَّاجِ في الجلالة، والخصال التي منها: الكَيْسُ، واللِّينُ[(٣)]، واللَّقَافَةُ، والثقافة، والتَّثَبُّتُ، والشَّجاعة؛

[المواطنُ التي ثبت فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه]:

وقد ظهر ذلك منه في حياة النبي، وأكثره بعد موته؛ لسعة علمه وقُوَّةِ قلبه، في سَبْعَةِ مواطن[(٤)]:

الموطن الأوَّل: لمَّا كان في غزوة الحُدَيْبِيَّة، لمَّا انقضى الصلح عن الكتاب المعروف فيه، على حسب ما شرطه الكفَّار، وقال عمر: «فأتيتُ النبي، فقلتُ: ألستَ نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت:/ ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في ديننا إذن؟ قال: إنِّي رسول الله، ولستُ أَعْصِيهِ، وهو ناصري، قلتُ: أَوَلَسْتَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا

٢ [٩٤/أ]

---

(١) سَقَطَا من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني والثالث والتسعون، وفي (ص): الرابع والخامس والثمانون، وفي (ب): الثالث والثمانون والرابع والثمانون.

(٣) سقطت من (ص).

(٤) ينظر: العارضة: (٩/١٧٤-١٧٩)، والمسالك: (٥/١٤٢-١٤٤).

أنَّا سنأتي البيت فنَطُوفُ به؟ قال: بلى، قال: فأَخْبَرْتُكَ أنَّا نأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنَّك آتِيهِ فمُطَوِّفٌ به، قال: فأَتَيْتُ أبا بكر فقلتُ له مِثْلَ ما قلتُ للنبي سواء[1]، وقال لي مثل ما قال النبي[2] سواء، قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالًا»[3]، يعني: صَلَّيْتُ وصمتُ وتصدَّقتُ؛ لما وقع في نفسه ممَّا أخبر عنه، وتَثَبَّتَ أبو بكر فيه تَثَبُّتَ النبي، حتى اتَّفق قوله معه فيه.

وذلك إنَّما يكون عن كثرة المعرفة، ونفاذ القريحة، واتِّقاد البصيرة، ومضاء العزيمة، وصِدْقِ الفراسة، وصحة الرأي، وثبوت الجأش، وشرح الصدر، وصفاء الإيمان، وسلامة القلب.

الموطن الثاني: مات رسول الله، ولم يُصَبِ المسلمون بأعظم من تلك المصيبة؛ فيها انقطعت الآمال، ومنها كان ابتداء تغير الأحوال، واضطربت الأمور، وتباين حال الجمهور، فأُخْرِسَ عثمان، واستخفى عليٌّ، وأَهْجَرَ عمر؛ وقال: «ما مات رسول الله، وإنما واعده الله كما واعد موسى، وليرجعنَّ رسول الله فليقطعنَّ أيدي أناس وأرجلهم، وكان أبو بكر غائبًا في ماله بالسُّنْحِ[4]، فجاء فدخل على النبي وهو مُسَجًّى، فكشف

---

(١) سقط من (ك).

(٢) قوله: «وقال لي مثل ما قال النبي» سقط من (ب)، وفي (ص): فرد عليه أبو بكر كما رد عليه النبي سواء.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) السُّنْحُ: موضع قرب مدينة رسول الله عليه السَّلام، فيه منازل بني الحارث بن الخزرج من الأنصار، وكان به مسكن أبي بكر الصديق، وكانت له فيه زوجة من بني الحارث، وهي حبيبة أو مُلَيكة بنت خارجة، وكان عندها يوم وفاة النبي ﷺ، ينظر: تاج العروس: (٦/٤٨٧).

الثوب عن وجهه وقبّله، وقال: بأبي أنت وأمّي، طِبْتَ حيًّا وميِّتًا، والله لا يجمع الله عليك الموتتين أبدًا، أمَّا الموتة الأولى التي كُتِبَتْ عليك فقد نِلْتَها، وخرج فجاء إلى[1] المسجد والناس فيه، فصعد المنبر وخطب، فقال: أمّا بعد؛ أيها الناس، فمن كان يعبد مُحَمَّدًا فإن مُحَمَّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]، فخرج الناسُ يتلونها في سِكَكِ المدينة؛ كأنها لم تَنْزِلْ إلَّا ذلك اليوم»[2]/.

٢
[٩٤/ب]

الموطن الثالث: اختلف الناس في دَفْنِه، فقال أبو بكر: «سمعته يقول: ما دُفِنَ نبيٌّ قطُّ إلَّا في الموضع الذي يموتُ فيه»[3].

وروى الترمذي أنه قال: «سمعتُ من رسول الله شيئًا ما نسيته: ما قَبَضَ الله نَبِيًّا إلَّا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيه»[4].

الموطن الرابع: لمَّا مات رسول الله ﷺ أَرْسَلَتْ فاطمةُ ابنته وأزواجه إليه يطلبن ميراثهن فيه، فقال لهن أبو بكر: قال رسول الله: «لا نورث، ما

---

(١) لم يرد في (د).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦٦٧-طوق).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا: كتاب الجنائز، ما جاء في دفن الميت، (٢٧٦/١)، رقم: (٦٢٣-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في دفن النبي حيث قُبِضَ، رقم: (١٠١٨-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب».

تركنا صدقة»[١]، وقالت ذلك عائشة لهن، وبقية العشرة شهدوا بذلك كله، فانقادوا إليه.

الموطن الخامس: ارتدَّت العرب بعد موت النبي، وماج الناس، وصار ما خرج عن أجواز المدينة وأحوازها مملوءًا نُكْرًا، مشحونًا رِدَّةً ومَكْرًا، منهم كافر، ومنهم مانع زكاة، ومنهم مرتاب. فارتأى الصحابة؛ فقال بعضهم: يؤخذ منهم قبول الصلاة، وتترك الزكاة حتى تتمكن الحال، وتستأنس القلوب، فقال أبو بكر: «والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِها[٢]»[٣].

الموطن السادس: لمَّا كان قبل مَرَضِ النبي جهَّز أسامةَ في جَيْشٍ إلى الشَّامِ، فتوقَّف خروجه بمرضه، ثم جاء موته، فقال الناس لأبي بكر: «احبس أسامة بجيشه تَسْتَعِنْ[٤] به على من حاربك من المُجَاوِرِينَ لك، فقال: لو لعبت الكلابُ بخَلَاخِلِ نساء أهل المدينة ما رددتُ جيشًا أَنْفَذَهُ رسول الله، ولَكِنْ سَأَلَ أسامةَ أن يترك له عمر، ففعل، وخرج فبلغ الشام، ونَكَأَ العَدُوَّ بها، فقالت الروم: إنهم لم يَضْعُفُوا بموت نبيهم»[٥]، وصارت تلك الحالةُ هَيْبَةً في قلوبهم لهم[٦].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): منعه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الزكاة، باب أخذ العناق في الصدقة، رقم: (١٤٥٦-طوق).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): تستعين.

(٥) ينظر: الروض الأنف: (٥٨٣/٧).

(٦) أفاد من هذا النص الشاطبي في الموافقات: (٥٠٥/١).

الموطن السابع: لمَّا استأثر الله برسوله تَطَلَّعَ الناس إلى رَأْسٍ يَقُومُ عليهم، وخَلِيفَةٍ له يَسُوسُهم، فمَرَجُوا وماجوا، وانحازت الأنصار يطلبون الأَمْرَ أو بعضه، وتَخَلْخَلَ المهاجرون، واجتمعوا إلى أبي بكر وقالوا له: «أرسل إلى الأنصار قبل أن يَعْقِدُوا أمرًا، فقال:/ بل نأتيهم في ناديهم، ونَفْجَأُهم في مكانهم»[١]، فسار إليهم مع من كان معه، وحضر بينهم وخطب خطبته المشهورة، ونشر لؤلؤه المكنون، وأبان الحق باليقين، وكشف لَبس الظنون، وانعقدت له البيعة حسنة مُقَرَّرَةً؛ عن نظر صادق، وفكر صائب، ودليل ظاهر.

٢ [٩٥/أ]

روى الترمذي - ورواه النسائي أيضًا - واللفظ له[٢]: عن سالم بن عُبَيد[٣] - وكان من أهل الصُّفَّةِ - قال: «أُغْمِيَ على[٤] النبي في مرضه، فأفاق فقال: أَحَضَرَتِ الصلاة؟ فقلن: نعم، فقال: مُرُوا بلالًا فليؤذِّن، ومُرُوا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس، قالت عائشة: إنَّ أبي رَجُلٌ أَسِيفٌ، قال: إنكن صواحبات يوسف، مُرُوا بلالًا فليؤذن، ومُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فأَمَرَ بلالًا أن يؤذن، وأَمَرَ أبا بكر[٥] أن يصلي بالناس، فلمَّا أُقيمت الصلاة قال النبي: أُقِيمَتِ الصلاة؟ قلن: نعم، قال: ادعو لي إنسانًا أعتمد عليه، فجاءت بَرِيرَةُ ورَجُلٌ آخَرُ، فاتَّكأ عليهما، فلمَّا رآه أبو بكر ذهب لينكص، فأومأ إليه أن اثبت مكانك، حتى قضى أبو بكر صلاته، ثم إنَّ رسول الله

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) سقط من (ك).

(٣) في طرة بـ (ك): في خـ: عَبْدٍ، وصحَّحه.

(٤) في (د): عن.

(٥) في (ك): أبو بكر.

قُبِضَ، فقال عمر: والله لا أسمع أحدًا يذكر أن رسول الله قُبِضَ إلَّا ضربتُه بسيفي هذا، قال: وكان الناس أُمِّيِّينَ؛ لم يكن فيهم نبي قبله، فأمسك الناس فقالوا: يا سالم، انطلق إلى صاحب رسول الله فادعُه، فأتيتُ أبا بكر وهو في المسجد، فأتيته أبكي دَهِشًا، فلمَّا رآني قال لي: أَقُبِضَ رسول الله؟ قلت: إن عمر يقول: لا أسمع أحدًا يذكر أن رسول الله قُبِضَ إلَّا ضربته بسيفي هذا، فقال لي: انطلق، فانطلقتُ معه، فجاء النَّاسُ فدخلوا على رسول الله، فقال: أيها الناس، افرجوا لي، ففرجوا له، فجاء حتى أكبَّ عليه ومسَّه، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، ثم قال[١]: يا صاحب رسول الله -يعني: سالم[٢]-: أَقُبِضَ رسول الله؟ قال: نعم، فعلموا أن[٣] الله قد صدق، قالوا: يا صاحب رسول الله، أَيُصَلَّى[٤] على رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يَدْخُلُ قَوْمٌ فيُكَبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدْعُونَ، ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، فقالوا: يا صاحب رسول الله، أَيُدْفَنُ رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قَبَضَ الله فيه رُوحَه، فإنَّ الله لم يقبض/ [٩٥/ب] رُوحَه إلَّا في مكان طَيِّبٍ، فعلموا أن قد صدق، ثم أمرهم أن يُغَسِّلَه بنو أبيه، واجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار نُدْخِلُهُمْ معنا في هذا الأمر، فقالت الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير[٥]، فقال عمر بن الخطاب: من له مثل هذه الثلاث؛ ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ

(١) في (ص): قالوا.
(٢) قوله: «يعني: سالم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٣) في (ص): أنه قد صدق.
(٤) في (ص): أنصلي.
(٥) سقطت من (ك).

هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، من هما؟ قال: ثم بَسَطَ يده؛ فبايعه الناس بَيْعَةً حسنة جميلة»[١].

قال الإمام الحافظ[٢] رضي الله عنه: فليس للإسلام من يومئذ إلى الآن حركة إلا في تلك البركة، ولا تفكير ولا تقدير إلَّا من ذلك التدبير، فتبارك الله[٣] العليم القدير.

وظهر لكم بهذا أنَّ[٤] أوَّل نُشُوءِ[٥] المرء السعيد «كَيْسٌ»، وآخره «ولاية»، فيعود وليًّا من أولياء الله المقرَّبين عنده، السَّابقين إليه، ويكون ممَّن اشترى الهُدَى بالضلالة، والعلم بالجهالة، والسعادة بالشقاوة، فتربح تجارتُه، وينتفي عَيْبُه[٦]، فيكون «مُرْبِحًا» في دِينِه.

* * * * *

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب وفاة النبي ﷺ، كيف صُلِّيَ على رسول الله ﷺ؟ رقم: (٧٠٨١-شعيب)، والترمذي في الشمائل: باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ، (ص٢٣٧-٢٣٩)، رقم: (٣٨٤).

(٢) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي.

(٣) لم يرد في (ك) و(د) و(ب).

(٤) في (ك): أنه.

(٥) في (ص): نَشْء.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): غَبَنُه.

المُرْبِحُ[١]: وهو الاسمُ السَّادس والتسعون[٢]

قال النبي صلَّى الله عليه[٣]: «كلُّ الناس يغدو، فبائع نفسه؛ فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها»[٤]، وهو حديث صحيح مليح، لم يَقُمْ أَحَدٌ بمعناه.

وتحقيقُه: أنَّ المرء يُصْبِحُ فيتصرَّف، ولا يخلو تصرُّفه في[٥] أن يشتري الحياة الدنيا بالآخرة، والهَلَكَةَ بالسَّلامة، واللذة بالندامة، والغفلة بالذِّكْرَى، والفجور بالتُّقَى، أو يرجع إلى الحُسْنَى[٦]؛ فيجعل الحالة الثانية من هؤلاء أُولَى، فيبتاع الآخرة بالدنيا، والسَّلامة بالهلكة، والذِّكْرَى بالغفلة، والتُّقَى بالفجور، فيتوضأ ويُصَلِّي، ويصوم ويتصدَّق، قال النبي ﷺ[٧] - في الحديث الصحيح -: «الطهور شَطْرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك): الرابع والتسعون، وفي (ص): السادس والثمانون، وفي (ب): الخامس والثمانون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم: (٢٢٣-عبد الباقي).

(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) في (ص): الحسَن.

(٧) في (ك): صلى الله عليه.

نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه، فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها»[١].

٢ [٩٦/أ] فإذا باع نفسَه من الله بطاعته وذِكْرِه فإنَّ الله قد اشتراها/ منه بشَرْطِ العِتْقِ البَاتِّ والنعيم الدائم، ولذلك أجاز العلماءُ الشِّرَاءَ للعبد بشَرْطِ العتق، ولم يفهم هذا أبو حنيفة وأصحابه، فمنعوا البيع بشَرْطِ العِتْقِ[٢].

وهذا البَيْعُ هو رِبْحٌ كلُّه؛ لأن المرء يَرْبَحُ نفسَه، ولذلك قال الحكماء: «عجبًا لمن يغدو يَطْلُبُ الرِّبْحَ، ومِثْلَ نَفْسِه لا يربح أبدًا».

ومن المعاملة المُرْبِحَةِ أنَّ العبد إذا أسلم وأطاع بايع الكافر في منزله بالجنة بمنزله في النار، على ما قدَّمنا به الحديث في أسماء القيامة عند ذِكْرِ التغابن، وبذلك كله يكون «مُتَقَرِّبًا[٣]».

* * * * *

---

(١) هو الحديث السَّابق.

(٢) ينظر: المسالك: (٦/٥٢٤).

(٣) في (ب): منفردًا.

[المُتَقَرِّبُ[١]]: وهو الاسم السَّابع والتسعون[٢]

والقُرْبُ يكون - عند علمائنا - بالمعنى، ولا يكون بالمسافة؛ لأنَّ الله سبحانه ليس في مكان فتدنو منه أو تبعد الأجسام، ولا يُحَاذِيهِ موجود، ولا يليه مخلوق[٣]، وإنَّما قُرْبُه بالإجابةِ لمن دعاه، والرحمةِ لمن استرحمه، والعطاءِ لمن سأله، والمغفرةِ لمن استغفره وانكَفَّ[٤] عن معاصيه؛ وهو «العَفِيفُ».

* * * * *

---

(١) في (ب): المنفرد.

(٢) في (ك): الخامس والتسعون، وفي (ص): السَّابع والثمانون، وفي (ب): السَّادس والثمانون.

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٦٤-١٦٨).

(٤) في (د) و(ص) و(ب): الكف.

العَفِيفُ[١]: وهو الاسم الثامن والتسعون[٢]

فإنَّ المعاصي تُبَاعِدُه عن الله كما تُقَرِّبُه الطاعات[٣] من الله، قال النبي ﷺ للنَّاسِ حين رَفَعُوا أصواتهم بالذِّكْرِ: «إنكم لا تَدْعُونَ أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إنه بينكم وبين رؤوس رحالكم»[٤].

ومن الواجب على العبد أن يسأل عن ذلك إذا لم يَعْلَمْه، وإذا عَلِمَه أن يَمْتَثِلَه، وقد سأل عنه معاذُ بن جبل رسولَ الله، فقال له: «أخبرني بعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي من الجنة ويباعدني من النار»[٥]، فذَكَرَ الحديث المتقدم، وهو صحيح مليح.

وفي الصحيح: عن أبي هريرة: «أنَّ أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال له: دُلَّنِي على عمل إذا عملتُه دَخَلْتُ الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان،

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): السادس والتسعون، وفي (ص): الثامن والثمانون، وفي (ب): السابع والثمانون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الطاعة.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

قال: والذي نفسي بيده[١]، لا أزيد على هذا، فلمَّا وَلَّى قال النبي: من سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[٢].

٢ ولا يُقَرِّبُ العَبْدَ من رَبِّهِ شيءٌ أكثر من الصلاة؛ فإنه يستقبله فيها، ويناجيه بها، وأيُّ منزلة أعظمُ من المناجاة والاستقبال؟ وهي خصيصة/ [٩٦/ب] موسى، وشَرَفُ مُحَمَّدٍ، وحالة يونس، وملجأ أيوب، ودعوة سليمان، وتوبة داود، وبذلك سُمِّيَتِ الأعمال الصالحات قُرُبَاتٍ، ولن يُفَرِّجَ الكُرُبَاتِ إلَّا القُربات، ولا تكون قُرْبَةٌ إلا بِنِيَّةٍ[٣]، إلَّا واحدة؛ فإنها تكون طَاعَةً لا قُرْبَةً، كما[٤] بيَّنَّاه في «أصول الدين»، ممَّا قرَّره علماء المسلمين، وبذلك يكون «قانتًا».

* * * * *

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم: (١٣٩٧-طوق).

(٣) في (ص): الآدميَّة.

(٤) في (د): على ما.

القَانِتُ[١]: وهو الاسمُ التَّاسع والتسعون[٢]

والقُنُوتُ في العربية على معاني ؛ قد بيَّنَّاها في غير موضع من القرآن والأحاديث[٣]، أصوله أربعة:

أوَّلُها[٤]: الطاعة، قاله ابن عباس[٥].

والثاني[٦]: القيام[٧]، قاله ابن عمر، وقرأ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ١٠]، وفي الحديث: «أفضل الصلاة طول القنوت»[٨]، وقام النبي ﷺ حتى تفطَّرت قدماه، وقال: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[٩].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): السابع والتسعون، وفي (ص): التاسع والثمانون، وفي (ب): الثامن والثمانون.

(٣) تنظر في: أحكام القرآن: (١/٢٢٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) تفسير الطبري: (٥/٢٢٩-شاكر).

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) ينظر: تفسير الطبري: (٥/٢٣٦-شاكر).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، رقم: (٧٥٦-عبد الباقي).

(٩) تقدَّم تخريجه.

الثالث: أنه السُّكُوتُ، قال زيد بن أرقم: «كنَّا نتكلَّم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٦]، فأُمِرْنا[١] بالسُّكُوتِ»[٢].

الرابع: القنوتُ: الخُشُوعُ[٣].

وهذه المعاني وسواها ممَّا ذَكَرَ العلماء في القنوت صَحِيحٌ جميعُها، تشهد لها العربية والأمثلة، والمُرَادُ منها هاهنا السُّكُوتُ، ويليه القيام.

أمَّا القيام فيكون لله جَمِيعُ أمره، وهو الدوام على الطاعة؛ صلاة أو صيام أو غير ذلك.

وأمَّا السكوت[٤]؛ فأَنْ يكون ساكتًا إلَّا عن ذِكْرِ الله، فيواصله ويداومه، كما قدَّمناه[٥]، ولا يَفْتُرُ فيه، ولا يتخلَّى عنه بغفلة ولا بمَلَلٍ، فإذا فَعَلَ ذلك كان «مُفْرِدًا».

* * * * *

---

(١) في (د): أمر.

(٢) تفسير الطبري: (٥/٢٣٢-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٥/٢٣٤-شاكر).

(٤) قوله: «وأمَّا السكوت» سقط من (ك).

(٥) في (ك): قدَّمنا.

المُفْرِدُ[١]: وهو الاسمُ المُوَفِّي مِائَةً[٢]

وفي صحيح الحديث - كما ذكرناه من قبل -: «أنَّ النبي سار مع أصحابه يومًا في طريق مكة حتى عَلَا جبلًا، فقال: هذا جُمْدَانُ، سِيرُوا، سَبَقَ المُفْرِدُونَ، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين أُهْتِرُوا بذِكْرِ الله، يضع الذِّكْرُ عنهم أوزارهم»[٣].

قال الإمام الحافظ[٤]: هذا إن كان معهم وِزْرٌ، فإن لم يكن ذلك معهم[٥] ولا صَادَفَه عَمَلُهم الصالح وذِكْرُهم الطيِّب رُفِعَ لهم قَدْرٌ، وأُرْقِيَتْ لهم درجات حسب ما وعد الله سبحانه/. ٢ [٩٧/أ]

وهو مُفْعِل، مِنْ أَفْرَدَ.

المعنى: قد خرج عن الخلق باعتقاده وجوارحه ولسانه، فليس له ذِكْرٌ إلَّا ربه، وهذا ممَّا لم نسمعه إلَّا عن رَابِعَةَ رحمها الله، فإنها كانت إذا قال لها أَحَدٌ كلامًا، أو عَرَضَ لها بسؤال، قالت: «هُوَ، هُوَ، هُوَ»، في جواب

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن والتسعون، وفي (ص): الموفي تسعين، وفي (ب): التاسع والثمانون.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب):قال الإمام رضي الله عنه.

(٥) في (ك): لهم ذلك، وفي (ص) و(ب): معهم ذلك.

كل كلام، كأنها تُشِيرُ إلى أنها مشغولة معه، ليس لأحد فيها حظٌّ، ولا لها للخوض مع أحد في أمرٍ زمانٌ.

قال الإمام الحافظ[١]: والذي عندي أنَّ أبا بكر وعمر والعشرة والصحابة وكثيرًا[٢] من التابعين وعلماء المسلمين كانوا بهذه الصفة وإن خالطوا الناس؛ فإن العبد إذا كان كلامُه مع الناس لله وفِعْلُه كذلك فهو مُفْرِدٌ، حتى لو تكلَّم في الدنيا لتكلَّم لله، أو اعتمل فيها لاعتمل لله؛ بأن لا يخرج في جميع أقواله وأعماله عن طريق الشرع، فهو من المُفْرِدِينَ، ولكنه أمر يتعذَّر مع المخالطة إلَّا على الصدر الأوَّل؛ الذين كانوا لا يَلْقَوْنَ إلَّا أمثالهم، أو ما يقرب[٣] منهم، أو من يفعل مثل فِعْلِهم، فكانوا يتعاونون على الحق، ولا ترى بينهم[٤] باطلًا، فلمَّا غلب الباطلُ على الخلق[٥] وتعاملوا بغير الصدق لم يتفق[٦] لأحد أن يكون مُفْرِدًا إلَّا بأن يعتزل عنهم، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨].

[من المُفْرِدِينَ مريمُ عليها السَّلام]:

وممَّن كان من المُفْرِدِينَ القانتين مَرْيَمُ، قال الله سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٣]، فأَمَرَها بالقنوت والسجود والركوع، واختلف الناس في هذه الآية اختلافًا كثيرًا؛

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، و(ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام ﷺ.

(٢) في (ك): كثير.

(٣) في (د): أو بالقرب.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): لهم.

(٥) في (ك) و(ص): الحق.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يبق.

فقال لنا شيخُنا فَخْرُ الإسلام الشَّاشِي[١] بمدينة السَّلام: «هذا من التقديم والتأخير، المعنى: «فاركعي واسجدي»، وهو في القرآن كثير».

وقال لي غيره: «هذا كان شَرْعُ من قبلنا».

وقال أصحاب أبي حنيفة: «الواو لا تقتضي ترتيبًا».

واختلف الناسُ في قوله: ﴿اقْنُتِي﴾؛

فقيل: أطيعي[٢].

وقيل: أخلصي[٣].

وقيل: قُومِي[٤]، أمرها بالقيام والركوع والسجود، وهو جملة الصلاة.

وهو الأصح؛ كما بيَّنَّا في «الأنوار».

والذي يصح في قوله: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾[٥]؛ أنَّ السجود هو الميل، وأنَّ الركوع هو الانحناء، ويصح في صورتها عندنا أن يسمَّى كل واحد منهما باسم/ صاحبه، ولا يصحُّ في شرع أن تكون صورة السجود مثل ٢ [٩٧/ب]

---

(١) الفقيه الإمام، شيخ الشَّافعية، وفخر الإسلام؛ محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي، (٤٢٩-٥٠٧هـ)، له «حلية العلماء»، وهو المسمَّى «المستظهري»، و«المعتمد»، و«الشافي»، و«العمدة»، وغيرها، ترجمه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري: (ق١٦٠/أ)، والذهبي في السِّيَر: (١٩/٣٩٣-٣٩٤)، والتاج في طبقات الشافعية: (٦/٧٠-٧٨).

(٢) تفسير الطبري: (٦/٤٠٣-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٦/٤٠٣-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (٦/٤٠٢-شاكر).

(٥) في النسخ: اركعي واسجدي.

الركوع، إنَّما تكون الصورة[1] في شرعها كالصورة في شرعنا، ولكن يجوز أن تنقلب[2] الأسماء، فتُسَمَّى في وَقْتٍ صورةُ الركوع سجودًا، والسجود ركوعًا، ثمَّ تسمَّى في وقت آخَرَ به.

وقد قال كثير من علمائنا: «إن السجود هو الركوع في العربية»[3].

في الصحيح: عن عائشة أنها قالت: «قال النبي: من أدرك سجدة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك»[4].

والسجدة هي الركعة، فيكون تقدير الكلام: «يا مريم أَدِمْ[5] طاعة ربك، وصَلِّ وصَلِّ[6]»، وكرَّر الأَمْرَ بالصلاة ليكون ذلك تأكيدًا لها.

ويحتمل أن يكون قوله لها: ﴿اقْنُتِي﴾ أمرًا بالطاعة.

ويقال: ﴿وَاسْجُدِي﴾[7]: أَمْرٌ بما يكون من جميع الخلق، وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[8] [النحل:٤٩]، ثم يُكَرِّرُ عليها الأمر بالركوع الذي هو مخصوص ذِكْرُه ببني آدم، لم يُوصَفْ به شيء من المخلوقات، ووُصِفَتْ مريم بذلك كله لأنها كانت لَزِيمَةَ المحراب، عَاكِفَةً

---

(١) في (ك): الصور.

(٢) في (ك): تقلب.

(٣) تفسير الطبري: (٢/١٠٤-شاكر).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، رقم: (٥٥٦-طوق).

(٥) كذا في جميع النسخ.

(٦) في طرة بـ (ك): وصلِّي وصلِّي.

(٧) في (ك) و(ب): واسجد.

(٨) في النسخ: «ولله يسجد من في السماوات ومن في الأرض وما في السماوات وما في الأرض».

على الباب، سَاكِنَةً عن الخلق، مُعْرِضَةً عن الناس، مُوَاظِبَةً على الذِّكْرِ، مُقْبِلَةً على الله.

[من القانتات نساءُ النبي عليه السَّلام]:

وقد يكون قانتًا من يخالط ويتكلَّم، قال الله لنساء نبيِّه ﷺ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١]، وما منهنَّ إلَّا من كان قانتًا عاملًا لله صالحًا، لَزِيمَ طاعة، وحَلِيفَ عبادة[١]، وحَامِلَ عِلْمٍ ومعرفة، ومُبَلِّغَ حكمة، وخصوصًا المطهَّرة المكرَّمة عائشة ﵂.

[الخُلْطَةُ لا تنافي القنوت]:

وقد بيَّنَّا أنَّ رهبانية هذه الأمة وقُنُوتَها وإِفْرَادَها وطاعتها لا ينافي الخُلْطَةَ، ولا يُشترَط فيها الوحدة، ولا يلزم[٢] معها الخلوة؛ لمن أمكنه القيام بالحقوق، وحمل جميع أفعاله وأقواله على الحق والتصديق، وإذا لم يتفق له ذلك عُدْنَا[٣] كما كُنَّا، ورجعنا إلى ما عَلِمْنَا من الخلوة والعُزْلَةِ قديمًا، حسب ما أنذر به الصَّادق.

وقد لا يَسْلَمُ المؤمن مع الخُلْطَةِ، وقد يَسْلَمُ.

[من فضائل مريم عليها السَّلام]:

هذه مريم مع القنوت والعزلة ومواظبة[٤] العبادة وما جعل الله فيها من الآية لم تَسْلَمْ من قول المُبْطِلِينَ وزَيْغِ المُلْحِدِينَ، ولمَّا ظهر بها الحملُ

---

(١) في (ص): عادة.

(٢) في (ك): تلزم.

(٣) في (د): عندنا.

(٤) في (د): مواطنة.

٢ انتبذت به مكانًا قَصِيًّا، رغبة في الاختفاء، وحِرْصًا على السِّتْرِ، إذ[١] لم يُمْكِنْ[٢] إفشاءُ ذلك/ إلى أَحَدٍ لغلبة الظنون الفاسدة على الناس. [٩٨/أ]

ولمَّا أخذها الطَّلْقُ قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم:٢٢]، خَوْفُ العار من الخلق، وقد علمت الآيَةَ من الحق.

وقد قيل: «إنما قالت ذلك شَفَقَةً على قومها من ذهاب أديانهم عند سوء مقالتهم؛ لئلا تصيبهم عقوبة من أجلها»[٣].

وقد قال بعضهم: «إن معناه: يا ليتني مت قبل أن أسمع أن عيسى وَلَدُ الله، وأنِّي زَوْجُه»[٤].

ويحتمل أن يكون المَلَكُ لمَّا ألقى إليها أَمْرَ الغلام أعلمها بجميع أَمْرِه أو بجُمْلَةٍ منه.

وقد قيل: «إنها قالت ذلك حين أصابها الطَّلْقُ وصارت إلى شِدَّتِه، بعد ما كانت فيه من الرِّفْقِ»[٥].

وقد قيل: «إن قولها[٦]: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾، تعني[٧]: قبل أن يتعلق قلبها بسَبَبٍ»[٨]؛ لأنها كانت فارغة القلب إلَّا عن الله.

---

(١) في (د): إذا.
(٢) في (ص) و(ب): يكن.
(٣) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٤).
(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٤).
(٥) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٤).
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): قوله.
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): يعني.
(٨) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٥).

فلمَّا تعلَّق قَلْبُها بولدها ونفسها أنكرت حالها الأوَّل، ورأت أنها غيرها: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾[١]، بكَسْرِ الميم؛

قيل: جبريل[٢].

وقيل: عيسى[٣].

فإن كان جبريل فمعناه: أن النداء جاء من تحت؛

وإن كان المنادي من فوقها -وإن كان بفتح الميم- فالمُنَادِي عيسى: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٤] [مريم:٢٣-٢٥].

والذي عندي: أن قائل ذلك كله جبريل، وقَوْلُ عيسى يأتي بعد هذا إن شاء الله.

فسَكَّنَ هذا الكلام ما كان بها من القلق، وأَذْهَبَ ما أصابها من الفَرَقِ، وقوَّى قَلْبَها عمَّا كان فيه من الضعف، وأمَّنها ممَّا كانت تخاف من العار أو[٥] المكر.

ولمَّا هزَّت بجِذْعِ النخلة وتَساقَطَ عليها الرُّطَبُ الجَنِيُّ تشابهت الأحوال؛ فإن الذي أَخْرَجَ منها عيسى من غير أَبٍ قَادِرٌ على أن يُخْرِجَ

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ [مريم:٢٣].
(٢) لطائف الإشارات: (٤٢٥/٢)، وتفسير الطبري: (٥٠١/١٥-التركي).
(٣) لطائف الإشارات: (٤٢٥/٢)، وتفسير الطبري: (٥٠٣/١٥-التركي).
(٤) في النسخ: لا تحزني.
(٥) في (ص): و.

رُطَبًا من جِذْعٍ يابس، وكان في هذا أوضح الأدلة على أن الله لا يُضِيعُ الصالحين؛ فإنه إذ كان لمريم من يتعهَّدها جَرَتْ على عادتها، فلمَّا عَدِمَتِ العادة تولَّى الله لها الكفاية، ولم يَكِلْهَا إلى نفسها[1].

٢ ثم قال لها: ﴿كُلِي وَاشْرَبِي﴾، وتلك حاجة الإنسان وضرورته، ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ بحالك وبوَلَدِك، ولا تُبالِي عن أَحَدٍ من/ الخلق، [٩٨/ب] ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً﴾ فلا تُكَلِّمِيهِ[2] بحال.

وهكذا يجب أن يكون الأولياء إذا كانوا مع الله على حالة حسنة، يجب ألَّا يُبَالُوا بأحد من الخلق.

قيل لها: عَرِّفِيهِمْ بالإشارة أنك صائمة، وكان صومهم ترك الكلام، فلمَّا أتت به قومها تحمله بَسَطُوا عليها لسان الملامة، وقابلوها بقول المُوَبِّخ، وعظَّموا عليها الحالة، وقالوا لها: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ [مريم:٢٦]، يعني: أَمْرًا قَطَعَكِ عن حالتك المعهودة، وصفتك المعروفة، يا أخت هارون في الصلاح والخير، ما كان أبوك امرَءًا رَدِيًّا، ولا كانت أمك بَغِيًّا، فمن أين وَرِثْتِهِ؟

وهذا يدلُّك[3] على أن الأخلاق مُكْتَسَبَةٌ من الأعراق، كما تُكْتَسَبُ من الاختلاط والصحبة.

فعن المرء لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينه[4] فكلُّ قَرِينٍ بالمقارن يقتدِي

(١) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٥).

(٢) في (ك) و(د) و(ب): تكلمه.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): يدل، وما أثبتناه أشار إليه في (ك).

(٤) قوله: «فكل قرين بالمقارن يقتدي» سقط من (ك) و(ص) و(د).

وقد قال المغيرة بن شعبة: «بعثني رسول الله إلى نَجْرَانَ، فقالوا لي: ألستم تقولون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم:٢٧]، وقد كان بين عيسى وموسى ما كان، فلم أَدْرِ ما أُجِيبُهم، فرجعت إلى رسول الله فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسَمَّوْنَ بأنبيائهم والصالحين من[1] قبلهم»[2]، وهذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ.

فلمَّا قابلوها بهذا الكلام أشارت لهم إليه، وأحالتهم عليه، قالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم:٢٨]، فإمَّا سَأَلُوهُ، وإمَّا بَدَأَهُمْ، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٢٩-٣١]، فلمَّا تكلَّم عيسى فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، برئت ساحتُها، وتحقَّقت عِفَّتُها ونزاهتُها[3]، وظهرت كرامتُها ومرتبتُها[4].

وقد روى المُفَسِّرُونَ: «أنه تكلَّم في المَهْدِ أربعة؛ عيسى بن مريم، وابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيْج»، وقد بيَّنَّا في «كُتُبِ[5] التفسير» من «الأنوار» وغيرها: أنهم نَقَصَهُمُ اثنان:

أحدهما: صاحب الأُخدود؛ فإنَّ أهل الأخدود لمَّا قُذِفَ بهم في النار توقَّفت امرأة منهم في ذراعها صبي، فقال لها الصبي: «يا أُمَّه اصبري، إنك

(١) سقطت من (ك) و(ص).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، (٢١٣٥-عبد الباقي).

(٣) في (د): براءتها.

(٤) سقطت من (ك).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): كتاب.

على الحق[١]»[٢]، ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ من حديث صُهَيْبٍ، والترمذي[٣] والبخاري[٤] من حديث أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ.

والذي صحَّ من هذه الستة أربعة: عيسى، وصاحب جُرَيج[٥]، وصاحب الأخدود، وابنُ هذه المرأة[٦].

وفي البخاري: عن النبي: «أن امرأة كانت تُرْضِعُ صَبِيًّا في حِجْرِها، فمَرَّ رجل له شارة ورِكْبَةٌ، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك الصبي الثدي وقال: اللهم لا تجعلني مثله، ومُرَّ بامرأة وهُمْ يضربونها ويقولون: سرقت، ولم/ تسرق، وزَنَتْ، ولم تَزْنِ، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الصبي الثدي وقال: اللَّهم اجعلني مثلها، وأُوحِيَ إلى نبي ذلك الزمان أنَّ[٧] الأوَّل لا خير فيه، وأن هذه يقولون: فَعَلَتْ، وهي لم تفعل»[٨]، هذا معنى الحديث.

٢ [٩٩/أ]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فقال لها الصبي: إنك على الحق، وفوقها علامة: خـ، وبعدها: والذي صحَّ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن صهيب ﷺ: كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، رقم: (٣٠٠٥-عبد الباقي).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه عن صهيب ﷺ: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة البروج، رقم: (٣٣٤٠-بشار).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأنبياء، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾، رقم: (٣٤٣٦-طوق).

(٥) يأتي تخريجه في اسم «البَرِّ».

(٦) وهي ثانيتهما التي لم يذكرها المفسرون، تكملة الستة.

(٧) سقط من (ص).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأنبياء، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها﴾، رقم: (٣٤٣٦-طوق).

قال الإمام الحافظ[١] رضي الله عنه: كان أوَّل كلمة تكلَّم بها عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ثم عبد من دون الله، وإنَّما كان ذلك آية ومعجزة لمَرْيَمَ، وحُجَّةً على الكفَّار، فيقال لهم: «إنْ صَدَقَ عيسى فقد كذبتم، وإن كذب فمن كَذَبَ لا يكون إلهًا ولا ابنًا للإله»[٢].

قال علماؤنا: «وكان عيسى عبد الله حقًّا، وإنَّما يكون عبد الله من لم يكن عبد هواه، ولا عبد شيء سِواه»[٣].

ثم قال: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، أي: سَبَقَ في عِلْمِه وحُكْمِه إيتاءُ الكتاب لي، وأخبر به، وأمره أن يذكره في حال صِغَرِه[٤].

ثم قال: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، يعني: بفضله، ردًّا على من يقول: إن النبوة تُسْتَحَقُّ بكثرة الطاعة؛ لأنَّ عيسى أخبر بذلك في حَالٍ لم تكن منه طاعة، وقد بيَّنَّا بطلان هذا القول وإِلْحَادَه في «كُتُبِ الأصول»[٥].

ثم قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

* * * * *

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام القاضي رحمه الله.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٤٢٧).

المُبَارَكُ[١]: وهو الاسمُ الحادي ومائة[٢]

وقد بيَّنَّا في غير مَوْضِعٍ[٣] أن معنى «ب ر ك» وجهان؛

أحدهما: الثبوت والدَّوام.

الثاني: النمو والزيادة.

وقد وصف الباري به نفسه فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١].

وقال[٤]: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المومنون:١٤].

وقال[٥]: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان:٦١].

وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان:١٠].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): التاسع والتسعون، وفي (ص): الحادي والتسعون، وفي (ب): الموفي تسعين.

(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١/١٨١)، وينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٢٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

فأمَّا ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ فمعناه: وجب الدوام، وحقَّت العظمة للذي بيده المُلْكُ، يُصَرِّفُ المقادير، ويُدَبِّرُ[1] الأمور، وهو عليها قدير، وعلى كل شيء مُمْكِنٍ سواها، الذي ابتلى الخلق ليختبرهم، إعلامًا للملائكة حالهم، ليظهر لهم شكرهم وكفرهم، وهو العزيز في ذلك كله، الغفور لذنوبهم على العموم، فإِمْهَالُه للكفَّار نَوْعٌ من مغفرته، وحَطُّه ذنوب المؤمنين مغفرة ظاهرة.

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾، أي: وجب الدوام، وحقَّت العظمة؛ لمن دبَّر الجَنِينَ في الموضع المكنون، بتَصْرِيفِ/ الأحوال وانتقال الأوصاف، وقد ذَكَرَ خَلْقَ العرش والسماوات والأرضين[2] والجنة والنار، ولم يُعْقِبْها بهذا المدح الذي عقبه خلق الإنسان في أطواره، وانتقاله في أحواله، تخصيصًا له من بين المخلوقات، وتمييزًا بأشرف الدرجات.

٢ [٩٩/ب]

قال علماؤنا: «وإنَّما تمدَّح به لأنك لمَّا كنتَ أنت في تلك الحال عاجزًا عن مَدْحِ ما[3] فعل فيك مَدَحَ هو نفسه»[4].

قالوا: «وإن كان قال عن نفسه: إنه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾، فلقد قال عنك: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]»[5].

وقوله[6]: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ﴾ الآية، مُرَتَّبًا بعد قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾، وقد بيَّنَّا

---

(١) في (ك): يدير.

(٢) في (ك): الأرضون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): مَدْح لِـمَا.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٧١).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٧٠).

(٦) في (د): قال.

أن البركة تكون من الدوام والنماء، فدوام الله موجود؛ لأن وجوده لا عن استفتاح، ولا عن آخِرِيَّةٍ لذاته ولصفاته العلية، وجِهَةُ البركة مُنْبِئَةٌ عن فضله وإحسانه، فهي كلمة تجمع بين الثَّنَاءَيْنِ؛ ثَنَاءِ الذَّاتِ، وثَنَاءِ الأفعال.

فقوله: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾؛ إِخْبَارٌ بما أَكْرَمَهُ به وفضَّله، وأَنْعَمَ عليه وأَحْسَنَ إليه، وقدَّمه على جميع الرُّسُلِ به؛ من إنزال الفُرْقَانِ القُرْآنِ عليه، فالفُرْقَانُ لجميع الأنبياء، والقرآن لمُحَمَّدٍ، أنزله عليه، وأرسله بشيرًا ونذيرًا للعالمين به، وآتى موسى الكتابَ ليُنْذِرَ به قومه، وآتى مُحَمَّدًا الكتابَ ليكون للعالمين نذيرًا، الذي تفرَّد بمُلْكِ السماوات والأرضين[1]، فليس فيها[2] شيء إلَّا مخلوق[3] بقُدْرَتِهِ، ومن زَعَمَ أن شيئًا يَشِذُّ عن قدرته فنَسَبَهُ إلى خَالِقٍ أو علَّقه بسَبَبٍ فهو كَافِرٌ؛ كالجَاحِظِ وسِواه[4]، لا حيَّاه الله ولا بيَّاه.

وهو لم يتخذ ولدًا استظهارًا، ولا جاز أن يكون له مَحَلٌّ استقرارًا، ولا يمكن أن يكون له شريك في المُلْكِ؛ لأنَّ ذلك كان يعود على الخلق بالهُلْكِ، حسب ما بيَّنَّاه في أدلة التوحيد[5]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وبيَّن ذلك تفصيلًا، فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب) و(د): الأرض، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٢) في (ب): بها، ولم ترد في (ص).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): مخلوقًا.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٦١)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٩٤).

(٥) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص١٣١-١٣٣).

تَقْدِيراً﴾ [الفرقان:٢]، فمن زعم أنه يَشِذُّ شيء عن خَلْقِه أو يَتَوَلَّدُ شيء من شيء دون أن يكون منسوبًا -من غير واسطة- إلى قُدْرَتِه فهو كافر.

ولمَّا لم يستدلوا بآيات النبي، ولا اعتبروا بمعجزاته، وقالوا: إنه ﴿مَهِينٌ﴾، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، قال[1] الله له: هذا الذي قالوه وفعلوه بإرادتي وتقديري، ولو شئتُ لجعلتُ لك جنات وقصورًا/ في الدنيا.

٢ [١٠٠/أ]

وقد[2] روي أنه قيل لرسول الله: «إن شئت أن نُعْطِيَكَ خزائن الأرض ومفاتحها ما لم يُعْطَ نَبِيٌّ قبلك، ولا يُعْطَى من بعدك، ولا يُنْقِصُ ذلك ممَّا لك عند الله، فقال: اجمعوها لي[3] في الآخرة، فأنزل الله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾ الآية»[4]، فسليمان دعا في ذلك وأُجِيبَتْ دعوتُه، ومُحَمَّدٌ عُرِضَ عليه ما لا ينبغي لمن بعده فأباه، وأخَّره إلى الآخرة وأرجاه[5].

ثم قال في السُّورة بعينها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ [الفرقان:٦١]، وتَعَاظَمَ[6] وتعالى خالقُ السماء بزينتها، ومُرَتِّبُ كواكبها فيها، وحافظها من[7] الفطور والشقوق، ومُدَبِّرُ

---

(١) في (ك) و(ص): وقال.
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وقيل، وضرب عليها في (د).
(٣) سقطت من (ك) و(ب).
(٤) تفسير الطبري: (١٧/٤٠٨-التركي)، وهو مرسل.
(٥) في (ص): وأرجأه، وأثبتناه بغير هَمْزٍ تبعًا لطريقة القاضي في التقفية.
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): فتعاظم.
(٧) في (د): على، وفي (ص): عن.

أفلاكها، والقادر على إمساكها، ولعظيم ما فيها من منافع الخلق؛ عظَّم على الأدلة ذلك ونبَّه به.

[أَوْجُهُ بَرَكَةِ القرآن العظيم]:

وكما أنه سبحانه تبارك؛ فكذلك كتابه مُبَارَكٌ، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠]، والبَرَكَةُ فيه من ثمانية أوجه:

الأوَّل: دَوَامُه[١]؛ فإنَّ كل آية أُوتِيها النبي انقضت بانقضاء عُمْرِه، والقرآن لا ينقضي مدى الأيَّام.

الثاني: أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٢]، ولا يتطرَّق إليه نَقْضٌ ولا نَقْصٌ.

الثالث: كثرة علومه؛ فإنها متنامية متطاولة، لا نهاية لها، ولهذا قال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

الرابع: اكتفاءُ حامله به عن الدنيا بأَسْرِها، واستغناؤه[٣] به عنها، قال الله تعالى لنَبِيِّه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[٤] [الحجر:٨٧-٨٨]، وقال النبي ﷺ: «ليس منَّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن»[٥].

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٠٦).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٥٠٦).

(٣) في (ك) و(د) و(ب): استغنائه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾.

(٥) تقدَّم تخريجه في السفر الثاني.

الخامس: ثوابُه ؛ فإنه ما أُعْطِيَ قطُّ لأمَّةٍ ما أُعْطِيَ لهذه الأمة من الثواب في كتابها[١].

السَّادس: الاستشفاء به.

السَّابع: الاسترقاءُ به عن أن يصيب[٢] مكروه.

الثامن: أنه دائم ؛ لا ينسخه كتاب ، وسائر الكتب منسوخة[٣].

فهذه بركتُه.

[أَوْجُهُ بَرَكَةِ رسول الله ﷺ]:

وكذلك نبيُّه مُحَمَّدٌ ﷺ مُبَارَكٌ ، فقد[٤] بيَّنَّا فيما سَلَفَ من[٥] هذا الكتاب وأوضحنا في/ غيره خصائصه وبركته على أمته[٦] ، وعلى الخلق أجمعين ، وأنه رحمة للعالمين. ٢ [١٠٠/ب]

ومن بركته أنَّ المُبَارَكَ عيسى من أُمَّتِه ، وإن كان مُتَقَدِّمًا على مُدَّته ، ولكن رَفَعَهُ الله حتى ينزله ، كما أخبر سبحانه عنه ، فهو مُبَارَكُ الذات ، مبارك الأقوال ، مبارك الأفعال[٧].

يقال في العربية: بُورِكَ الشيء ، وبُورِكَ فيه.

---

(١) في (ك): كتابنا.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٢٥٣).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): وقد.

(٥) في (ك): في.

(٦) ينظر: المسالك: (٧/١٩٥-٢٠٥)، والعارضة: (١٠/٥٦٤-٥٧٢).

(٧) في (د): مبارك الأفعال ، مبارك الأقوال.

قال الشَّاعر - وهو أبو طالب يرثي مسافر بن أبي عمرو -:

بُورِكَ الميتُ الغريب كما بُو ... رِكَ نضحُ[١] الرُّمَّان والزيتونِ[٢]

[بَرَكَةُ المؤمن]:

والمُؤْمِنُ مُبَارَكُ الذَّات، مبارك الصفات؛ لأنه مُطَهَّرٌ مُسَلَّمٌ عن الشك والشِّرْكِ، مبارك الأقوال؛ لأنه لا يقول إلَّا خيرًا، مبارك الأفعال؛ لأنه لا يأتي إلَّا طاعة، مُنْتَفَعٌ[٣] به في علمه ودعائه، ومواساته إن كان ذا مال، وعلى قَدْرِ نفعه لنفسه والانتفاع به تكون بركته، فهو بَرَكَةٌ كله، ولذلك يقال: خادم مُبَارَكَةٌ، ودار مباركة، ودابَّة مباركة؛ إذا أَعْقَبَ[٤] مِلْكُها خَيْرًا لمالكها.

وفي الأثر: «إذا اشترى أحدكم خادمًا أو دابة فليأخذ ناصيتها، وليَدْعُ فيها بالبركة»[٥].

وقد قال النبي: «اللهم بارك لنا في مَدِينَتِنَا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنَا»[٦].

---

(١) في (ك) -أيضًا-: نضر.

(٢) البيت من الخفيف، وهو من جملة أبيات رثائية لعم النبي ﷺ أبي طالب، وهي في ديوانه: (ص١٠٤، ٢٦٣).

(٣) في (ص): ينتفع.

(٤) في (ك) و(ص): عقَّب.

(٥) أخرجه أبو داود بنحوه في السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه: كتاب النكاح، بابٌ في جامع النكاح، رقم: (٢١٦٠-شعيب).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (١٣٧٣-عبد الباقي).

وقال: «اللهم بارك لهم في مِكْيَالِهِمْ، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مُدِّهِمْ[١]»[٢].

ثمَّ قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [مريم:٣١].

* * * * *

(١) بعده في (د): انتهى الجزء السَّابع.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (١٣٦٨-عبد الباقي).

البَرُّ[١]: وهو الاسمُ الثاني ومائة[٢]

معناه: أَوْسِعْها كرامةً وإحسانًا، وهو أَصْلُه[٣].

البَرُّ: من الاتِّساع والكثرة، ومنه البريَّة، وقد بيَّنَّا حقيقة ذلك في كتاب[٤] «الأمد الأقصى»[٥].

فالباري بَرٌّ بعباده، والمؤمن بَرٌّ بوالديه[٦]، وقد قرأنا «بِرَّ الوالدين» ببغداد في جُزْءٍ مجموع للخلَّال[٧]؛ شَيْخِ شيخنا أبي الحُسَين بن الطُّيُورِي،

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الموفي مئة، وفي (ص): الثاني والتسعون، وفي (ب): الحادي والتسعون.

(٣) في (د): أصل.

(٤) سقط من (د).

(٥) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٢٣/٢).

(٦) في (د): أبويه.

(٧) الإمام الحافظ، الحَسن بن محمد بن الحسن بن علي، أبو محمَّد الخلَّال، من أهل بغداد، (٣٥٢-٤٣٩هـ)، قال فيه الخطيب: «كان ثقة، له معرفة وتنبُّه، وخرَّج «المسند على الصَّحِيحَيْنِ»، وجمع أبوابًا وتراجم كثيرة»، وكتابُه هذا الذي ذكره له ابن العربي لم أقف عليه مذكورًا في الكتب التي ترجمت له، فيكون هذا الذي ذَكَرَهُ القاضي من فوائده التي تُلحق بترجمته، وسمعه منه ابن خير الإشبيلي، قال - رحمه الله -: «حدَّثني به القاضي أبو بكر بن العربي =

وقرأناه لجماعة لا يُحْصَوْنَ، والأَمْرُ مشهور في الدِّين، مُجْمَعٌ عليه من[١] العقلاء.

قال النبي في الصَّحيح: «الكبائرُ: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرَّم الله، وعُقُوقُ الوالدين»[٢].

وذلك لأنه قَرَنَ شُكْرَهما بشُكْرِه، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٣].

وقال أيضًا: «لن يجزي وَلَدٌ والدَه إلَّا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»[٣].

وقال: «رَغِمَ أَنْفُه، رَغِمَ أنفُه، رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والدَيه عند الكِبَرِ؛ أحدهما/ أو كلاهما، ثمَّ لم يدخل الجنة»[٤]. ٢ [١٠١/أ]

= رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحُسَين المبارك بن عبد الجبَّار الطُّيوري، عن الخلَّال مؤلفه»، فهرس ابن خير: (ص٣٤٤)، ونسب له محمد سزكين كتاب «الأمالي»، منه نسخة بظاهرية دمشق، ترجمته في: تاريخ بغداد: (٤٥٤/٨)، والسِّيَر: (٥٩٣/١٧-٥٩٥)، وتاريخ التراث العربي: (٤٨٠/١).

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: (٥٩٧٧-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، رقم: (١٥١٠-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، رقم: (٢٥٥١-عبد الباقي).

وقال رجل: «يا رسول الله، من أحق بحُسْنِ صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»[١].

وقال ﷺ: «إنَّ الله حرَّم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وَهَاتٍ، وكَرِهَ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٢].

وسئل النبي: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، قيل: ثم أي؟ قال: بِرُّ الوالدين»[٣].

ورَوَى ابنُ عمر عن النبي قال: «خرج ثلاثة نفر يمشون، فأصابهم المطر فَأَوَوا إلى غار في جبل، فانحطَّت عليهم صخرة فأغلقت بابه، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عَمَلٍ عملتموه، فقال أحدهم: اللهمَّ إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب، ثم أجيء بالحِلَابِ أَبَوَيَّ فيشربان، ثم أسقي الصِّبْيَةَ وأهلي وامرأتي، فنَأَى بي الشَّجَرُ يومًا، فجئت وقد نامَا، فكرهتُ أن أُوقِظهما، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عند رِجْلِي، ولم يزل ذلك دَأْبِي ودَأْبَهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فُرْجَةً نرى منها السماء، قال: ففرَّج عنهم، ثم قال الآخَر: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنةُ عَمٍّ أحبُّها كأشد ما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟ رقم: (٥٩٧١-طوق).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة ﷺ: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: (٥٩٧٥-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله ﷺ: كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ووصينا الانسان بوالديه﴾، رقم: (٥٩٧٠-طوق).

يحبُّ الرجال النساء، فقالت: لا ينال ذلك منها حتى نعطيها مائة دينار، فسَعَيْتُ فيها حتى جمعتها، فلمَّا قعدت بين رِجْلَيْها قالت: اتق الله، ولا تَفُضَّ[1] الخاتم إلا بحقِّه، فقمتُ وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فُرْجَةً، قال: ففرَّج الله عنهم الثلثين، وقال الآخَر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرتُ أجيرًا بفَرَقٍ من ذُرَةٍ، فأعطيته وأبى أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفَرَقِ فزرعته حتى اشتريت منه بقرًا، ثم جاء فقال: يا عبد الله، أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورُعَاتِها فخذها، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت[2]: ما أستهزئ بك، ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم»[3].

وحديثُ جُرَيْجٍ العظيم الصحيح؛ ورُوِيَ: «أن بني إسرائيل كان فيهم رجل يقال له جريج، يصلي، فجاءته/ أمُّه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تُمِتْهُ حتى تُرِيَه وجوه المُومِسَاتِ، وكان جريج في صومعته، فتعرَّضت له امرأة وكلَّمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا، فقيل لها: ممَّن[4]؟ فقالت: مِنْ جريج، فأتوه فهدموا[5] صومعته، وأنزلوه وسَبُّوه، فتوضأ وصلَّى، وأتى الغلام فقال: من أبوك

٢ [١٠١/ب]

(١) في (ص): تفضنَّ.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): قلت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر ﷺ: كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بَرَّ والديه، رقم: (٥٩٧٤-طوق).

(٤) قوله: «فقيل لها: ممَّن» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): فكسروا.

يا غلام؟ قال: الرَّاعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا، إلَّا من طين»[١].

قال الإمام الحافظ[٢]: فجمع الله بين إجابة دعاء الأم وبين براءة[٣] الابن، ولا خلاف في ديننا أن الأبوين إذا دَعَيَا الرجل وهو في الصلاة أنه لا يُجِيبُهما، ولكنه يُخَفِّفُ.

واختلف العلماء إذا دعا النبيُّ أحدًا في الصلاة، بعد اتفاقهم على وجوب إجابته؛ هل تبطل الصلاة ويستأنفها؟ أم يُجِيبُ وتبقى الصلاة محفوظة؟ وقد بيَّنَّاه في «مسائل الخلاف»[٤].

وصحَّ[٥] أن النبي قال: «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه»[٦].

وأخبرني الطُّرْطُوشِي: «أنَّ البرامكة -على إلحادهم- لمَّا سُجِنُوا احتاج الأب إلى غُسْلٍ، فأخذ الابنُ الإناءَ وحَبَسَهُ على السِّرَاجِ اللَّيْلَ كلَّه حتى دَفِئَ، واغتسل به أبوه»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، رقم: (٢٥٥٠-عبد الباقي).

(٢) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام القاضي ﷺ.

(٣) في (ص): براءته.

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٨٤٦)، والمسالك: (٢/٣٧١).

(٥) في (د): روي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ﷺ: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم: (٥٩٧٣-طوق).

(٧) ينظر: أحكام القرآن: (٣/١٢٠٢).

ومن أَرْشَقِ عبارة في الباب قَوْلُ بعض المشايخ: «إنَّ البَرَّ هو الذي لا يُضْمِرُ[١] الشرَّ، ولا يُؤْذِي الذَّرَّ».

وأخبرني بدمشق الشريف الزَّاهد أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس بن الحُسَين، المعروف[٢] بابن[٣] أبي الجِنِّ[٤]، قال: أخبرني أبو نصر أحمد بن الحَسن بن الحُسَين الشِّيرَازِي داخل الكعبة - وكان حافظًا -: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن [رِيذَةَ[٥]] الضَّبِّي الأصفهاني بأصفهان قراءةً: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الحافظ الطبراني: حدَّثنا محمد بن خالد بن يزيد البَرْذَعِي بمصر: حدَّثني أبو سلمة

---

(١) في (د): يُضْمِر، ومرضها، وفي الطرة: يضهر، بضاد، ويجوز أن تكون: يظهر، وتُقرأ أيضًا: يضم.

(٢) قوله: «علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسين المعروف» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ابن.

(٤) الإمام الحافظ، الشَّريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن السَّيِّد الرئيس أبي الجِنِّ حُسَين بن علي، من ذرية الإمام الحُسَين بن الإمام علي ﵄، (٤٢٤-٥٠٨هـ)، كان مُحَدِّثًا نبيلًا، وثقة كريمًا، من أهل الأثر والرواية، ومن صدور أهل السنة والجماعة، وكان له اعتناء بالسماع والانتخاب، وحصَّل أصول نفيسة، أخذ عنه جماعة، ويروي ابنُ العربي من طريقه «المعجم الأوسط» لأبي القاسم الطبراني، ترجمته في: تاريخ دمشق: (٤١/٢٤٤-٢٤٧)، والسِّيَرِ للذهبي: (١٩/٣٥٨-٣٦٠).

(٥) في الأصول التي بين أيدينا: ربذة، وهو وهم، صوابه ما أثبت، وابن رِيذَة أحد رواة معاجم الطبراني، وتفرَّد في الدنيا بروايتها بعد شَاخَتِهِ، (٣٤٦-٤٤٠هـ)، ترجمته في: السِّيَرِ لابن الذهبي: (١٧/٥٩٥-٥٩٦)، وتبصير المنتبه لابن حجر: (٢/٦١٧).

عُبَيد بن خَلَصَة بمعرَّة النعمان: حدَّثنا عبد الله بن نافع المدني[١] عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى النبي[٢] فقال: يا رسول الله، إن أبي أَخَذَ مالي، فقال النبي للرجل: ائتني بأبيك، فنزل جبريل على النبي فقال: إن الله يقرئك السَّلام، ويقول لك: إذا جاءك الشيخُ فاسأله[٣] عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلمَّا جاء الشيخ قال له النبي: ما بَالُ ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال:/ سَلْهُ يا رسول الله، هل أُنفقه إلَّا على إحدى عمَّاته أو خالاته أو على نفسي؟ قال[٤] النبي: إِيهٍ، دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قُلْتَه في نفسك ما سَمِعَتْه أُذُنَاك، فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يَزِيدُنا بك يقينًا، لقد قلتُ في نفسي شيئًا ما سَمِعَتْه أُذُنَايَ، فقال: قُلْ وأنا أسمع، قال: قلت[٥]:

غَذَوْتُكَ مولودًا ومُنْتُكَ يافعًا ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتُنْهَلُ

إذَا ليلةٌ ضَافَتْكَ[٦] بالسقْمِ لم أَبِتْ ... لسقْمِكَ إلَّا ساهرًا أَتَمَلْمَلُ

كأنِّي أنا المطروقُ دونك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني فعَيْنَايَ تَهْمُلُ

تخافُ الردى نفسي عليك وإنَّها[٧] ... لتعلم[٨] أن الموت حَتْمٌ مُؤَجَّلُ

---

(١) في (د): المُزَني.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): رسول الله.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فسَلْه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): فقال.

(٥) قوله: «قال: قلت» سقط من (د).

(٦) في (ك): طافتك.

(٧) في (ك): إننا.

(٨) في (ك): لنعلم.

فلمَّا بلغتَ السِنَّ والغايةَ التي ... إليها رجائي فيك كنتُ أُؤَمِّلُ
جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفَظَاظَةً[١] ... كأنك أنت المنعمُ المُتَفَضِّلُ
فليتك إذْ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتي ... فعلتَ كما الجارُ المجاور يَفْعَلُ[٢]

قال: فحينئذ أخذ النبي بتَلَابِيبِ ابنه، وقال: أنت ومَالُكَ لأبيك.

قال سليمان: «لا يُرْوَى هذا الحديث عن محمد بن المنكدر بهذا التمام والشعر إلَّا بهذا الإسناد، وتفرَّد به عُبَيد بن خَلَصَة[٣]»[٤].

[ذِكْرُ بِرِّ أَهْلِ وُدِّ الوالدين]:

ومن بِرِّ الوالدين صِلَةُ أهل وُدِّهِمَا؛ لِمَا صحَّ عن النبي أنه قال: «إن مِن أَبَرِّ البِرِّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه»[٥]، ورُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال ﷺ: «رضى الرب في رضى الوالد، وسَخَطُ الرب في سخط الوالد»[٦]، خرَّجهما الترمذي.

---

(١) في (ب): فضاضة.
(٢) الأبيات من الطويل، وتنوزع فيها، وهي لأمية بن الصلت أشهر، وهي في الحماسة: (٤٤١/١)، وفي ديوانه: (ص٤٣٠).
(٣) في (ص): نضلة.
(٤) المعجم الأوسط للطبراني: (٦/٣٣٩-٣٤٠)، والمعجم الصغير: (٢/١٥٢-١٥٣)، وما ذُكِرَ فيه من الشعر مُنْكَرٌ غير صحيح، ينظر: المقاصد الحسنة: (ص١٠١).
(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عمر ﵄: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد، رقم: (١٩٠٣-بشار).
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو ﵄: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم: (١٨٩٩-بشار)، ورجَّح أبو عيسى وَقْفَه.

أخبرني الشَّريف أبو الحسن الشَّامي[١]: أخبرنا أبو محمد الجَوْهَرِي في كتابه[٢]: حدَّثنا[٣] أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الوزير: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البَغَوِي: حدَّثنا محمد بن عبد الوهاب[٤]: حدَّثنا عبد الرحمن بن الغَسِيل عن أُسَيْدٍ عن أبيه علي بن عُبَيد عن أبي أُسَيْدٍ - وكان بَدْرِيًّا[٥]- قال: «كنتُ عند النبي جالسًا، فجاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، هل بقي من بِرِّ والديَّ من بعد موتهما شيء أَبَرُّهما[٦]؟ قال: نعم، تُصَلِّي عليهما، والاستغفار لهما، وإِنْفَاذُ عهدهما بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي/ لا رَحِمَ لك إلَّا من قِبَلِهما، فهو[٧] الذي يبقى عليك»[٨].

٢ [١٠٢/ب]

---

(١) هو الشريف ابنُ أبي الجن، وكنَّاه ابنُ العربي هنا بأبي الحسن، على ما اشتهر من تكنية من كان اسمُه عَلِيًّا بأبي الحسن، وكُنْيَتُه التي كُنِّيَ بها وارتضاها لنفسه هي: أبو القاسم، ونَسَبَه ابنُ العربي إلى الشام، وقد تقدَّمت ترجمته، ينظر: أحكام القرآن: (١٢٠١/٣)، وفيها: الشاشي، وهو تصحيف، صوابه: الشَّامِي.

(٢) لعله يعني: كتب أبي محمد الجوهري الحديثية، ويكون هذا الإسناد هو طريقه إلى كتب الجوهري، والحديث الذي أورده ابنُ العربي هنا في كتاب «حديث أبي الفضل الزهري»، وينظر في الذي بعده.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): أخبرنا.

(٤) في (ك): الوهاب.

(٥) في (ك): بَدَوِيًّا.

(٦) في طرة بـ (ك) :في خـ: أبرها.

(٧) في (ب): فهذا، وأشار إليه في (ك).

(٨) حديث أبي الفضل الزهري: (٦٤٩/٢)، رقم: (٧١٢).

ذِكْرُ بِرِّ المُعَلِّمِ:

وكما يَلْزَمُ بِرُّ الأبوين، كذلك يَلْزَمُ بِرُّ المُعَلِّمِين على المُتَعَلِّمِين؛ بأن يُقَبِّلُوا يَدَه، ويَمْشُوا إن رَكِبَ حوله، ويُعَظِّمُوا قَدْرَه، ويُعِينُوه في شُغْلِه، ويجعلوه قِبْلَتَهم، وينظروا إليه، ويَصْمُتُوا ويُصْغُوا ويتوقَّروا، ويستأذنُه في السؤال، ولا يحفظ زلَّته، ولا يطلب[١] عثرته[٢]، ويستر[٣] عورته، وينتظر فيئته، وهم بالحقيقة آكَدُ من الآباء في المَبَرَّةِ من وجه.

ومَرَّةً قَدِمَ علينا مدينة السَّلام حاجًّا سنة تسعين وأربع مائة القاضي أبو المُطَهَّرِ سعد بن عبد الله بن أبي الرَّجَاءِ، فكان فيما حدَّثنا عن أبي نُعَيْم الحافظ أنه قال: حدَّثنا[٤] أبو علي محمد بن أحمد بن الحَسن[٥]: حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدَّثنا مِنْجَابٌ: حدَّثنا علي بن مُسْهِر عن رَزِينٍ[٦] بَيَّاعِ الرُّمَّانِ[٧] عن الشعبي قال: «أراد زيد بن ثابت أن يركب، فوضع رِجْلَه في الركاب، فأمسك له ابن عبَّاس، فقال له: تَنَحَّ يا ابن عَمِّ رسول الله، فقال: إنَّا هكذا نصنع بالعلماء والكبراء»[٨].

---

(١) في (د): تطلب.

(٢) في (ك): غرته.

(٣) في (د): تستر.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): أخبرنا.

(٥) في (د): الحُسَين.

(٦) في (ك) و(د) و(ب): زِرِّ بن.

(٧) في (ك): الزماني، وفي (د): الرماني.

(٨) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة: (١١٥٤/٣)، رقم: (٢٩٠٧).

ذِكْرُ بِرِّ الشَّيْخِ المُسِنِّ:

وقد قال النبي صلَّى الله عليه: «ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسِنِّه إلَّا قيَّض الله له عند سِنِّه من يُكْرِمُهُ»[١].

قال علماؤنا: «في هذا الحديث تَنْبِيهٌ على أنَّ من أَكْرَمَ الأشياخ طال عُمْرُهُ، ومن قصَّر في حقهم وأهانهم قُصِفَ».

ذِكْرُ عائشة:

وهذه عائشة الصِّدِّيقَةُ من القانتات مع الخُلْطَةِ، ولكنها ممَّن عَرَتْها المِحْنَةُ للمِنْحَةِ[٢]، وبيَّن الله بأمرها أنه لا يخلو أَحَدٌ من البلاء؛ وربَّما كان في المحبَّة[٣] والولاء للأصفياء والأولياء، بل هو من أقوى أركانه وأعظم برهانه، قال ﷺ[٤]: «أَشَدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل»[٥].

وقد قال بعض الناس: «سئل النبي: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة[٦]، فكان ذلك سَبَبَ مِحْنَتِها، فأَخَذَ الله قَلْبَ رسوله عنها لحظة،

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء في إجلال الكبير، رقم: (٢٠٢٢-بشار)، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب».

(٢) في (د): المحنة.

(٣) في (ص): المحنة.

(٤) في (ك): صلى الله عليه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ، رقم: (٣٦٦٢-طوق).

وأخذ قَلْبَها عنه لحظة، حتى كان يدخل عليها فيقول: كيف تِيكُمْ؟ لا يقول: أهلي، ولا عائشة[١]»[٢].

وقالت هي لمَّا برَّأها الله: «بحَمْدِ الله لا بحَمْدِ أَحَدٍ»[٣]، قال الله سبحانه: ﴿لاَ تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

وَوَجْهُ/ الخَيْرِ فيه[٤]: أنَّ الله جعل لها بكل ذِكْرٍ تُذْكَرُه[٥] دَرَجَةً في الجنة[٦] تُرْفَعُ لها، وثوابًا يُدَّخَرُ، وأنه جعل براءتها وحيًا يُتْلَى، وتبرئتها قرآنًا تكلَّم الله به، كما قالت هي ﵂: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله في أمري بوَحْيٍ يُتْلَى، وإنَّما كنتُ أرجو أن يرى رسول الله رُؤْيَا»[٧]. [٢/١٠٣أ]

قال الله سبحانه: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ اَلْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ [النور:١٢]؛ عاتبهم على بَسْطِ ألسنتهم عليها، وتَرْكِهم الاحترام لحُرْمَةِ رسول الله ﷺ.

ثم قال: ﴿لَّوْلاَ جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَاتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٓئِكَ عِندَ اَللَّهِ هُمُ اُلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور:١٣]، يعني بقوله: ﴿عِندَ اَللَّهِ﴾: في عِلْمِه وحُكْمِه جميعًا، وهذا في شأن عائشة قطعًا، وفي غير عائشة يقول: إنهم الكاذبون عند الله في حُكْمِه، ولا يقول: في علمه، وقد بيَّنَّا ذلك في الآية في «أنوار الفجر» وغيرها.

---

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٧).
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) في (ك) و(ص) و(ب): منه.
(٥) في (د): تذكرة.
(٦) قوله: «في الجنة» سقط من (د) و(ص) و(ب).
(٧) سبق تخريجه.

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [النور:١٤]؛ أخبر أنَّ جُرْمَهم وإن كان عظيمًا فإنه داخلٌ في عظيم حِلْمِه، وأن الله ينتقم لأوليائه ما لا ينتقم لنفسه، فهؤلاء الكفار يقولون فيه ما يستحيل وجوده ولا يَحِلُّ ذِكْرُه، وهو يُعَافِيهم ويرزقهم، ولكن ما يتعلَّق به حقوق أوليائه -وخاصَّة رسول الله- فإنه عظيم عنده[١].

ثم قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ الآية، بالغ في الشكاية عنهم بما فعلوه من إذاية رسول الله وعائشة، وآل أبي بكر، وجميع المؤمنين.

ثم قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]، وحَقُّ المؤمن ألَّا يستعظم طاعة ولا يستصغر معصية، ولكن ينظر إلى من عَصَى ومن خالف وإلى أمر من ضيَّع، فقد قال العلماء: «إن يسير[٢] الزلَّة إذا[٣] لاحظها العَبْدُ بعين الاحتقار عَظُمَتْ وأحبطت كثيرًا من الأحوال، وقد يستحقر اليسير من الطاعة فيكون[٤] فيها نجاته»[٥].

ثم قال: ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور:١٦]، سَمَاعُ الغِيبَةِ مِثْلُ الغِيبَةِ؛ لأنه تَتْمِيمٌ لقصد القائل،/ وإبلاغٌ له أمله[٦]. [١٠٣/ب]

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٥٩٨).

(٢) في (ص): أن يستر.

(٣) في (د): إذ.

(٤) في (ك): تكون.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٨-٥٩٩).

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٩).

ثمَّ قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾، أي: تنزَّهت وتَعَالَيْتَ.

فإن قيل: وأيُّ تَسْبِيحٍ هاهنا للباري؟

قُلنا: فيه أعظم تسبيح وتقديس له، وذلك تنزيهُ فِرَاشِ[1] نَبِيِّه عن المعصية، وهو يتعالى ويتقدَّس عن أن يُدَنَّسَ[2] فِرَاشُ[3] رسوله.

قال ابن عباس مُعَلِّمًا لهذه المسألة ومُبَيِّنًا لهذا التوحيد حين سمع قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠]، قال: «يعني: كَفَرَتَا، والله ما بغت امرأةُ نَبِيٍّ قَطُّ»[4].

فيجب أن يقول القائل إذا سمع مثل هذا: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٧].

قال بعضُ المُفَسِّرِينَ: «تعلَّق بهذا قَوْمٌ في أن مَن بَسَطَ لسانه في عائشة بعد هذا لم يكن مؤمنًا بظاهر هذه الآية، ولَعَمْرِي إنَّ قائل ذلك مُرْتَكِبٌ[5] كبيرةً، ولا يخرج عن الإيمان بذلك»[6].

---

(١) في (ص): قرائن.

(٢) في (ص): تَدْنَسَ.

(٣) في (ص): قرائن.

(٤) تفسير الطبري: (٢٣/١١٢-التركي).

(٥) في (ب): لمرتكب.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٩٩).

قال الإمام الحافظ[1]: حاشا لله، بل هو كافر؛ لأنه كذَّب الله الذي برَّأها، والكفر يكون بوجهين:

أحدهما: أن يُكَذِّبَ الله.

الثاني: أن يَكْذِبَ على الله، على التفصيل المعلوم في «كُتُبِ الأصول».

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ [التحريم:٥] الآية؟

قُلْنَا: هذه الآية نزلت حين اجتمع نساءُ رسول الله ﷺ في الغيرة عليه، فقال لهنَّ[2] عمر: «عسى ربُّه إن طلقكنَّ أن يبدله أزواجًا خيرًا منكنَّ»[3]، ولو طَلَّقَ كذلك كان يكون، ولكن سَبَقَ في عِلْمِ الله أنه لا يُطَلِّقُ، وأنه ليس هنالك خَيْرٌ منهن، فخرج الكلام على التقدير الممكن لا على ما أخبر به، وهي أحد التسعة المعاني التي وافق فيها عُمَرُ ربَّه، على ما بيَّنَّاه في «شرح الحديث»، وقد فَاتَتْهُ الموافقة في مسألتين بيَّنَّاهما في «شرح الحديث[4]».

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام القاضي ﷺ.

(٢) في (ص): له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة المتحرِّم، رقم: (٤٩١٦-طوق).

(٤) بعده في (د) لحق، ولم يظهر لي منه شيء، وكأنه ترجمة لما يأتي بعد، والله أعلم.

[طهارةُ نساء رسول الله ﷺ]:

وليس في نساء النبي نَقْصٌ ولا مَغْمَزٌ ولا مَغْمَصٌ[١] في شيء، وإنَّما هنَّ مسلمات مؤمنات، قانتات تائبات، عابدات سائحات، خَيِّرَاتٌ في جملة النساء.

[ذِكْرُ الحُورِ العِين]:

والخَيِّرَاتُ بالمطلق من الاسم[٢] هُنَّ الحُورُ العِينُ؛ فإنَّ الخير في الأصل/ هو النفع الذي لا ضُرَّ فيه[٣]، والحَسَنُ الذي لا قُبْحَ معه، والمُلَائِمُ الذي لا منافر له. ٢ [١٠٤/أ]

قال الله سبحانه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٦٩]، وقد قدَّمنا صفاتهن في «المقامات»[٤]، عند ذِكْرِ الجنة وصفاتها.

وقال المُحَقِّقُونَ من المُفَسِّرِينَ: «إنَّ قوله: ﴿خَيْرَاتٌ﴾؛ إشارة إلى الأخلاق، وقوله: ﴿حِسَانٌ﴾؛ إشارة إلى الخَلْقِ[٥]»[٦].

فأمَّا الخَيْرُ في الشريعة فهو عبارةٌ عن كل شيء يزيد نفعُه على ضُرِّه، وضِدُّه الشَّرُّ؛ كل شيء زاد ضُرُّه على نَفْعِه، والمسألة عظيمة المَأْخَذِ، كثيرة

---

(١) في (ك): مغمض.

(٢) قوله: «من الاسم» سقط من (ص)، وفي (ك) و(ب): بالاسم.

(٣) في (د): معه.

(٤) في السفر الأوَّل.

(٥) بعده في (د): معًا.

(٦) لطائف الإشارات: (٣/٥١٥).

الخلاف، فَصْلٌ من فصول التعديل والتجوير[1] والصَّلاح والأصلح، رُكْنُ التوحيد في الأفعال، وقد جئنا فيه ببدائع في «كُتُبِ الأصول»[2].

* * * * *

(١) في (ص): التجويز.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٧).

الخَيِّرُ[(١)]: وهو الاسمُ الثالث ومائة[(٢)]

وحَقِيقَةُ الخَيِّرِ عند أهل السُّنَّةِ: من تفضَّل بفِعْلِ الخَيْرِ[(٣)]، وخَيْرُ المَوْجُودِينَ من تفضَّل بخير الأفعال.

والشِّرِّيرُ من تعدَّى بالشَّرِّ[(٤)]، وشَرُّ الموجودين من تعدَّى بشَرِّ الأفعال.

وخَيْرُ الأفعال ما قَرَّبَ[(٥)] إلى خير الموجودين، وشَرُّ الأفعال ما قرَّب إلى شَرِّ الموجودين، وقد بيَّنَّا ذلك في «كُتُبِ الأصول».

وإنَّما قلنا هذا كله لأنَّ الباري عندنا فاعلُ الخير والشر، لا فاعل غيره، ولا يقال: إنه شِرِّيرٌ، وهو خالق الظلم، ولا يقال: إنه ظالم[(٦)].

وقالت القدرية: «إنَّ الخَيِّرَ من فَعَلَ الخَيْرَ، والشِّرِّيرَ من فَعَلَ الشَّرَّ».

ولَبَسَتْ بذلك على إلحاد عظيم، ولَبِسَتْ[(٧)] منه بثَوْبٍ في التعطيل بَهِيم.

---

(١) في (ك) و(ص): والخير.

(٢) في (ك): الحادي والمائة، وفي (ص): الثالث والتسعون، وفي (ب): الثاني والتسعون.

(٣) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٧).

(٤) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٧).

(٥) في (ص): قَرُب.

(٦) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢٩٦).

(٧) في (د): تردت.

قال أبو المظفر الإسفرايني[١]: «الدَّلِيلُ على صحة ما قُلْنَا أنَّ الدليل قد قام على أنَّ الباري خالق الأسقام والآفات والجوائح، ولا يقال: إنه شِرِّير، والمسلمون يقتلون الكفار ويَسْتَرِقُّونَهم ولا يكونون بذلك شِرِّيرِين، لمَّا لم يكونوا مُتَعَدِّين، ولكن قد جرى في عُرف الناس أن الخَيِّرَ منهم[٢] من فَعَلَ الخَيْرَ، والشِّرِّير منهم من فَعَلَ الشَّرَّ».

فإذا قلتموه فحَقِّقُوه، واعلَمُوا قَدْرَه ونَزِّلُوه على الاعتقاد الصحيح؛ لئلَّا تَضِلُّوا بموافقة المبتدعة على ما صاروا إليه من النِّحْلَةِ الفاسدة.

٢ فالخَيِّرُ منكم هو المُمْتَثِلُ لِمَا حُدَّ له، والشِّرِّيرُ هو المُتَعَدِّي لما حُدَّ له، فمن كان باطنُه خَيِّرًا في أخلاقه وظاهرُه خَيِّرًا في أفعاله فهو الخَيِّرُ/. [١٠٤/ب]

وقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

رُوي في الحديث[٣] الصحيح: «كاد الخَيِّرَانِ أن[٤] يَهْلَكَا - يعني: أبا بكر وعمر -؛ رَفَعَا صوتهما عند النبي حين قَدِمَ عليهما رَكْبُ بني تَمِيم، فأشار أحدُهما بالأَقْرَعِ بن حَابِسٍ أخي بني مُجاشِع، وأشار الآخَرُ برَجُلٍ آخَرَ، فقال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعُمَرَ: ما أَرَدْتَ إلَّا خِلَافِي، قال: ما أَرَدْتُ، فارتفعت أصواتُهما في ذلك؛ فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات:٢] الآية، قال ابن الزبير: فما كان عُمَرُ يُسْمِعُ رسولَ الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر»[٥].

---

(١) في (ك) و(ب): الإسفراني.

(٢) في (د): عندهم.

(٣) سقط من (ك).

(٤) سقط من (ك) و(ص).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن أبي مُلَيكة: كتاب التفسير، الحجرات، رقم: (٤٨٤٥-طوق).

وقال عمر بن الخطاب: «أبو بكر سَيِّدُنا وخَيْرُنا وأَحَبُّنا إلى رسول الله»[١].

وروى الترمذي عن النبي: «ما طَلَعَتِ الشمسُ على رَجُلٍ خَيْرٍ من عُمر»[٢].

وقال ﷺ[٣]: «خَيْرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قُرَيْشٍ؛ أَحْنَاهُ على وَلَدٍ في صِغَرِه، وأَرْعَاهُ على زَوْجٍ في ذَاتِ يَدِه»[٤].

وقال ﷺ[٥]: «خَيْرُ الناس قَرْنِي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عِمْران بن حُصَين[٦]: ولا أعلمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أو لا»[٧]، وذَكَرَ الحديث.

وقال: «خَيْرُ الناس رَجُلٌ مُمْسِكٌ بعِنَانِ فَرَسِه في سبيل الله، كلَّما سمع هَيْعَةً طار إليها»[٨].

وقال: «يُوشِكُ أن يأتي على الناس زَمَانٌ يكونُ خير مال المسلم فيها غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القَطْرِ؛ يَفِرُّ بدينه من الفتن»[٩].

---

(١) سَلَفَ تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٣٦٨٤-بشار)، ضعَّفه أبو عيسى.

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل نساء قريش، رقم: (٢٥٢٧-عبد الباقي).

(٥) في (ك): صلى الله عليه.

(٦) قوله: «قال عمران بن حُصَين» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) سَلَفَ تخريجه.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم: (١٨٨٩-عبد الباقي).

(٩) سلف تخريجه.

وفي النسائي وغيره: أن النبي قال لفاطمة بنت قيس: «أَمَّا معاوية فغُلَامٌ من غلمان قريش، لا شيء له، وأمَّا الرجل الآخَرُ فإنه صاحب شَرٍّ لا خَيْرَ فيه»[١]، وإنَّما أراد: صَاحِبَ شَرٍّ لأهله لا خير فيه لهم، وهو أبو جَهْمٍ، بدليل قوله في حديث آخَرَ: «وأَمَّا أبو جَهْمٍ فلا يَضَعُ عصاه عن عاتقه»[٢].

وفي النسائي أيضًا: عن النبي أنه قال: «إنَّ الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[٣].

قال الإِمَامُ[٤]: لِمَا في صلاحها من الخصال؛ إذ فوائدُ النكاح معلومة، وقد قدَّمنا جُمْلَتَها[٥]، وصلاحُ المرأة يجمعها، وبصلاحها لا تكون من أعدائه؛/ فيجتمعُ له بذلك قَضَاءُ الشَّهْوَةِ وحُصُولُ الدِّينِ. ٢ [١٠٥/أ]

وقال: «خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله»[٦].

وقال: «خَيْرُ دُورِ الأنصار دُورُ بني النَّجَّار، ثم دُورُ بني عبد الأشهل، ثم بني الحارث بن ساعدة، وفي كل دور الأنصار خَيْرٌ»[٧].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب النكاح، إذا استشارت المرأة رجلًا فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم؟ رقم: (٥٣٣٢-شعيب).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو ﵄: كتاب النكاح، المرأة الصالحة، رقم: (٥٣٢٥-شعيب).
(٤) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﵁، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﵁.
(٥) في (ص): جُمَلَها.
(٦) تقدَّم تخريجه.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أُسَيْدٍ ﵁: كتاب مناقب الأنصار، باب فضل دُورِ الأنصار، رقم: (٣٧٨٩-طوق).

وقال في مكة: «إنَّكِ لخَيْرُ بلاد الله، وأحبُّ بلاد الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخرجتُ منك ما خرجتُ»[١].

وقال ﷺ: «والذي نفس مُحَمَّدٍ بيده لغِفَارُ وأَسْلَمُ ومُزَيْنَةُ ومن كان من جُهَيْنَةَ - أو قال: جهينة، ومن كان من مُزَيْنَةَ - خَيْرٌ عند الله يوم القيامة من أَسَدٍ وطَيِّءٍ وغَطَفَانَ»[٢].

وقال النبي ﷺ[٣]: «تكُونُ فِتْنَةٌ القاعدُ فيها خَيْرٌ من القائم، والقائم خَيْرٌ من الماشي، والماشي خَيْرٌ من السَّاعي»[٤]، وذَكَرَ الحديث.

وذكر الخوارج فقال: «يخرجون على خَيْرِ فِرْقَةٍ»، ورُوِي[٥]: «على حين فُرْقَةٍ من الناس»[٦].

وسن الحديث الصحيح المليح الثابت: قال أبو هريرة[٧]: «إنَّ رسول الله وقف على ناس جُلُوسٍ فقال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخَيْرِكُمْ من شَرِّكُمْ؟ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عدي بن حمراء ﷺ: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، رقم: (٣٩٢٥-بشار).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودَوْس وطَيِّءٍ، رقم: (٢٥٢١-عبد الباقي).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن سعد بن أبي وقَّاص ﷺ: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، بابُ ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، رقم: (٢١٩٤-بشار).

(٥) في (ك) و(ب): يخرجون على حين فُرقة، ورُوي: على خير فِرقة من الناس.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (١٠٦٤-عبد الباقي).

(٧) بعده في (ك) و(د): قال، وفي (ص): أنَّ أبا هريرة قال.

فسَكَتُوا، فقال ذلك ثلاث مرَّات، فقال رجل: بلى يا رسول الله؛ أخبرنا بخَيْرِنا من شَرِّنَا، قال: خَيْرُكُمْ من يُرْجَى خَيْرُه ويُؤْمَنُ شرُّه، وشَرُّكُمْ من لا يُرْجَى خَيْرُه ولا يُؤْمَنُ شَرُّه»[١].

ومن حديث عمر بن الخطاب: «ألا أخبركم بخِيَارِ أمرائكم وشرارهم؟ خِيَارُهم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشِرَارُ أمرائكم الذين تُبغضونهم ويُبْغِضُونَكُمْ، وتلعنونهم ويلعنونكم»[٢].

ورَوى عليٌّ بن أبي طالب[٣]: «إنَّا لجلوس مع رسول الله في المسجد؛ إذ طَلَعَ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ، ما عليه إلَّا بُرْدَةٌ له مَرْقُوعَةٌ بفَرْوٍ، فلمَّا رآه رسول الله بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم، ثم قال رسول الله: كيف بكم إذا غَدَا أحدُكم في حُلَّةٍ وراح في حُلَّةٍ، ووُضِعَتْ بين يديه صَحْفَةٌ ورُفِعَتْ أُخرى، وسَتَرْتُمْ بيوتكم كما تُسْتَرُ الكعبة، قالوا: يا رسول الله، نحن يومئذ خَيْرٌ منَّا اليوم؛ نتفرَّغ للعبادة، ونُكْفَى المَؤُونَة، فقال رسول الله ﷺ: أنتم اليوم/ خَيْرٌ منكم يومئذ»[٤]، حديث حَسَنٌ. [١٠٥/ب]

ورَوَتْ أمُّ مَالِكٍ البَهْزِيَّةُ قالت[٥]: «ذَكَرَ رسولُ الله فِتْنَةً فقرَّبها، قالت:

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٢٦٣-بشار).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٢٦٤-بشار)، ضعَّفه أبو عيسى.

(٣) في (د): رُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٧٦-بشار).

(٥) في (ص) و(ب): قال.

قلتُ: يا رسول الله، من خَيْرُ الناس فيها؟ قال: رَجُلٌ في ماشيته يؤدي حقَّها ويعبدُ ربَّه، ورَجُلٌ آخِذٌ بعِنان فَرَسِه يُخِيفُ العدوَّ ويُخيفونه»[١].

[تفسيرُ الخير الذي ورد في النصوص المتقدمة]:

فأمَّا قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ ففي البخاري عن أبي حازم عن أبي هريرة في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «خير الناس للناس؛ يأتون بهم في السَّلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[٢].

وهذه إشارة إلى ما مَنَّ الله به من إحلال الغنائم لنا، فيأتي بالأَسْرَى في رِقٍّ ورِفْقٍ، حتى يحملهم ذلك على الإيمان، وكم من مُسْلِمٍ حَنِيفِيٍّ عَالِمٌ لا يُحْصَى لهم عَدَدٌ كان في الدين بهذه الحالة، ومَن كان قَبْلَنا إنَّما كان القَتْلُ مَحْضًا.

وأمَّا قوله: «كاد الخَيِّرَانِ أن[٣] يهلكا[٤]»؛ يعني: أبا بكر وعمر؛ فإن الهلاك لا يليق بهما ولا يُنسب إليهما، وإنَّما عنى القائل لذلك -ابنُ أبي مُلَيكة- نزولهما عن مرتبتهما التي أنزلهما فيه رسول الله ويسَّرها الله لهما؛ من قوة الإيمان، ولزوم الاستقامة، والمحافظة على الحدود، والعمل بعَلِيِّ

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة؟ رقم: (٢١٧٧-بشار)، ضعَّفه أبو عيسى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب التفسير، سورة آل عمران، رقم: (٤٥٥٧-طوق).

(٣) سقط من (ك) و(ص).

(٤) في (ك) و(د): يهلكان.

الأعمال في كل الأحوال، ولا يناسب ذلك الاختلاف عند النبي؛ فإنه لا ينبغي عند النبي التنازع، إذ[١] التنازع إنما يكون عند الجهل، ولا جَهْلَ بحضرته؛ فإنه يَنْبُوعُ العلم.

ورَفَعَا أصواتهما بمجلسه فكان ذلك[٢] مخالفًا للتوقير، وسكت على ذلك النبي لعِلْمِه بحُسْنِ نِيَّتِهما وسلامة طَوِيَّتِهما، وأنَّهما أرادَا الخير، ولكن فَاتَهما في قَصْدِ الخير إتيانُ التنازع ورَفْعُ الصوت نسيانًا، فحذَّرهما الله عن الوقوع في مثل ذلك بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، ونَبَّهَهُما على ما كَانَا غافلين عنه غير مُتَعَمِّدَيْنِ له، فحَقَّقَ عُمَرُ التوبة ولَزِمَ الإنابة، فكان لا يُكَلِّمُه بعد ذلك إلَّا كأَخِي السِّرَارِ.

٢ وفي هذه الآية فوائدُ منها: أنه شرَّفهم بالإيمان في ابتداء المخاطبة، ثم أعلمهم بعد ذلك ما ألزمهم؛ وذلك ألَّا يتقدَّموا بين يَدَي رسول الله/ [١٠٦/أ] بأَمْرٍ، وأن يَقِفُوا حيث وَقَفَ بهم النهي والأمر، وأن يرفعوا[٣] إليه ما هو إليه، ولا يبتدئون من ذات أنفسهم شيئًا، ولا يُنْشِؤون[٤] معنًى، ولا يسوقون لفظًا، فيكون على رَسْمِ الاقتداء والاتباع، لا في سبيل الابتداء والابتداع[٥].

---

(١) في (د): إذا.
(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٣) في (ك) و(ص): يُرجعوا.
(٤) في (ك): ينشرون.
(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٣٧).

ثُمَّ أكَّد عليهم الخطاب في لزوم الآداب؛ بألَّا يرفعوا[1] فوق صوته صوتًا، ولا يرقبون[2] له وقتًا، ولا يقصدون غير سَمْتِه سَمْتًا، ولا يحملهم بَسْطُه لأخلاقه معهم ومؤانسته[3] لهم على أن يُسَاوُوهُ في الخطاب، ولا يُعلنوا بحضرته في الكلام[4].

[فضائلُ أبي بكر الصديق ﵁]:

وأمَّا قَوْلُ عمر: «أبو بكر سيدنا وخَيْرُنا»[5]؛ فصِدْقٌ.

أمَّا «السَّيِّدُ» فقد تقدَّم بيانُه.

وأمَّا خَيْرُه فلم يكن[6] أنفع للدين منه، ربَّى الإسلام -**أوَّلًا**- بتصديقه دون غيره[7].

الثاني: بعَضْدِه للنبي وتأنيسه له.

الثالث: بخروجه عن ماله.

الرابع: بدعائه للأصحاب[8]؛ فأَسْلَمَ على يَدَيْه جملة وافرة.

الخامس: بفِدائه الأسرى.

---

(١) في (ك): يرفعون.

(٢) في طرة بـ (د): في خـ: يرقبوا.

(٣) في (ك): مواسته.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٤٣٧).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) بعده في (د) لَحَقٌ لا يظهر منه كبير شيء، فقط حرف واحد، وفوقه علامة صح، والله أعلم.

(٧) في (د): ربى الإسلام أوَّلًا، الثاني: بتصديقه دون غيره.

(٨) في (د): الأصحاب.

السَّادس: بصحبته[١] في الغار.

السَّابع: بالمسابقة في الهجرة على سائر الصحابة.

الثامن: بحُسْنِ الصحبة من غير هَفْوَةٍ.

التاسع: بسَعَةِ[٢] العلم والمعرفة.

العاشر: بحُسْنِ الخلافة بعد النبي.

الحادي عشر: بأن كل من قُدِّمَ خليفة أو نُصِّبَ عاملًا في مَائِهِ جرى الدِّينُ، وعلى منواله حَاكَ جميعُ المسلمين.

الثاني عشر: استخلافُه عمر.

الثالث عشر: جَمْعُ القرآن.

الرابع عشر: صَرَامَتُه في الرِّدَّةِ؛ حتى شدَّ من الإسلام العُقْدَةَ، ولهذا لمَّا وُزِنَ بجميع الأمة رَجَحَهم.

وأمَّا قوله: «وأَحَبُّنَا إلى رسول الله»؛ فلم يُحِبَّ رسولُ الله من الرجال محبته لأبي بكر، ولا من النساء محبته لعائشة، قال عَمرو بن العاصي: «من أحب إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها»[٣]، وقال النبي فيه لعمر: «هل أنتم تاركون[٤] لي صاحبي[٥]؟»[٦]، وقال: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلام»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): بالصحبة.

(٢) في (د): لسعة.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): تاركوا.

(٥) في (د): أصحابي.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) تقدَّم تخريجه.

٢ [١٠٦/ب]

وأمَّا حديث الترمذي في قوله: «ما طلعت الشمس على رجل خير من عُمر»[١]؛ فإنه يعني: بعد أبي بكر؛ لأنه من حسنات أبي بكر. /

وأمَّا خيريته صلى الله عليه[٢] لنساء قريش فقد بيَّنها بقوله: «أحناه على وَلَدٍ»[٣]، إلى آخِرِ الحديث.

وأمَّا قوله: «خَيْرُ القرون قَرْنِي»[٤]؛ فإنه لكذلك، فإنه ليس من فضيلة ولا خصلة إلَّا وهم إليها أسبق، وبها أحق، وهي فرقة لا تُدانى ولا تُلْحَقُ، وأمَّا من ظنَّ أن ذلك بسبقهم في الزمان فقد أخطأ؛ فإنما سبقوا في الفضائل حين سبقوا، أو لا ترى أن زمانهم آخر الأزمنة وهم خير أمة؟ فليس للزمان في ذلك حَظٌّ، والذي جاء بعدهم أَحَطُّ منهم، لما فاتهم من مرتبتهم، وكذلك الدِّينُ يضعف حتى يذهب، ويَحُولُ حتى يزول.

وأمَّا قوله ﷺ: «خَيْرُ الناس رَجُلٌ مُمْسِكٌ بعِنَانِ فرسه في سبيل الله»[٥]؛ فظنَّ بعضهم أن ذلك عند فساد الزمان، وليس ذلك إلَّا في كل حال، فإنه لا يَعْدِلُ عَمَلٌ الجهادَ في سبيل الله.

فإن قيل: إلَّا ذِكر الله؛

قلنا: لا يمنع الجهادُ من ذِكْرِ الله؛ فرَجُلٌ يذكر الله في الجهاد خَيْرٌ من رجل يذكره في غير الجهاد.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) تقدَّم تخريجه.

وأمَّا قوله ﷺ[(١)]: «خَيْرُ مال المسلم غَنَمٌ[(٢)]»[(٣)]؛ فإنَّ المال خير في الجملة، لما فيه من المنفعة الدنيوية في إقامة النفس، والدينية في تَوْفِيَةِ الحقوق، ويختلف ذلك بالأزمان والأحوال والأعيان، فقد يأتي زَمَانٌ تكون فيه العزلة خيرًا من الصحبة، ويكون خير مال المسلم أحله أكلًا، وأقله شُغْلًا، وأخفه مَؤُونَةً؛ غُنَيْمَةٌ في شَعَفِ جَبَلٍ، أو على عُيَيْنَةِ مَاءٍ يكون معها، ويَعْبُدُ الله فيها ومنها.

وأمَّا قوله ﷺ: «خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله»[(٤)]؛ فإنَّ النفع إن كان محمودًا ففي الأهل أولى، وفي القرابة أحرى، حتى إن الصدقة على الأهل أفضل من الصدقة على الأجانب؛ كانت فرضًا أو تطوعًا، إلَّا أن يكون مِن أهلك مَن تلزمك نفقته، فلا تَحِلُّ له صدقتك لما تدفع به عن نفسك ما[(٥)] لَزِمَك له، وإذا لم تلزمك نفقتُه فادفعها إليه.

فإن قيل: يخاف المحمدة؛

٢ قلنا: لا بد من[(٦)] أن يُحْمَدَ الرجل على ما فَعَلَ من الخير، ويجوز له أن يُحِبَّ الحَمْدَ على ما فَعَلَ من الخير، وإنَّما المذموم أن/ يُحِبَّ أن يُحْمَدَ بما لم يَفْعَلْ. [١٠٧/أ]

---

(١) قوله: «ﷺ» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): غنمًا.

(٣) تقدَّم خريجه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص): ممَّا.

(٦) سقطت من (ك) و(ب).

وإذا خرج الرجل بصدقته إلى ذَوِي رَحِمِه فقد فَعَلَ خَصْلَتَيْنِ عظيمتين ؛ أدَّى الذي عليه ، ووَصَلَ رَحِمَه ، وقد بيَّنَّا ذلك في كتاب «الأحكام»[١] ، وذَكَرْنَا فيه نَصَّ النبي عليه السَّلام[٢].

وقد تَأَيَّمَتْ أمُّ سَلَمَةَ من أبي سلمة ، فقال لها النبي: «قُولِي: اللَّهم اجُرني في مصيبتي ، وأَبْدِلْنِي خيرًا منها ، فقلتُ: ومَن خَيْرٌ من أبي سلمة ؟ أوَّل بيت هاجر إلى رسول الله ، ثم إني قُلْتُها فأَخْلَفَ الله لي رسولَ الله ﷺ[٣]»[٤].

[المفاضلةُ بين دُورِ الأنصار]:

وأمَّا مفاضلة النبي بين الدُّورِ من الأنصار فبأسباب بَيِّنَةٍ وخَفِيَّةٍ ، فيها تطويلٌ كثير ، بيانُها في «أنوار الفجر» ، والجملة التي تدلكم على هذا بأن تجمعوا مَشْيَخَةَ الأنصار وتَرُدُّوهُمْ إلى آبائهم ، ثم تنظروا في خصالهم ، فتجدون خِصَالَ من قدَّم النبيُّ أكثر وأكبر من خصال من أَخَّر ؛ ممَّن سبق إلى الإيمان وكان له أَثَرٌ حميد في عَضْدِ النبي والمواساة ، وإنَّما ينفع السبق في الزمان مع السبق في الخصال ، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ في الصحابة:

---

(١) أحكام القرآن: (١/١٤٥-١٤٦).

(٢) الإشارة هنا إلى حديث: «لهما أجران ، أجر القرابة وأجر الصدقة» ، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ، رقم: (١٠٠٠-عبد الباقي).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجنائز ، جامع الحسبة في المصيبة ، (١/٢٨١) ، رقم: (٦٣٨-المجلس العلمي الأعلى).

«لو أنفق أحدُكم مثل أُحُدٍ ذَهَبًا كلَّ يَوْمٍ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[١]، ومن شَرَفِ بني النجَّار الذي تقدَّم كَوْنُهم[٢] آباءَ النبي ورَهْطَه.

[المفاضلةُ بين مكة والمدينة]:

وأمَّا قوله في مكَّة: «إنَّك لخَيْرُ بلاد الله»[٣]؛ فقد بيَّنَّاه في «مسائل الفقه»[٤]، ورجَّحنا بين مكَّة والمدينة، والله أعلمُ بذلك.

وأمَّا تفضيله بين القبائل العربية فكتفضيله بين الدُّورِ الأنصارية حرفًا بحَرْفٍ.

[ليس في شيء من الفتنة خير]:

وأمَّا قوله في الفتنة: «القاعدُ فيها خَيْرٌ من القائم»[٥]؛ فليس في شيء من الفتنة خَيْرٌ، ولكنه عبَّر عن الأقل إِثْمًا بأنه خَيْرٌ من الأكثر إثمًا، وقِلَّةُ الإثم بالإضافة إلى كثرته خَيْرٌ كثير.

[عَلِيٌّ وفِرْقَتُه خَيْرٌ من مُعَاوِيَةَ وفِرْقَتِه]:

وأمَّا قوله في[٦]: «الخوارج يخرجون على خير فِرقة»؛ فقد رُوي فيه: «على حين فُرقة»[٧]، وأنا أقول: إنهم خرجوا في وقت فُرقة، وعلى[٨] خير

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ص): أنهم.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) ينظر: المسالك: (١٩٥/٧).

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) تقدَّم تخريجه.

(٨) سقط من (د)، وفي (ب): ولا على.

فِرقة[١]، فعَلِيٌّ وفِرْقَتُه خَيْرٌ من معاوية وفِرْقَتِه، وكُلٌّ مجتهد، وقد بيَّنَّا حالهم في كتاب «العواصم» وغيره.

وأمَّا تفسيره صلى الله عليه[٢] لخيارنا من شرارنا فمقبول مُمْتَثَل، وصحيحٌ عليه ينبغي أن يعوَّل، وبه فليعتَمَلْ.

وأمَّا حديثُ «الأُمَرَاءِ»[٣] فهو وإن لم يكن صحيح السَّنَدِ إنَّه لصحيح/ [١٠٧/ب] المعنى.

وأمَّا قوله في حديث مصعب بن عمير: «أنتم اليوم خَيْرٌ منكم حينئذ»[٤]؛ فصَدَقَ صلَّى الله عليه[٥] من وجهين:

أحدهما: حياته، وهي خَيْرٌ من الدنيا، وزمانُها خَيْرُ الأزمنة.

الثاني: أنَّ الدنيا إذا فُتِحَتْ والأموال إذا كَثُرَتْ انتشرت الفتن، وتغيَّرت القلوب، وتقاطعت الأرحام، وتنافس الخلق وتقاتلوا، وذهبت الأديان، وتَضَافَرَ الخَلْقُ على المعصية، وتعاونوا على الإثم والعدوان، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا من الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون؛ يغترُّون[٦] بما أمدَّهم الله به من مال وبَنِينَ، وصحة

---

(١) قوله: «فقد رُوي فيه: على حين فُرقة، وأنا أقول: إنهم خرجوا في وقت فُرقة، وعلى خير فِرقة» سقط من (ص).

(٢) في (د) و(ص): ﷺ.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ب) و(ص): ﷺ.

(٦) سقطت من (ك).

ونعيم، وتَأَتِّي آمَالٍ، وصلاح أحوال، وظهور إقبال، وطمع[١] في غرور، وتَمَنٍّ على الله، ولله تعالى عاقبة الأمور[٢].

وأمَّا قوله: «خيركم من يُرْجَى خيره ويُؤْمَنُ شرُّه»[٣]؛ فقد تقدَّم في قوله: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٤].

وقال النبي[٥] ﷺ[٦]: «المؤمن القوي خَيْرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خَيْرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن به ولا تعجز، وإن أصابك شَيْءٌ فلا تقل: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عَمَلَ الشيطان»[٧]، خرَّجه مسلم وحده، وهذا لفظُه.

وأَصْلُ الخير الإيمانُ، ومنتهاه الولاية، وما بينهما درجات، وبمقدار ما يكون فيه من الطاعة والقُرْبَةِ[٨] يكون فيه من الخير، وفي الحديث

---

(١) في (ك) و(ب): أو طمع.

(٢) قوله: «تضافر الخلق .. عاقبة الأمور» تأخَّر في (ك) و(ب) و(ص) إلى ما بعد اسم «المُتَّقِي».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) لم يرد في (ك).

(٦) في (ك): صلى الله عليه.

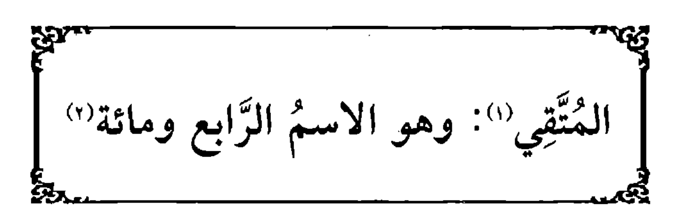
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب القدر، بابٌ في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم: (٢٦٦٤-عبد الباقي).

(٨) في (ك): المعرفة، وفي (ص): الفرقة، وهو تصحيف.

المتقدم: «أخرجوا من النار مَن في قلبه ذَرَّةٌ من خير»[١]، وهي أقل ما يُجْزِئُ من الإيمان والتوحيد، بالإضافة إلى ما وراءه، ولا خير إلَّا بالتقوى.

* * * * *

(١) سبق تخريجه.



المُتَّقِي(١): وهو الاسمُ الرَّابع ومائة(٢)

والتقوى(٣) مقامٌ عظيمٌ، واسمٌ كريمٌ، وبابُ الجنة المُشْرَعُ، وإلى الله المرجعُ، وبيانُها قد سبق في هذا الكتاب وغيره، وأنَّها تَفْعِلَةٌ، مِنْ وَقَى يَقِي، إذا اتَّخذ وِقَايَةً، وهي الستر، وهاهنا نكتة بديعة بيَّنَّاها في «أنوار الفجر»؛ لُبَابُها:

إنَّ الله خَلَقَ العَبْدَ على الفطرة، وسلَّط عليه الشيطان، وخَلَقَ فيه الشهوة، وأمره ونهاه، وحذَّره وبصَّره، وقدَّر عليه ما قدَّره، وجعل له ٢ العقل(٤)/ [١٠٨/أ] فخذله أو نصَره، ونبَّهه على أن يجعل بينه وبين النار حجابًا، فالشهوة تجذبه إليها، والعقل يردُّه عنها، والشيطان يُغويه، والمَلَكُ يُرْشِدُه، والربُّ يُدَبِّرُه، والقضاء ينفذُ عليه، وقضاءُ الله لا يُعَارَضُ أَمْرُه بالاحتراس والاختتال(٥) والاحتيال(٦)، والاجتناب واتخاذ الوقاية، فإنه قضى على كل أَحَدٍ بما قضى، وجعل العمل علامة على ما يستقبل وعلى ما مضى، قال

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني والمائة، وفي (ص): الرابع والتسعون، وفي (ب): الثالث والتسعون.

(٣) قبلها في (ك) و(ص): الشريف، وفي (ب): هو اسم شريف.

(٤) في (ك): في خـ: الفعل.

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): الامتثال.

(٦) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

النبي ﷺ لأصحابه: «فَرَغَ ربكم، قالوا: فيم العمل؟ قال: اعملوا، فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، أمَّا من كان من أهل السعادة فَسَيُيَسَّرُ لعمل أهل السَّعادة، وأمَّا من كان من أهل الشقاوة فَسَيُيَسَّرُ لعمل أهل الشقاء[1]، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]»[2].

إذا ثَبَتَ هذا فعليه يَجْرِي الأمرُ في ذلك والنهيُ والابتلاء، ومنه يكون التحفظ والاتقاء، وإنَّما تتخذ الوقاية من جهة المخافة، والوجوهُ المَخُوفَةُ وأسبابُ المخافة لا حدَّ لها، إلَّا أن العلماء قالوا: إنَّ ذلك ينحصر فيما نبَّه عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر:٤٣-٤٤]، فأخبر تعالى أن الجنة لها ثمانية أبواب، وأن النار لها سبعة أبواب[3]، فعلى العبد أن يستفتح أبواب الجنة ويُغْلِقَ أبواب النار.

وقد تسلَّط على هذه الأبواب[4] الخَلْقُ، واتَّسَعَ لهم فيها الخَرْقُ، وما تكلَّم أَحَدٌ منهم عليها بحَقٍّ، وأشدهم في ذلك شَكِيمَةً وأعظمهم خطأً المُفَسِّرُونَ[5]، وأعداهم بعد ذلك الغُلَاةُ من الصوفية.

---

(١) في (ك): الشقاوة.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) قوله: «وأن النار لها سبعة أبواب» سقط من (د).

(٤) في (د) و(ب) و(ص): تسلَّط الخلقُ على هذه الأبواب.

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٥/٣٤٢-٣٤٣).

قال المُفَسِّرُونَ عن النبي ﷺ: «لجهنم سبعة أبواب؛ بابٌ منها لمن سلَّ سيفه على أمة مُحَمَّدٍ في المعاندة، وعلى أمة مُحَمَّدٍ في أَكْلِ أموالهم، وإراقة دمائهم، وأخذ أعراضهم»[١].

وقال ابن جُرَيج: «﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، أي: طباق، أوَّلها: جَهَنَّمُ، ثم لَظَى، ثم الحُطَمة، ثم السَّعير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، والجحيم هو الذي فيه أبو جَهْلٍ»[٢].

وقال الرَّبيع بن أنس: «الهاوية هي التي لا يخرج منها أَحَدٌ دَخَلَها»[٣].

٢ [١٠٨/ب]

وقال ابنُ جريج: «هي دَارُ آلِ فرعون»[٤]./

وقالوا[٥] عن ابن عباس: «إنَّ[٦] الجنات سبعٌ[٧]؛ [جنة] الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، وجنة عَدْنٍ، وجنة الخُلْدِ، وجنة الحُسْنَى، ودار السَّلام»[٨].

---

(١) في جامع الترمذي: «لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سَلَّ السيف على أمتي، أو قال: على أمة مُحَمَّدٍ»، أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة الحجر، رقم: (٣١٢٣-بشار)، وضعَّفه، ويأتي تضعيفُ ابن العربي له.

(٢) الهداية: (٣٨٩٩/٦).

(٣) الهداية: (٣٨٩٩/٦).

(٤) الهداية: (٣٨٩٩/٦).

(٥) مرَّضها في (د).

(٦) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

(٧) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر منه شيء.

(٨) الهداية: (٣٩٠٣/٦).

وقالت الصوفية: «إنَّ الجنة لها ثمانية أبواب، ومفتاحها[١] فاتحة الكتاب، وفيها ثمانية معاني؛ هي تَحُلُّ غَلَقَ الأبواب، ذاتٌ، صفاتٌ، أفعالٌ، الصراطُ المستقيم، التزكية، التخلية[٢]، ذِكْرُ نِعَمِ الله على الأولياء وغَضَبُه على الأعداء»[٣]، إلى آخِرِ كلامهم.

قال الإمام الحافظ[٤] رضي الله عنه: وهذا كُلُّه تَعَدِّي على القرآن، وعلى الشريعة، وعلى العلم، وطريقُ الحق فيه:

أنه ثبت في الكتاب العزيز أن لجهنم سبعة أبواب، وثبت عن النبي ﷺ أن للجنة ثمانية أبواب، ولم يصل إلينا العِلْمُ بوجه التَّعْدِيدِ، ولا نَقَلَهُ مُحَقِّقٌ ولا مُتَخَرِّصٌ، ولا صَحَّ تسميةُ الأبواب بإضافةٍ إلى معنًى يُعْرَفُ بها كلُّ باب منها إلَّا في أبواب الجنة خاصَّة، فإنه وَرَدَ في صحيح الحديث[٥] أن النبي ﷺ قال: «من أَنْفَقَ زوجين في سبيل الله نُودِيَ من أبواب الجنة الثمانية، أي فُلْ، هذا خير فادخل، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريَّان[٦]»[٧].

---

(١) في (د): مفاتحها.

(٢) في (ص): التحية.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٢٣٦)، وهو قول الإمام أبي حامد الطوسي.

(٤) في (د): قال القاضي أبو بكر رحمه الله.

(٥) في (د): الصحيح، وفي (ص): الصحيح من الحديث.

(٦) في (د): الصيام.

(٧) تقدَّم تخريجه.

وتكلَّم أربابُ التأويل من الفقهاء والمُحَدِّثين على تَعْيِينِ بَقِيَّتِها، فقال القائلون منهم: «وباب الحج، وباب الجهاد، وباب العدل، وباب التوبة»[١]، وقد بيَّنَّا في «قانون التأويل»[٢] و«الأنوار» وغير ذلك: أن الحَزْرَ والظن والقياس لم يُجَوَّزْ لنا إلَّا في باب الأحكام التي المطلوب منها العمل، فأمَّا ما خرج عن الأحكام فليس للقياس فيه مدخل، حتى قال علماؤنا من الأصوليين: «ولا لخَبَرِ الواحد»[٣]، ولَسْتُ أقول به، بل أَقْضِي بالخبر الواحد الصحيح في الشريعة كُلِّها؛ أَحْكَامِها، وكُلِّ ما أَخْبَرَتْ عنه من أمر الدنيا والآخرة والسماوات والأَرَضِينَ[٤].

ولو جئنا لنتكلَّم بالظن لكان لقَائِلٍ أن يقول: إن الفاتحة سَبْعُ آيات، كل آية تُغْلِقُ بابًا من النار.

وإذا انغلقت دون صاحبها أبوابُ النار لم يَبْقَ إلَّا دخول/ الجنة، إذ هما دَارَانِ لا ثالث لهما. [٢ ١٠٩/أ]

وقد عدَّد أقوامٌ[٥] أبوابَ النار فقالوا: «إنها سبعة أبواب[٦]؛ باب الشِّرك، باب الإثم، باب الفساد، باب العدوان، باب الفحشاء، باب المنكر، باب البغي[٧]»[٨]، لا جَعَلَنَا الله ممَّن يدخل على باب العُدْوَانِ بالتَّعَدِّي على الحديث والقرآن؛ فإنه أشد أنواع العدوان.

---

(١) قانون التأويل: (ص٢٣٨).
(٢) قانون التأويل: (ص٢٣٩).
(٣) البرهان: (١/٥٩٩).
(٤) في (ك) و(ص): الأرضون.
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): قوم.
(٦) سقط من (ك) و(ب) و(ص).
(٧) في (ك) و(ب) و(ص): باب المنكر والبغي.
(٨) قانون التأويل: (ص٢٣٨).

وقد قالوا: «إن أبواب النار السبعة الجوارح السبع[١]؛ السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، واللسان، والقلب»[٢].

وما يُرْوَى عن ابن جُرَيْجٍ إنَّما مبناه على أن جَعَلَ الباب عبارةً عن النوع، ولم يجعله عبارةً عن المدخل والمخرج، وكان يحتمل ما قال لو كان بنَصٍّ، ولو جاء بهذه الصيغة[٣]؛ وهي: «وإن جهنم لموعدهم أجمعين، وهي سبعة أبواب»، أي: أنواع ودَرَكَاتٍ.

فأمَّا وقد قال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾؛ فإنه محمول على الباب الذي هو المدخل والمخرج[٤]، كما تقول: لهذه الدَّارِ بَابَانِ، أو عشرة، ولم يثبت كما قدَّمنا في أبواب الجنة والنار شيءٌ إلَّا ما قدَّمناه من الحديث الصحيح في أبواب الجنة؛ بتقديرها[٥] ثمانية أبواب، وبتعيين أربعة منها.

وأمَّا أبوابُ النار فلم يَرِدْ[٦] فيها حديث صحيح، إلَّا أنه أَسْنَدَ الأئمة إلى ابن عمر - منهم: الترمذي - حديثًا، قال النبي ﷺ: «لجهنم سبعة

---

(١) قوله: «الجوارح السبع» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٢) ينظر: الإحياء: (ص١٩١٩).

(٣) في (ك): الصفة.

(٤) قوله: «وكان يحتمل ما قال لو كان بنَصٍّ، ولو جاء بهذه الصيغة؛ وهي: وإن جهنم لموعدهم أجمعين، وهي سبعة أبواب، أي: أنواع ودركات، فأمَّا وقد قال: لها سبعة أبواب؛ فإنه محمول على الباب الذي هو المدخل والمخرج» سقط من (ب).

(٥) في (ص): بتعديدها، وفي (د): بتقريرها.

(٦) في (ص): يُرْوَ.

أبواب[١]، منها: باب لمن سلَّ السَّيْفَ على أمتي»[٢]، لا زيادة، وباقي ما يقال في ذلك اعتداء.

[استقراءُ وتَتَبُّعُ كلمة التقوى في آيِ القرآن]:

أَمَا إنَّ الطريق المستقيم معلوم، والطاعات والمعاصي معلومة، ومنزلة التقوى شريفة، وهي تتناول رُكْنَي الأمر والنهي، كما أشرنا إليه، وها نحن نُورِدُ عليكم القول فيها على سَرْدِ القول في «الأنوار» من[٣] الاستيفاء والإستيعاب[٤]، فنقولُ:

قد ذَكَرَها الله نصًّا في كتابه في نَحْوٍ من مائة وتسعين موضعًا، ووقعت بالمعنى فيما لا يُحْصَى:

الأَوَّل: قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٥]

في وصف القرآن العظيم.

قال علماؤنا: يعني به: بيانًا[٦]، صار وِقَايَةً عن الشك والشرك والنفاق والمحرَّمات، وتضييع المفروضات، والعصمة من العقوبات.

[١٠٩/ب] وقال آخرون منهم: جعله الله هُدًى لمن/ وَقَاهُ بالنُّورِ ظُلْمَةَ الجهل، واستخلصه للقَبول، فكان كتابًا للأولياء وشفاءً[٧]، وللأعداء عمًى وبَلَاءً[٨].

---

(١) قوله: «لجهنم سبعة أبواب» سقط من (ص).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) في (ص): في.
(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الإيعاب.
(٥) [البقرة:١].
(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٥).
(٧) في (ك) و(د) و(ص): شفاءً.
(٨) لطائف الإشارات: (١/٥٥).

وقال آخرون: جَعَلَهُ الله هُدًى لخواصَّ عَصَمَهُمْ بها[١]؛ فاتقوا رؤية تقواهم[٢]، فلم يَرَوا نجاةً إلَّا بفضل مولاهم.

وفي معناه أنشدُوا:

وَرَدَ الكتابُ بما أَقَرَّ الأَعْيُنَا وشفى القلوب فنِلْتُ غايات المُنى
وتقسَّم الناسُ المسرَّة بينهم قِسَمًا فكان أجلُّهم حظًّا أَنَا[٣]

وكما قال شيخُنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الأديب نزيل الثَّغْرِ[٤]:

وَرَدَ الكتابُ فكان أحسنَ واردٍ عندي وأنفسَ قادمٍ ألقاهُ
لا شيءَ أنفسُ منه مُهْدٍ[٥] جامعًا[٦] شَمِلَ المُنَى إلَّا الذي أهداهُ[٧]

الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[٨] إلى قوله[٩]: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٠].

---

(١) في (د): به. (٢) في (د): تقواه.

(٣) البيتان من الكامل، وهما لأبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني، ذكرهما له الثعالبي في أحسن ما سمعت: (ص١٠٤)، وفي اليتيمة: (٣/٣٢١).

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) في (ص): عندي، وفي (د): هَدْيًا.

(٦) في (ص): جائيًا.

(٧) البيتان من الكامل، ونسبها في خريدة القصر: (٢/٨٠٣) من جملة أبيات لأبي الحسن ابن أبي البشر.

(٨) [البقرة:٢٠].

(٩) لم يرد في (ك) و(ب).

(١٠) في (ص): ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

وهو اتخاذ الوقاية بالعبادة، وقد قدَّمنا بيانها، وهي التوحيد بالقلب، وإفراد الله بالقصد، والاستسلام للحُكْمِ، والاعتراف بالتبرِّي.

وقال بعضهم: «الوقاية فيه التجرد عن المحظورات، والتجلد في أداء الطاعات، ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة، والتجافي عن منازل الكسل والاستهانة، وهذا على طريق التقريب لهم بمَنِّه، فيما اعتقده العبدُ بعيدًا بظَنِّه»[١].

الثالث: قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[٢]

المعنى: إن لم تقدروا على المعارضة للمعجزة فاتخذوا[٣] عن العذاب وِقَايَةً بالإقرار بمُحَمَّدٍ[٤] ﷺ؛ فإنَّ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ المكذبون به ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وإذا كانت تلك النار لا تثبت لها الحجارة مع صلابتها فكيف يُطِيقُها[٥] الناس مع ضعفهم[٦]؛ على معنى التأكيد في الوعيد.

فلمَّا أشفقت نفوس الأولياء وأشرقت قلوب المؤمنين على الهَلَكَةِ من الخوف قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٧].

---

(١) لطائف الإشارات: (١/٦٧).
(٢) [البقرة:٢٣].
(٣) في (د): فا تخذوه.
(٤) في (د): لمحمد، وأشار إليه في (ك).
(٥) في طرة بـ (ك): في خ: يطيقونها.
(٦) لطائف الإشارات: (١/٦٩).
(٧) لطائف الإشارات: (١/٦٩).

وقد[١] قال بعضهم: «هي حِجَارَةٌ من كِبْرِيتٍ»[٢].

وهي دَعْوَى لا برهان لها[٣].

الرابع: قوله: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ﴾[٤]

يعني: في كتمان أمر مُحَمَّدٍ ﷺ، وفي أخذ الرشوة على التلبيس في تبديل صفاته المنصوص عليها في التوراة، بعد أن قال: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَارْهَبُونِ﴾، في نقض الميثاق والخَيْسِ[٥] بالعهد، أي: أَفْرِدُونِي بالخشية لانفرادي بالقدرة، وكَثِيرٌ من[٦] يتَّقي العقوبة، وعَزِيزٌ من يَتَّقِي منه الاطلاع والرؤية.

الخامس: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟﴾[٧]

٢

أي: صدَّقوا بطهارة سليمان من المعاصي وعَمَلِ السِّحْرِ، واتقوا/ مع [١١٠/أ] الافتراء على سليمان العمل بالفِرْيَةِ؛ لكانت المثوبة لهم دون العقوبة، فكانوا يؤثرون الإقبال على الله وطاعته[٨] وتنزيه رُسُلِهِ على اشتغالهم

---

(١) سقط من (د).

(٢) تفسير الطبري: (١/٣٨١-شاكر).

(٣) في طرة بـ (ك): في خـ: عليها.

(٤) [البقرة:٤٠].

(٥) في (ب): الخين.

(٦) في (ك): في خـ: ممن.

(٧) [البقرة:١٠٢].

(٨) في (د): وعلى الطاعة.

بحُظُوظٍ ضعيفة من الدنيا، ولكن نَكَسَتهم سَطَاوَةُ[1] القهر؛ فأسكنتهم في مواطن الهجر[2]، وسبق عليهم القلم[3] بالكفر[4].

السَّادس: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾[5]

كَرَّرَه في موضعين متقاربين في تحذير قَوْمٍ مخصوصين، نبَّههم لإقامة الحُجَّةِ عليهم باتخاذ الوقاية من أهوال ذلك اليوم، وقد بيَّنَّا فيما سبق «مقاماته»[6]، ونبَّهنا على وِقَايَاتِها في «الأسماء»، فإن أردت أن تُعِيدَها هاهنا على رَسْمِ إملاءِ «الأنوار» فافْعَلْ.

وقد بيَّن الله تعالى أن الأعداء لا يُقْبَلُ منهم شيء، فأمَّا الأولياء فقد قيل لهم: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»[7]، وقد دخل فيها[8].

---

(١) في (د) و(ص): سطوة.

(٢) في (ك): الهجرة.

(٣) في (ص): العلم.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/١١١).

(٥) [البقرة:٤٧].

(٦) في السِّفْرِ الأوَّل من «السراج».

(٧) سبق تخريجه.

(٨) في طرة بـ (ك): فيه، وصحَّحها.

السَّابعُ والثامنُ[(١)]: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ إلى أن قال في آخِرِ الخصال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[(٢)]؛

فذكر[(٣)] الخصال التسعة التي نبَّهنا على كل[(٤)] خصلة منها في «الأسماء[(٥)]»، وهي أُصُولٌ لغيرها، ورُتِّبَ اسمُ «التقوى» عليها.

وأوَّلها: ألَّا يقصد بتَوَجُّهِه مشرقًا ولا مغربًا ولا جنوبًا ولا شمالًا إلَّا الله[(٦)]، وإنَّما البِرُّ أن يتوجهوا إلى الذات الكريمة وإلى الله العظيم والجهات المعيَّنات[(٧)] لأهل الأقطار في العبادات، والصَّرْفُ إلى بُقْعَةٍ مخصوصة من المحلَّات ليس إلَّا لقَمْعِ النفس عن الاسترسال في التصرفات؛ حتى ترتاض بالكَسْرِ عن الشهوات.

وما ذُكِرَ في هذه الآية من فنون الإحسان، وفضائل الإيمان، وتصفية الأعمال، وصلة الأرحام، والتمسك بالذِّمَم، والوفاء بالعهود، ومراعاة الحدود؛ أَمْرٌ عظيم الخطر، محمود[(٨)] في الشرع، والمقصودُ

---

(١) في (ك) و(د) و(ب).

(٢) [البقرة:١٧٦].

(٣) في (د): وذكر.

(٤) سقط من (ص).

(٥) في (ص): أسماء، ومرَّضها.

(٦) قوله: «إلا الله» لم يرد في (ك) و(ب) و(ص).

(٧) في (ك) : في خـ: المعظَّمات.

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): محبوب.

بـذلك كلـه[١] تطهيرُ القلـب، وتخليص العمـل، والمواظبـة علـى الخِدْمَـةِ، والاعتراف بالتقصير[٢].

التاسع: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٣]

شَـرَعَ الله القـصاص ونَـدَبَ إلـى العَفْـوِ، فالـذي يَـسْتَوْفِي حقَّـه عابـدٌ، والذي يعفو حُرٌّ مُحْسِنٌ[٤]، والدماءُ المطلولـة فـي إعـلاء كلمـة الله والنُّفـوسُ الزاهقة في طاعة الله هي التي يُقال فيها - شِعْرٌ -:

وإنَّ فـؤادًا رُعْتَـه لَـكَ حَامِـدٌ   وإنَّ دمًا أجريتَـه بـك فـاخرُ[٥]

والحيـاةُ فـي اسـتيفاء القـصاص بَيِّنَـةٌ علـى مـا أوردنـاه فـي «قِـسْمِ الأحكام»[٦]، وحَظُّ هذا «القسم الرابع» من ذلـك: أنَّ تـرك القـصاص أَعْظَـمُ الحياة؛ لأنه إذا تَلِفَ فيه فهو/ الخَلَـفُ عنـه، وحياتـه عنـه أتـمُّ لـه مـن بقائـه بنفسه، وإذا كان الوارث عنهم هو الله فالخَلَفُ عنهم هو الله، فيقال: الخَلَفُ أَعَزُّ مِن حياة مَن ورد عليه التلف[٧].

٢ [١١٠/ب]

---

(١) سقط من (د) و(ب) و(ص).

(٢) لطائف الإشارات: (١/١٤٩).

(٣) [البقرة:١٧٨].

(٤) لطائف الإشارات: (١/١٥٠).

(٥) البيت من الطويل، وهو للمتنبي في ديوانه: (١/٣١١) وهو مقلوب، وصوابه:

وإنَّ دمًـا أجريتَـه بـك فـاخرُ   وإنَّ فـؤادًا رُعْتَـه لَـكَ حَامِـدٌ

وورد كمـا هـو فـي المـتن عنـد أبـي القاسـم القُـشَيري فـي لطـائف الإشـارات: (١/١٥٠).

(٦) أحكام القرآن: (١/٦٠-٦٩).

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٥١).

فأَهْلُ الأحكام: الحياةُ عندهم قَطْعُ الذريعة لبقاء النفوس في الدنيا.

وأَهْلُ الذكرى: الحياةُ عندهم طَلَبُ العِوَضِ من المولى.

العاشر: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١]

قد بيَّنَّا في «الأحكام»[٢] حَظَّ هذه الآية منها بغاية الإتقان والإحكام.

فأمَّا أَهْلُ الذكرى فتقواهم بأنهم نبذوا الدنيا، فلا مال عندهم يبقى بعدهم فتنفذ فيه وصيتهم، ولا ورثة لهم إلا في إيمانهم وعلومهم، فالعلماء ورثة الأنبياء.

تصدَّق عَوْنُ بن عبد الله بجميع ماله فقيل[٣] له: «وبَنُوكَ؟ قال: أولادي؛ أمَّا من يتقي[٤] الله منهم[٥] فإن الله لا يُضَيِّعُه، وأمَّا من يعصيه فأنا بريء منه»[٦].

وتصدَّق عمر بن عبد العزيز بجميع ماله فقال له فلان: «ماذا خلَّفت لأولادك؟ قال له: قدَّمت مالي لنفسي، وادَّخرت الله لأولادي، فما رُئِي عُمَرِيٌّ فقيرًا أبدًا[٧]».

---

(١) [البقرة:١٧٩].

(٢) أحكام القرآن: (١/٦٩-٧٤).

(٣) في (د) و(ب) و(ص): قيل.

(٤) في (د) و(ب): يتق.

(٥) سقطت من (ك) و(د) و(ب).

(٦) ينظر: حلية الأولياء: (٤/٢٤٢).

(٧) سقط من (ص).

ولمَّا لَقِيَ الرَّشِيدُ هارونُ بُهْلُولَ[١] المجنون، فجرى بينهما الحديث الطويل[٢] المسطور في كتاب «عُقَلاء المجانين»، فقال له: «لو اشتغلت بالعلم كان أفضل لك من التخلي للعبادة؟ قال[٣] له: وماذا فاتني منه؟ قال[٤] له هارون: فَاتَكَ أَفْضَلُه، قال له بهلول: وما هو؟ قال: الفرائض، قال له بهلول: فما[٥] يخفى عليَّ منها مسألة واحدة، قال له هارون: فما تقول في رَجُلٍ مات وترك زوجَه وبنته وأُمَّه وعَصَبَتَه؟ قال[٦] له[٧] بهلول: وهل تخفى هذه الفريضة على أَحَدٍ له قَلْبٌ! للأم الثُّكْلُ، وللبنت اليُتْمُ، وللزوجة خَرَابُ البيت، والباقي للعَصَبَةِ»[٨]، فهذا رَجُلٌ نَبَذَ الدنيا واستهلك نفسه في الله تعالى.

وفي معناه أنشدُوا[٩]:

أُحِبُّكَ ما إن دُمْتُ حيًّا[١٠] فإن أَمُتْ ... يَوَدُّكَ عَظْمِي في التُّرَابِ رميمَا[١١]

---

(١) في (ك) و(د) و(ص): لبهلول.

(٢) سقط من (د).

(٣) في (د): فقال.

(٤) في (د): فقال.

(٥) في (د): وما.

(٦) في (د): فقال.

(٧) سقط من (ص).

(٨) عقلاء المجانين للحسن بن حبيب: (ص١٦٠).

(٩) البيت من الطويل، وهو في لطائف الإشارات للقشيري: (١/١٥١)، وحلية الأولياء: (١٠/٣٧٠)، أنشده أبو بكر الشِّبْلِي، وفيها:

يحبك قلبي ما حييت فإن أمت ... يحبك عظم في التراب رميم

(١٠) في (ص): ما دامت حياتي.

(١١) تأخَّر هذا البيت عن الذي يتلوه في (ب).

وأنشدوا:

لــه قلبــي ومــا غَــصَبَهْ[١] وجــسمي لابــسٌ وَصَــبَهْ
وللعَبــــرة أجفــــاني ومــا يبقــى فَلِلْعَــصَبَهْ[٢]

وقيل لبعضهم: ما تقول في الموت؟ فقال:

أمَّـــا الرُّسُـــومُ فمُخْبِـرَاتٌ أنهـــم رحلـــوا قريبَـــا
رجعـوا إلـى أوطـانهم فجرى لهـــم دمعـــي صَـــبِيبَا[٣]/

٢ [١١١/أ]

فكل من وفَّى التقوى حقَّها الأَوْلَى[٤]، نَبَذَ كلَّ الدنيا ورجع بكُلِّه إلى المولى.

الحادي عشر: قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥]

قد تقدَّم حَظُّ بيانِ «الأحكام»[٦] منها، فأمَّا حَظُّ هذا[٧] «القِسْمِ الرَّابع» فعلى ثلاثة أحوال:

---

(١) في (ك) و(ب): عصبه.

(٢) لم أقف عليهما، وهما من مجزوء الوافر.

(٣) البيتان من مجزوء الكامل، وهما في لطائف الإشارات: (١/١٥١).

(٤) سقطت من (ك) و(د) و(ب).

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة:١٨٢].

(٦) أحكام القرآن: (١/٧٤-٨٥).

(٧) سقط من (ك) و(د) و(ب).

الأولى[١]: صَوْمُ اللسان عن الباطل، قال النبي ﷺ[٢]: «من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»[٣].

الثانية: صَوْمُ اللسان عن اللغو؛ فإنه إذا مُنِعَ من[٤] الطعام والشراب وهو مباح فكذلك يُمْنَعُ من اللَّغْوِ[٥]، بل أولى؛ لأنه مكروه في كل حال، وبالصوم[٦] يزيد كراهية.

الثالثة: صَوْمُ القلب عن الآفات، وهي في الصوم أشد؛ فإنها ثانية الزُّورِ في القول.

الرَّابعة: صوم القلب عن الغفلات.

الخامسة: «صوم الإنسان عمَّا سوى الله، حتى لا يفطر إلَّا على رؤية الله»[٧]، وهذه من غُلُوِّ[٨] الصوفية، وتعجز عنها القوة البشرية، وغاية مقصد الصوم تضعيف القوة عن الشهوات، فلا ينبغي أن يزاد عليه.

الثاني عشر: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٩]

بيَّن تعالى محظورات الصوم، فوقع فيها من وقع، فرَفَقَ بهم وغيَّر

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): الأوَّل.

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لم ترد في (ص).

(٥) في (د): التغويل، وفي(ص): اللعن، وهما تصحيف.

(٦) في (د): في الصوم.

(٧) لطائف الإشارات: (١٥٣/١).

(٨) في (د): غلواء.

(٩) [البقرة:١٨٦].

العبادة لشرفهم بسببهم، وسَمَحَ عمَّا مضى لهم وحذَّرهم، والقصة طويلةٌ بيانُها في «الأحكام»[١].

الثالث عشر: قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[٢]

قد بيَّنَّا في «التفسير»[٣] حظَّها.

وأمَّا هذا «القِسْمُ»: فالمفهوم منه في الذِّكْرِ أنه ليس المراعاةُ مُخْتَصَّةً بالظواهر، بل المقصود منها مراعاة صفاء السرائر[٤]، وظاهر الأمر ليس البِرُّ فيما ترونه بعقولكم، إنَّما البِرُّ ما يُشرع لكم في حدودكم، فاتقوا ذلك وذَرُوا ما ترونه[٥] بآرائكم، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما سوى ذلك، **وهو الرابع عشر**.

الخامس عشر: قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٦]

أي: في الزيادة في جانب الانتقام، والرِّبَا[٧] في استيفاء الحقوق، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أنكم إذا اتَّقيتم ذلك فإن الله معكم بالنُّصْرَةِ[٨]، لقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وناهيك بهذا شَرَفًا، **وهو السَّادس عشر**.

---

(١) أحكام القرآن: (١/٨٩-٩٦).
(٢) [البقرة:١٨٨].
(٣) أحكام القرآن: (١/٩٨-١٠١).
(٤) لطائف الإشارات: (١/١٥٩).
(٥) في (ص): تروه.
(٦) [البقرة:١٩٣].
(٧) في (ك): الرياء.
(٨) لطائف الإشارات: (١/١٦٢).

٢

[١١١/ب] **السَّابع عشر: قوله/:** ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

ذَكَرَ تعالى من المناسك جُمْلَةً، ورتَّب فيها أحكامًا، وأمرهم أن يتقوا فيها التبديل والزيادة والنقصان بالتغيير، كما كانوا فَعَلُوا بمِلَّةِ إبراهيم، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإنَّ عقابه شديد، وأَشَدُّ ما يكون عقابُه لمن اكتسب المناسك بجوارحه وقَلْبُه عنها لَاهٍ، حسب ما بيَّنَّاه في اسم «الحَاجِّ»[2].

الثامن عشر: قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[3]

وقد تقدَّم بيانه في اسم «الحَاجِّ».

ثم أكَّد ذلك **بالموضع التاسع عشر، فقال:** ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٦].

قال أهل الذِّكْرَى: معناه: أن يأتيني أَحَدٌ ببَدَنِه دون قَلْبِه.

المُوَفِّي عشرين: قوله: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[4]

قيل: لا إثم عليه في هذا الذي أَذِنَّا له فيه؛ إن اتَّقى ما لم نَأْذَنْ له فيه.

---

(١) [البقرة:١٩٥].

(٢) في السِّفْرِ الثاني من السراج.

(٣) [البقرة:١٩٦].

(٤) [البقرة:٢٠١].

وقيل: إن اتَّقى الذنوب في الحج فيكون مبرورًا[١].

وقيل: لمن اتَّقى فيما يستقبل[٢]، فإنه يلقى الله ولا إثم عليه؛ لأن ما سبق يخبر[٣] أنه لا إثم عليه فيه[٤]، فإن اتقى فيما يستقبل لَقِيَ الله مُجَرَّدًا عن الآثام.

الحادي والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾[٥]

قيل: إنه تأكيد.

وقيل: إنه لما يستقبَل، والأوَّل لما مضى.

الثاني والعشرون: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾[٦]

تقدَّمت في «الأحكام»[٧]، وهذه الآية إخبارٌ من الله للمُتَكَبِّرِ بجهله، الشَّامِخ بأنفه، المُتَرَفِّع من غير سَبَبٍ على جنسه، يقول: مِثْلِي يُذَكَّر، مِثْلِي[٨] يؤمَر، أنا من ذلك أكبر[٩]، فهو يعتز[١٠] بما لا يحل، وعِزَّةُ العبد إنَّما هي بالتواضع، على ما بيَّنَّاه في اسمه[١١].

---

(١) الهداية: (١/٦٧٥).

(٢) الهداية: (١/٦٧٤).

(٣) في (د): مخبرًا، وبعده علامة اللحق، وموضعها مطموس.

(٤) سقط من (ك) و(د).

(٥) [البقرة:٢٠١].

(٦) [البقرة:٢٠٤].

(٧) أحكام القرآن: (١/١٤٣-١٤٤).

(٨) في (ص): مثل.

(٩) لطائف الإشارات: (١/١٧٠-١٧١).

(١٠) في (ك) و(ص): يغتر.

(١١) في اسم «المتواضع» بالسفر الثالث.

الثالث والعشرون: قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١]

أخبر[٢] سبحانه عن حال الكفار الأشرار، وسخريتهم من الأبرار[٣]؛ بما أتاهم الله من متاع الدنيا، فيقولون: لو كان مُحَمَّدٌ نبيًّا لاتَّبعه أشرافنا، وإنَّما اتبعه أهل الفقر والمسكنة[٤]، وهذا كما قال مَن قَبْلَهم لأَوَّل الرُّسُلِ نُوحٍ: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧]، وزادوا: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، يعني: بغير تأمل[٥] ولا فكرة، ولا نَظَرٍ في عاقبة، وخَفِيَ عليهم ما أدركه هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ حين سَأَلَ عن النبي، فقال: «أَشْرَافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال له[٦] أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرسل»[٧]، والسِّرُّ في ذلك أنَّهم جهلوا كلهم طريق الاختيار، وخَفِيَتْ عليهم سُبُلُ الاختصاص،/ ولم يُدرِكُوا وَجْهَ التفضيل بين الأشخاص. ٢ [١١٢/أ]

والتمييزُ[٨] بالمعاني لا[٩] بالمباني[١٠]، قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١١].

---

(١) [البقرة: ٢١٠].
(٢) في (ك) و(ب) و(ص): فيه، وضرب عليها في (د).
(٣) في (د): بالأبرار.
(٤) بعده في (د) لحق، وموضعه مطموس، فلا يكاد يظهر شيء.
(٥) في (ك) و(ب) و(ص): تأمل، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٦) سقط من (ص).
(٧) تقدَّم تخريجه.
(٨) في (ص): التميز.
(٩) سقطت من (ص).
(١٠) لطائف الإشارات: (١٣٢/٢).
(١١) سبق تخريجه.

وَدَارَ الخَلْقُ على هذا المعنى وطفقوا يمشون حَوَاليه، فما انتهوا إليه، قالت الحكماء: «المرء بأصغريه»، يعني: قلبه ولسانه.

وقال الآخر[١]:

تـرى الرجـلَ النحيـف فتزدريـه ... وفـي أثوابـه أَسَـدٌ هَـصُورُ[٢]

وقال[٣]:

فـإن أَكُ فـي شـراركم قلـيلًا ... فـإني فـي خيـاركم كثيـرُ[٤]

فلمَّا جهلوا الأحوال وغفلوا عن المآل نُبِّهُوا عليه.

وقيل: إن كانوا[٥] يسخرون من الذين آمنوا فهم الذين اتقوا؛ يكونون فوقهم يوم القيامة، يعني: في دار الرِّفْعَةِ، وفي مَحَلِّ المنازل، فأمَّا الدنيا فهي مقلوبة، قد يرتفع فيها الكافر والوضيع والجاهل، ويكون المؤمن والرفيع والعالم تحت الخمول، وهو عند الله بالمَحَلِّ الجليل فلا يلتفت إلى الدنيا[٦]، فبيْن يديه[٧] المُلْكُ والمنزلة العليا، «رُبَّ أغبر ذي طِمْرَيْنِ[٨] لا يُؤْبَه له، لو أَقْسَمَ على الله لأبرَّه»[٩].

---

(١) في (ب): الشاعر.

(٢) البيت من الوافر، وهو للعباس بن مرداس ﷺ، من جملة أبيات هي في ديوان الحماسة: (٣١/٢)، ولطائف الإشارات: (١٣٢/٢).

(٣) بعده في (ك) و(د): الآخر، و في (ب): آخر.

(٤) لطائف الإشارات: (١٣٢/٢)، وهي للعبَّاس السَّابق من نفس القصيدة.

(٥) في (ك) و(ص): كان.

(٦) في (د): في خـ: فلا تلتفت إلى الدنيا فتنال بذلك.

(٧) في (ك) و(د): بذلك.

(٨) الطِّمْرُ: الثوب البالي الخَلِق، تاج العروس: (٤٣٣/١٢).

(٩) تقدَّم تخريجه.

الرابع والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾[١]

قال سبحانه: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، وقد بيَّنَّاه في «الأحكام»[٢].

وقوله: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوال:

الأوَّل: إنَّا قد أبحنا لكم اللذات، وهي فناء كلها ليس لها بقاء، ولا تُحْتَسَبُ[٣] في دار البقاء، فقَدِّمُوا لأنفسكم الباقيات الصالحات التي تجدونها في مَحَلِّ القرار[٤].

الثاني: وقَدِّمُوا لأنفسكم في طَلَبِ الولد[٥].

وهو[٦] من الأعمال الصالحة، يعني: أنَّ الجاهل يطأ لَذَّةً، والعالم يطأ عِفَّةً وعصمة وطلبًا للولد، فيرجع فِعْلُه المباح بالنية عبادةً، وإذا طلب الوَلَدَ فهو من أَجَلِّ الأعمال الصالحة؛ لأنه يبقى بعده له[٧] عمله.

الثالث: وقَدِّمُوا لأنفسكم[٨] ذِكْرَ الله عند الجماع[٩].

---

(١) [البقرة:٢٢١].

(٢) أحكام القرآن: (١/١٧٣-١٧٤).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): تحسب.

(٤) لطائف الإشارات: (١/١٧٩).

(٥) الهداية: (١/٧٤٢).

(٦) قبله في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام القاضي رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٧) سقط من (ص).

(٨) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر شيء في الطرة بسبب الطمس الذي لحقها.

(٩) تفسير الطبري: (٤/٤١٧-شاكر).

وهـو مـن الأعمـال الـصالحة التـي تقـدَّم، وقـد سـبق بيانُـه فـي «المقامات»[١].

ثم قال: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾؛

قال بعضُ[٢] الناس: في أداء الفرائض واجتناب الكبائر.

وهو عندي على العموم؛ حتى في الشبهات ومَظَانِّ الاحتمالات.

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾؛

المعنـى: تيقَّنـوا وتحقَّقـوا أن بـين أيـديكم[٣] يومًا تلقـون فيـه ربكـم، فحَذَارِ من الإفلاس فيه، ولْيَكُنْ لقاؤك له بصفة الغِنَى، وذلك لا يكـون إلَّا/ [١١٢/ب] بتقدمة الأعمال، فهـو لمـا عَلِمَ مـن ضـعفكم وأُنْسِكم بجنسكم قـال لكـم: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، فـإذا ركنـتم إلـى الأجنـاس وعَافَـسْتُم الأهـل والناس فارجعوا إلى الحقائق، ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ قبل[٤] يـوم الفرائـق[٥] في الخلائق؛ فَرِيقٌ في الجنة، وفَرِيقٌ في السعير.

الخامس والعشرون: قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾[٦]

نهى الله عباده أن يستعملوا اسم الله بصفة الابتذال في كل عارض من

---

(١) في السفر الأوَّل.

(٢) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٣) في (ص): يديكم.

(٤) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٥) مرَّضها في (د)، وفي طرتـه: العوائـق، هكـذا قرأتهـا، وصـحَّحها، وفـي (ص): الفراق.

(٦) [البقرة:٢٢٢].

الأحوال والأقوال، كذلك قال مالك؛ قال: «هو أن يحلف على كل شيء»[١].

وليس ينبغي لكل[٢] أحد أن يجعل اسم الله إلَّا حيث يجب له من التعظيم والاقتران بصفة التكريم[٣]، والمَرْءُ يجب أن يكون خبرُه حقًّا، وقوله صِدْقًا، ونِيَّتُه جَزْمًا؛ حتى لا يحتاج في تأكيدها ليَمِينٍ، فإذا أكَّد الخبر باليمين فلا ينبغي أن يكون ذلك إلَّا في المُهِمَّاتِ[٤]، فأمَّا أن يتخذه المرءُ شَرَكَةً يصيد بها حطام الدنيا أو حِيلَةً يستفيد بها فائدة فلا يفعل ذلك؛ فإنه مناقض للتعظيم، وابتذالٌ لاسم الله العظيم[٥].

وقد نهى الله عباده في هذه الآية عن أن يحلفوا على البِرِّ والتقوى والإصلاح بين الناس، وهي قُرَبٌ وعبادات، فكيف يُحْلَفُ على مباحات؟ وأَعْصَى المعاصي أن يحلف على محرَّمات.

السَّادس والعشرون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٦]

فأَمَرَ الله تعالى بالتقوى فيما شَرَعَ من حقوق الآدميين في الرضاع؛ من حق الوالدة[٧]، وحق المولود، وحال الوالد، ومقدار المدة، وإِخْبَارٌ عن

(١) الهداية: (٧٤٣/١).
(٢) سقط من (د).
(٣) في (ص): الكريم.
(٤) في (ص): الأمهات.
(٥) لطائف الإشارات: (١٧٩/١).
(٦) [البقرة:٢٣١].
(٧) في (ص): الولادة.

رحمته التي هي أَتَمُّ من رحمة الأمهات[١] ؛ إِذْ لم يَكِلِ[٢] المولود إلى الأبوين حتى حَدَّ حدوده التي عَلِمَ[٣] قيام المصلحة بها للكل، حسب الطاقة، وعلى مقدار الوُسْعِ، ومع عدم المُضَارَّة.

وذَكَرَ الفِصَالَ مقرونًا بالتراضي ؛ إذ يبعد أن يتَّفق الأبوان على مضرَّة الولد، ورفع الجناح بعد المشاورة، وخلوص القصد إلى الصلاح، فاشتملت الآية على تمهيد طريق الصحبة، وتعظيم محاسن الأخلاق، وختمت بالتقوى في ذلك كله لنية فاسدة، أو حالة عن المصلحة حائدة، وأكَّد ذلك بالتنبيه على عِلْمِه بالأعمال، وبَصَرِه بعلانيتها وسَرِيرَتِها.

السَّابع والعشرون: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤]

٢

[١١٣/أ] ذَكَرَ/ الله تعالى حُكْمَ الصَّدَاقِ عند الطلاق في الإيفاء والإسقاط، ونبَّه على التَّرْكِ، وحضَّ على الفضل في العفو، تنبيهًا على أنَّ من راعى الفَضْلَ أوشك أن يُرَاعِيَ الفَرْضَ[٥]، ولذلك يُستدَلُّ بمحافظة[٦] العبد على نافلته على مراعاته لفريضته.

ونسيانُ الفضل ينشأُ عن البخل[٧]، وهي خصلة دنيَّة، ولمَّا كان استيفاء الحق جائزًا نبَّه على أن تركه أقرب إلى التقوى ممَّن تركه منهم، فإنه

---

(١) لطائف الإشارات: (١/١٨٤).

(٢) في (ب): يكن.

(٣) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أتبين قراءته لطَمْسٍ لَحِقَه.

(٤) [البقرة:٢٣٥].

(٥) لطائف الإشارات: (١/١٨٧).

(٦) في (ك): لمحافظة.

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٨٧).

يَقِي بذلك مروءته وعِرْضَه، ويقي الكراهية إن كانت بينهما فترجع مودة، وهذه تقوى مستحبَّة[١] ليحفظ به حصول واجب.

كما جعلها - في الثامن والعشرين -: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٧٩]؛ دون عموم المؤمنين؛ ليُنَبِّه بذلك على أنها تَقْوَى فَضْلٍ لا تقوى فَرْضٍ.

التاسع والعشرون: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾[٢]

ليس بعد الشِّرْكِ ولا بعد قَتْلِ النفس تَقْوَى أَعْظَمَ من تقوى الرِّبَا؛ لأنه إن لم يتقه[٣] أَذِنَ بحَرْبٍ من الله ومن النبي ومن المؤمنين، وليس هنالك[٤] معصية تُوُعِّدَ بمِثْلِ هذا عليها سواها.

المُوَفِّي ثلاثين: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٥]

هذه تَقْوَى نَدْبٍ؛ لأنه نَدَبَ[٦] إلى إنظار المُعْسِرِ بالدَّيْنِ، والصدقةُ عليه أفضل، وبذلك يتخذ العبد الوقاية بينه وبين المحاسبة، وقد ثبت عن النبي أنه قال: «كان رجل يعامل الناس؛ فكان يأمرُ بإنظار المُوسِرِ

---

(١) في (ك) و(ص): مستحب.

(٢) [البقرة:٢٧٧].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): يتخذها، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (ص): هناك.

(٥) [البقرة:٢٨٠].

(٦) قوله: «لأنه ندب» سقط من (ص).

والمجاوزة عن المُعْسِر، فقال النبي ﷺ: فقال[١] الله: نحن أحق بذلك منه، تجاوزُوا عنه»[٢].

الحادي والثلاثون[٣]: قال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[٤]

وهذه تَقْوَى فَرْضٍ؛ لأنها متعلقة بالأمانة، وأَصْلُ الشريعة أَدَاءُ الأمانة، وقد تقدَّم ذِكْرُها.

الثاني والثلاثون: قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٥]

يعني: في مجاوزة حدود المعاملة الدينية التي بيَّنها، ومنها: فَرْضٌ، ومنها: نَدْبٌ، ولكُلِّ مَعْنًى تقواه[٦].

قال الله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾؛

يعني: ما ألزمكم به العمل، وندبكم إليه، وجعل[٧] خَلَاصَكم فيه.

وقد بيَّنَّا في كتاب «القانون»[٨] وكتاب «العواصم»[٩] ما[١٠] تعلَّقت به الصوفية؛ في أن التطهير والتصفية للقلب بها تحصلُ العلوم وتتمكَّن

---

(١) في (ك): قال.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تأخرت هذه الترجمة إلى التي بعدها في (ك) و(ص) و(ب).

(٤) [البقرة:٢٨١].

(٥) [البقرة:٢٨١].

(٦) سقط من (ص).

(٧) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٨) قانون التأويل: (ص٢٤٤-٢٤٧).

(٩) العواصم: (ص١٦-١٨).

(١٠) في (د): وما.

المعارف في الفؤاد من غير تَعَلُّمٍ[1]، ودَلَلْنا على أنه لا يصحُّ ذلك، ولا طريق له في الشريعة.

أَمَا إنَّ مالكًا قد قال: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نُورٌ يضعه الله في القلب»[2].

وهذا صحيح؛ فإنَّ الرجل قد يُحَصِّلُ عِلْمًا كثيرًا رواية ولا يفقه به[3]؛ إذ لا يعمل به، فإن عَمِلَ به[4] فهو الفِقْهُ[5].

وقد كان ابنُ أبي حازم[6] يقول في ابن شهاب: «هذا ونظراؤه رواة، / وليسوا بعلماء»، ذَكَرَه ابن حنبل[7]. [١١٣/ب]

والعالم الفقيه هو الذي يعمل بعِلْمِه، والذي لا يعصي هو المؤمن، فإذا عصى الله فليس بمؤمن ولا عالم ولا فقيه، على الوجه الذي بيَّنَّاه[8] في ذَيْنِك الكتابين[9]، وبيَّنَّاه أيضًا في تفسير قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[10] في «النَّيِّرَيْنِ».

---

(١) في (ص): تعليم.

(٢) مسند الموطأ: (ص٨٨).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): فيه.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): أي: يعمل به، ومرَّضها في (د).

(٥) في (ك): الفقيه.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): أبو حازم.

(٧) لم أجده في المنشور من كتاب الزهد، وهو في الحلية: (٣/٢٣٤).

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): بيَّنَّا.

(٩) قانون التأويل: (ص٢٤٧-٢٤٨).

(١٠) تقدَّم تخريجه في السفر الثاني.

ولذلك ترى الجاهل الرجل[١] من[٢] قد وعى وحصَّل وهو عَاصٍ، ويقول: أرى هذا من العلماء وليس له عمل، يقال له: أنت لا تدري ما العلم، العِلْمُ هو الذي يصحبه العمل، والإيمان هو الذي تصحبه الطاعة، والأمر في ذلك مُبَيَّنٌ على الاستيفاء حيث قلنا[٣]، والحمد لله.

الثالث والثلاثون: قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٤]

لمَّا ذَكَرَ الله الشهواتِ المُزَيَّنَةَ[٥] وتعلُّقَ القلوب بها بالمحبة لها[٦]، والاشتغال بها عن العبادة نبَّه الله على ما هو خَيْرٌ من ذلك لمن اتَّقى هذه الزِّينَةَ[٧]، واقتصر على ما يرفع[٨] المؤونة؛ فاتَّقى الدنيا، وعصى الهوى، وقطع المُنَى، وأَقْبَلَ على المولى، فلهم الدرجات العُلَى؛ بالأنهار الجارية، والغُرَفِ العالية، والأزواج المطهَّرة، عِوَضًا عمَّا نَبَذَ في الدنيا من الأزواج المُسْتَقْذَرَةِ.

---

(١) في (ك) و(ص): الرجل الجاهل.

(٢) سقط من (د) و (ك) و(ب).

(٣) قانون التأويل: (ص٢٥٤-٢٥٦).

(٤) [آل عمران:١٥].

(٥) في (ك) و(ب): المرتبة.

(٦) سقطت من (د) و(ك) و(ب).

(٧) في (ك) و(ب): الرتبة.

(٨) مرَّضها في (ص)، وفي الطرة: يدفع.

الرَّابع والثلاثون: قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾(١)

قد بيَّنَّاها في «الأحكام»(٢)، وهذه رُخْصَةٌ من الله في قَطْعِ المواصلة الظاهرة بين الكفَّار والمؤمنين، ويَجْرِي ذلك بين العُصاة والطائعين.

ومن أصل الدين الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله، إلَّا عند الضرورة، فتجعل صحبة الكافر أو الظالم وِقَايَةً لما تحذره من المضرَّة.

ثمَّ قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ وهذه للعلماء.

فأمَّا جملة الخلق فقيل لهم: «اتقوا النار، واتقوا العذاب، واتقوا القيامة»، فإيَّاكم أن يأمن أحدُكم مَكْرَ الله، ولا يخطر ببال بَشَرٍ منكم أنه يخفى عليه شَيْءٌ من أمركم، أو يَقْبَلُ إلَّا الخالص منكم، أو يعرفه أَحَدٌ حقَّ معرفته، أو يَعْلَمُ ما استقرَّ في علمه من خاتمة العبد وعاقبته.

الخامس والثلاثون: قوله: ﴿فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٣)

٢ يعني: عيسى ﷺ، اتخِذوا وِقَايَةً من امتثال ما جئتكم به عن الله، واجتناب ما نهيتكم عنه، وفي الطاعة أَوْفُوا(٤) بعَهْدِ الله/ كُلِّه؛ على جميع وجوهه وفصوله. [١١٤/أ]

فإنَّ ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ﴾ [آل عمران:٧٥] - وهو **السَّادس والثلاثون** - أي: اتَّقى نَقْضَ العهد، وحَلَّ العقد، والتقصير بالحق، وقام

---

(١) [آل عمران:٢٩].

(٢) أحكام القرآن: (١/٢٦٨).

(٣) [آل عمران:٤٩].

(٤) في (ك) و(ب): وفوا.

بالمتعيَّن في ذلك كله؛ فإنَّ الله يجعل جزاءه محبته[١]، وذلك قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وهو: **السَّابع والثلاثون**، وليس يعادل هذا الشَّرف شَرَفٌ.

الثامن والثلاثون: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٢]

وقد[٣] تكلَّمنا على هذه الآية في «الأحكام»[٤] و«الناسخ والمنسوخ»[٥].

وحَظُّ هذا «القسم» منها: أنَّ حقَّ التقوى أن يكون وَفْقَ الأمر؛ لا زيادة ولا نقص من قِبل أنفسكم، وأَمْرُه سبحانه على وجهين[٦]؛ على وجه الحَتْمِ، وعلى وجه النَّدْبِ، وكذلك نَهْيُه على قسمين؛ على التحريم، وعلى التنزيه.

وحَقُّ التقوى المحافظةُ على الكُلِّ، نَعَمْ؛ ثم يجتنب الغفلة فيكون أبدًا ذاكرًا، وأَعْظَمُ من ذلك كله وأَوْكَدُ أن يتبرَّأ عن السبب والعلة، فلا يرى فاعلًا إلا الله، والأسبابُ والعِلَلُ تأتي على قَدْرٍ وفي نَسَقٍ، فإذا فَعَلَ ذلك فقد اتَّقى الله حقَّ تقاته، وشَرْطُ صحته أن يموت عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وما تَفْعَلُوا من ذلك كله فلن يُرَدَّ عليكم،

---

(١) في (ص): محبة.

(٢) [آل عمران:١٠٢].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): قد.

(٤) الأحكام: (١٨٢١/٤-١٨٢٢).

(٥) الناسخ والمنسوخ: (١٣٣/٢-١٣٥).

(٦) في (ص): الوجهين.

ولا يُسْتَرُ عنكم، ولا يُمَدُّ حجابٌ بينه وبينكم؛ إذ كنتم خير أمة أخرجت للناس، واتَّقيتم الله حقَّ تقاته، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالْمُتَّقِينَ﴾[1]؛ على هذا المنهج المُبِينِ، وهو التاسع والثلاثون.

المُوَفِّي أربعين: قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[2]

أمَّا الصَّبْرُ فقد تقدَّم، وكذلك التقوى؛ فإن فعلتموهما لم يَصِلْ إليكم كَيْدُهم، فإن الله مُحِيطٌ بعملهم[3]، وبمَكْرِ كل مَاكِرٍ أمسكه أو أرسله، كل ذلك بحكمة[4].

وإن أدركتكم مَذَلَّةٌ[5] ﴿فَاتَّقُوا۟ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وهو: الحادي والأربعون، أي: اتقوا الله[6] أن تدفعوها بنَخْوَةٍ تخالف الشريعة، أو بكِبْرٍ يَضادُّ المِلَّةَ، وخُذُوهَا بامتثال الحدود والقيام تحت جريان المقادير تكونوا من الشَّاكرين، وأَجَلُّ الشكر ما كان على المصائب، وقد تقدَّم بيانُه[7].

---

(١) [آل عمران:١١٥].

(٢) [آل عمران:١٢٠].

(٣) في (ص): بعملهم محيط.

(٤) في (ص): بحكمته.

(٥) سقطت من (ص).

(٦) قوله: «لعلكم تشكرون، وهو الحادي والأربعون، أي: اتقوا الله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) بعده في (ك) و(ب) و(ص): وهو الثاني والأربعون، ثم بيَّن.

الثاني والأربعون: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[(١)]

بيَّن أنكم إن استمررتم على الصبر والتقوى ونَزَلَ بكم الأعداء وتعرَّض إليكم أَحَدٌ بالمكروه[(٢)] فإنَّ الله يُمِدُّكم بنصره، ويبلغ فيكم سابقُ أمره كما أخبر من وَعْدِه، وإن دعوتم قولوا: «اللهم امددنا بنصرك»، ولا تقولوا:/ «بملائكتك»؛ فإن الله لا يُعَيِّنُ عليه من وجوه الأفعال ما لم يُعَيِّنْ، ولا تقل: «اللهم امددنا بملائكتك الذين أمددت بهم رسولك»؛ فإنَّ هذا جَهْلٌ بالحقيقة، وتَحَكُّمٌ على الله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، فينصر بما شاء؛ من قُوَّةِ قلوبنا وضَعْفِ قلوبهم، أو إرسال ريح، أو سماع كلام يَفُتُّ في أعضادهم، كما فعل بقُرَيْشٍ في غزوة «حمراء الأسد»[(٣)]، وقُدْرَةُ الله في النصر وغيره لا تنحصر، فلا وجه لتعيينها من غير أَثَرٍ.

٢ [١١٤/ب]

الثالث والأربعون[(٤)]: قال الله سبحانه: ﴿اتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٥)] على العموم، كما تقدَّم، ﴿وَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[(٦)] على

---

(١) [آل عمران:١٢٥].

(٢) في (ك) و(ص): المكر.

(٣) سيرة ابن هشام: (٣/٦٥).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الثاني والأربعون: قوله تعالى: ﴿لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾، ﴿واتقوا النار﴾، وهو الثالث والأربعون، اتقوا، وضرب عليها في (د).

(٥) [آل عمران:١٣٠].

(٦) [آل عمران:١٣١].

الخصوص ؛ فإنها وإن كان أعدَّها للكافرين فربما عَذَّبَ بها المؤمنين[١]، ولكن فيها بِشَارَةٌ من دليل الخطاب ؛ أنها دَارٌ لم تُبْنَ للمؤمن ، وإنَّما بُنِيَتْ للكافر ، فإن دَخَلَهَا لم يَدُمْ فيها وأُخْرِجَ في الحال عنها ؛ فإنه عَارِيَةٌ فيها ، كرَجُلٍ في دار غيره .

الرَّابع والأربعون: قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢]

وهذه الآية عظيمة ؛ فإنه قال في أوَّلها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ ، وذلك أنه كانت بهم جراحات ورجعوا ، ثم دعاهم النبي إلى الخروج فخرجوا على ما بهم من النَّكْءِ والقَرْحِ والجرح ، وأجابوا داعي الله ، ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ ، وخروجهم إحسان ، ولكنه شَرَطَ عليهم فيه الإحسان ؛ لأنه يحتمل أن يكون منهم من خرج حُبًّا[٣] ، أو خرج لأنه رأى صاحبه قد خرج فخاف التعيير ، «والإحسانُ أن تعبد الله كأنك تراه»[٤] ، ويجب عليهم أن يخرج كل واحد منهم كأنه وحده ، كما قال أبو بكر لعُمَرَ في أهل الرِّدَّةِ: «أُقاتلهم وَحْدِي حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي»[٥] .

---

(١) في (ك): المؤمن .

(٢) [آل عمران:١٧٢] .

(٣) في (ص): حياءً .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سبق تخريجه .

الخامس والأربعون: قوله: ﴿وَإِن تُؤمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]

الإيمانُ أَصْلٌ ورَبْطٌ، فإذا تأصَّل وعُقِدَ فيجب الوفاء بمقتضاه، وتقاه: يعني: عُرَاه[2].

السَّادس والأربعون: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ﴾[3]

٢ وذلك أنه سبحانه أخبرهم أنهم سيُبْتَلَوْنَ[4] بالأذى من المشركين وأهل الكتاب، وأمرهم بالصَّبْرِ على ذلك وتقوى الله، ولا يكونوا[5] [١١٥/أ] /من الذين يُحْرِمُونَ التقوى بالبلوى، وهذه الآية شديدة على العباد، ولكنه لم يفرضها، إنَّما ذَكَرَ أنها من عزم الأمور، وذلك لأنه لا يَقْوَى[6] عليها كل القلوب.

السَّابع والأربعون: قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾[7]

لمَّا ذَكَرَ الله حال الكفَّار وما آتاهم من الدنيا ومكَّنهم فيه من البلاد والتصرف فيها بالمال والأولاد قال سبحانه للمؤمنين: هذا ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾،

---

(١) [آل عمران:١٧٩].

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): وتقاة نقض عراه، مرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) [آل عمران:١٨٦].

(٤) في (ب): يبتلون، وفي (ص): سيبلون.

(٥) في (ك): تكونوا.

(٦) في (ص): تقوى.

(٧) [آل عمران:١٩٨].

و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ الذين وَسَمْنَاهُم بسِمَةِ المعرفة، فلم يرفعوا قَدَمًا ولا وضعوا أخرى إلَّا لنا، فإنَّا نخصهم بدار الزُّلْفَةِ، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لهم ﴿خَيْرٌ﴾ ممَّا أمَّلوه لأنفسهم ورَجَوْهُ؛ ممَّا رأوا عليه حالة أعدائهم.

الثامن والأربعون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1]

قد تقدَّم ذِكْرُه[2] وبيانُه في اسم «الصَّابر»[3].

التاسع والأربعون: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[4]

النَّاسُ اسمُ جِنْسٍ، والاشتقاقُ فيه غير قَوِيٍّ[5].

وقيل[6]: «سُمِّيَ إنسانًا لظهوره[7]»[8].

وقيل: «لِنِسْيَانِه»[9].

وقيل: «لأُنْسِه»[10].

---

(١) [آل عمران:٢٠٠].

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في السفر الثالث.

(٤) [النساء:١].

(٥) لطائف الإشارات: (١/٣١١).

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): قيل.

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): بالظهور.

(٨) لطائف الإشارات: (١/٣١١).

(٩) لطائف الإشارات: (١/٣١١).

(١٠) لطائف الإشارات: (١/٣١١).

فعلى الأوَّل قيل له: «يا من أظهره من العدم بجِبْلَةِ التكليف، وخَصَّ من شاء بصفة التشريف، وحَرَمَ من شاء الهداية والتعريف، ونقل[١] ما شاء من التصريف؛ اتَّقُونِي»[٢].

ويقال: «يا من أظهر من العدم أمثالكم، ولكن لم يعطهم أحوالكم؛ اتَّقوني»[٣].

ويقال على الوجه الآخر: «يا من سُمِّيَ إنسانًا لأنه ناسي، إن نَسِيتَنِي فلا شيءَ أَخَسُّ منك، وإن نسيتَ غيري فلا شيءَ أخصُّ منك»[٤].

ويقال: «من نسي[٥] الحق فلا غاية لِمِحْنَتِهِ، ومن نسي الخلق فلا غاية لدرجته»[٦].

وقيل: «يقال للمذنبين: يا من نسي عهدي، ورفض وُدِّي، وتجاوز حَدِّي؛ اتق من العذاب[٧] ما عندي»[٨].

ويقال للعارفين: «يا من نسي لنا حظَّه، وصان عن غيرنا لَحْظَه ولَفْظَه؛ اتقوني فيما تستأنفون»[٩].

---

(١) في (ك) و(ب) و(ص): إلى، وضرب عليها في (د).

(٢) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٣) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٤) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): نسيني.

(٦) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): العقاب.

(٨) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

(٩) لطائف الإشارات: (٣١١/١).

ويقال: «يا من نسي شميم غيري، واستوحش إلى نسيم قُرْبي، واعتزَّ بجلالي؛ اتَّقِ مَكْرِي»[١].

ويقال: «يا من أَنِسَ بي، وسَكَنَ إلى ثوابك مني، وأَجْرُك عليَّ؛ فاتَّقِنِي».

والتقوى جماع الطاعات كما قدَّمنا، وآكَدُها اجتناب الشرك، وأقلُّها خَلْعُ غير الله عن قلبك، ألا تتقون[٢] من ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وهو آدَمُ، فنحن مخلوقون منه، وهو مخلوق باليد، وكما/ أظهر مرتبته أظهرنا، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٣] [البينة:٧]. [١١٥/ب]

ثم قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، أظهر تعالى الحُجَّةَ على الخلق بأن خَلَقَ الشَّكْلَ من الشَّكْلِ، ثم قرَّبه منه وقَرَنَه وآنَسَه به، ﴿وَبَثَّ﴾ بكمال القدرة ﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾، فتعرَّف إليكم على عموم الربوبية بما دلَّ من شواهد القدرة، ورَتَّبَ من دلالات الحكمة حيث خَلَقَ جميع هذا الخلق من شخص واحد، على اختلاف خَلْقِهم وأخلاقهم، وهممهم وأغراضهم، حتَّى لا يتشابه اثنان منهم في خَلْقٍ ولا خُلُقٍ، فدلَّ ذلك على أنه لا نهاية لمقدوراته، ولا غاية لمعلوماته.

ثم قال - في المُوَفِّي خمسين[٤] -: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١]، فإنه من قَطَعَ الرَّحِمَ قطع الله، ومن وصلها وصل الله، والله رقيبٌ على الكُلِّ[٥]، كما تقدَّم بيانُه.

---

(١) لطائف الإشارات: (٣١٢/١).

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): تتقوني.

(٣) لطائف الإشارات: (٣١٢/١).

(٤) في (ك) و(ب): التاسع والأربعون.

(٥) في (ك): الكمال.

الحادي والخمسون(١): قوله: ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٢)

نبَّه على أن الجزاء إنَّما يتعجل في الدنيا؛ في الخير والشر، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت:٢٦]، وهو(٣) الذِّكْرُ الحَسَنُ.

وقيل: «هو ما وهب له من الأولاد، وشرَّفهم به من النبوة، وأبقى في عقبه من الكلمة»(٤).

وقال في قصة الخَضِرِ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨١]، فلينظر المُتَكَلِّمُ(٥) في الأيتام الضِّعَافِ في عاقبة أيتامه، وأنه سيكون له يَوْمٌ(٦) مثل ذلك من(٧) أيَّامه.

الثاني والخمسون(٨): قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾(٩)، ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾(١٠)

ذَكَرَ الله حال الرجال مع النساء فيما بينهم من الحقوق، وأخبر بقصور الخلق عن الوفاء بالحق، وأمرهم بالعمل بمقتضى الوُسْعِ، وأن يقصدوا فيما

---

(١) في (ك) و(ب): الموفي خمسين.
(٢) [النساء:٩].
(٣) في (ك) و(ب) و(ص): هو.
(٤) لطائف الإشارات: (٩٥/٣).
(٥) في (د): المتكفل للأيتام، وصحَّحه، كما صحَّح ما أثبتنا.
(٦) في (ص): يوم القيامة.
(٧) في (د) -أيضًا-: في.
(٨) في (ك) و(ب): الحادي والخمسون والثاني والخمسون، وفي (ص): الثالث والخمسون.
(٩) [النساء:١٢٧].
(١٠) [النساء:١٢٨].

يأتونه من ذلك الإصلاح، ويجتنبوا المَيْلَ، فما وقع بعد ذلك فهو مغفور، وإن أحسنوا واتقوا الإساءة والتقصير فإنَّ الله خبير بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء، ولا يضيع عنده عمل.

الثالث والخمسون: قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1]

أخبر سبحانه في هذه الآية أن وصيته للجميع التقوى؛ فأمر الكلَّ بالرجوع إليه، ومجانبة من سواه، والوقوف عند حدوده؛ بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وهذا هو الدين كله والخير أجمع./ ٢ [١١٦/أ]

الرَّابع والخمسون: قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2]

لو خُلِقَ العَبْدُ وحده لكان له في اتخاذ الوقاية بينه وبين نفسه شُغْلٌ شَاغِلٌ، فكيف وقد ابتُلِيَ بغيره، وأمر بالتقوى معه ومنه، ولكن كذلك - أيضًا - توجَّه على الغير مثل ما توجَّه عليه، فلذلك قيل له: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وخاصَّة إذا كانا مرتبطين بسبب زوجيَّة، أو شَرِكَةٍ، أو وِلَايَةٍ، أو صُحْبَةٍ، لمَّا أرسل النبيُّ معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتَطَاوَعَا ولا تختلفَا»[3].

وقوله: ﴿ٱلْبِرِّ﴾: يعني: ما أمرتم به، ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: يعني: ما نُهيتم عنه، ويَدْخُلُ أحدُهما على الآخر في عموم الأمرين.

---

(١) [النساء:١٣٠].

(٢) [المائدة:٣].

(٣) سبق تخريجه.

ويقال: «البِرُّ: إتيانُ حقه، والتقوى: تَرْكُ حَظِّكُمْ»[١].

ويقال: «البِرُّ: موافقة الشرع، والتقوى: مخالفة النفس»[٢].

وقيل: «المعاونة على البِرِّ بحُسْنِ الصحبة[٣]، وجميل الإشارة للمؤمنين، والمعاونة على التقوى بالقبض على أيدي المبطلين؛ بما يقتضيه[٤] الحال من جميل الوعظ والزجر»[٥].

والمعاونةُ على الإثم والعدوان بأن تفعل[٦] شيئًا لا يَحِلُّ فيُقْتَدَى بك فيه[٧].

وكذلك المعاونة على البر والتقوى الاتِّصافُ بحَمِيدِ الأفعال[٨]، وجميل الخلال[٩]، وشريف الخصال، على الوجه الذي يُقتدى بك[١٠] فيه[١١].

---

(١) لطائف الإشارات: (٣٩٨/١).

(٢) لطائف الإشارات: (٣٩٨/١).

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): النصيحة.

(٤) في (ك): يقتضيه.

(٥) لطائف الإشارات: (٣٩٨/١).

(٦) في (د): يفعل.

(٧) لطائف الإشارات: (٣٩٨/١).

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): الخلال.

(٩) في (ك) و(ب) و(ص): الأفعال.

(١٠) في (ك): به.

(١١) لطائف الإشارات: (٣٩٩/١).

الخامس والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

العُقُوبَةُ: «ما يَتَعَقَّبُ الجُرْمَ ممَّا يَسُوءُ صاحبَه»[2].

وشِدَّةُ العقاب أن يُحْجَبَ المُعَاقَبُ عن الله بحرمان الطاعة، وسَلْبِ التوفيق، وتَسْلِيطِ البلاء[3].

السَّادس والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[4]

قد بيَّنَّا وصفه بأنه سَرِيعُ الحساب في كتاب «الأَمَدِ»[5].

وسُرْعَةُ حسابه في الدنيا للأولياء بمعاجلتهم بالابتلاء؛ بالتذكرة فيما يقصرون فيه، حتى يتذكَّروا فيقوموا بحقه.

وسُرْعَةُ حسابه في الآخرة بأنَّ محاسبة الخَلْقِ عنده كمحاسبة نَفْسٍ واحدة.

[عِلْمُ المناسبات بين آيِ القرآن]:

فإن قيل: فما وَجْهُ ذِكْرِهِ لقوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مع هذه الآية، وليس بينهما ارتباط في الظاهر؟

الجواب: إنَّ ارتباط آيِ القرآن بعضها ببعض حتَّى تكون كالكلمة الواحدة مُتَّسِقة المعاني[6] منتظمة البيان/ عِلْمٌ عظيم، لم يتعرَّض له إلَّا عالمٌ

[١١٦/ب]

---

(١) [المائدة:٣].

(٢) لطائف الإشارات: (١/٣٩٩).

(٣) لطائف الإشارات: (١/٣٩٩).

(٤) [المائدة:٥].

(٥) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٣٧٤).

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): المعنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

واحد؛ عَمِلَ منه «سورة البقرة»، ثم فَتَحَ الله لنا فيه، فلمَّا لم نَجِدْ له حَمَلَةً، ورأينا الخَلْقَ بأوصاف البَطَلَةِ؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبَيْنَ الله ورَدَدْنَاهُ إليه.

السَّابع والخمسون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١]

والثامن والخمسون: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢]

إنَّ الله سبحانه ذَكَّرَكم نِعَمَه السَّابغة عليكم؛ إذ عرَّفكم بنفسه، وأخذ ميثاقه عليكم؛ فاعترفتم والتزمتم، وأقررتم وأشهدتم على أنفسكم، وسمعتم وأطعتم، وليس للاعتبار حينئذ عندكم خبر، ولا للاستدلال عَيْنٌ ولا أثر، ولا للأمر والنهي سمع ولا بصر، فوَسَمَكُمْ حينئذ بالإيمان، ثم أظهركم وأحياكم وعرَّفكم التوحيد، وعرض عليكم الأمانة، وحذَّركم الخيانة، فقابلتم قوله بالتصديق، وضمنتم من أنفسكم التحقيق، فأمدَّكم بحُسْنِ التوفيق، وأرشدكم إلى سواء الطريق[٣].

ثم شَكَرَكُمْ بما أخبر عنكم من قولكم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، فـ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ﴾ في تَقْصِيرٍ عن ذلك كله من العقود، والإعراض عن الوفاء بالعهود، فـ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤] [الملك:١٥].

---

(١) [المائدة:٨].

(٢) [المائدة:٩].

(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).

(٤) لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).

ثـم قـال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ [المائـدة:٩]، ولا يُقْعِدَنَّكُمْ عن الوفاء بحَقِّنا حُصُولُ نصيب لكم في شيء من الدنيا[1]، ولا تَحْمِلَنَّكُمْ ضغائن صدوركم على الحلول بمنازل الحيف[2]، فإن مَرْتَعَ الظلم وَبِيٌّ، وموضع الزيغ مُهْلِكٌ[3].

ثمَّ صرَّح بالأمر بالعدل وأَمَرَ به، وأخبر أنه أقرب للتقوى؛ بل هو نفس التقوى، وإنَّما جعله أقرب إليها لأنه ابتداؤها، وقد لا يستمر عليه، فإذا شرع فيه بنيَّة، فالله يُعِينه عليه في البقيَّة[4]، وهو:

التاسع والخمسون[5]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[6]

كما أنه عليم بما تعتقدون؛ فإنه مُحِيطٌ بباطنكم وظاهركم، ومن أحاط بالباطن وأحصاه فالظاهر منه أقرب.

المُوفِّي سِتِّين[7]: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾[8]

٢ ذكَّرهم بما له عليهم من نِعَمِ الدَّفْعِ، وهو ما كَفَّ عنهم من أيدي الأعداء، وقصَّر عنهم من/ [١١٧/أ] مكرهم، وهذه أمارات العناية، ولقد بالغ في

(١) قوله: «من الدنيا» سقط من (ك) و(ب) و(ص).
(٢) في (ص): الخيف.
(٣) لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).
(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٠٧).
(٥) في (ص): الموفي ستين.
(٦) في النسخ: فإن الله خبير بما تعملون.
(٧) في (ص): الحادي والستون.
(٨) [المائدة:١٢].

الإحسان من كَفَاكَ من غير عِلْمٍ منك، أو سَبْقِ شفاعة فيك، أو رجاء نفع في المستأنف من جهتك، أو حصول رِبْحٍ في الحال من لدنك[١]، أو وُجُوبِ حَقٍّ في السَّالف لك[٢]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، على ما تقدَّم من تَعَلُّقِ[٣] التوكل بدَفْعِ النوائب في اسم «المُتَوَكِّلِ»[٤].

الحادي والستون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[٥]

أَمَرَهُمْ بأَكْلِ الحلال الطيِّب، وهو الصافي، وهو الذي سَلِمَ من ثَلَاثٍ؛ من الحرام في الكسب، ومن الشُّبْهَةِ، ومن المِنَّة لأَحَدٍ غير الله.

فـ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وهو **الثاني وستون، والثالث وستون**[٦].

قال بعضهم: «من حافظ على الأمر والنهي فليس في لقمة حرام يتناولها بتأويل ما يَضِيرُه[٧] في تقواه، فإنَّما المقصود أن يتأدَّب العبدُ بصحبة طريقة الباري سبحانه التي شرع، فإذا اتَّقى الشِّرْكَ فعرف، واتَّقى

(١) في (ك) و(ب) و(ص): منك، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.
(٢) لطائف الإشارات: (٤٠٩/١).
(٣) في (د): متعلق.
(٤) في السفر الثالث.
(٥) [المائدة: ٩٠].
(٦) في (ك) و(ب): الرابع والستون، وفي (ص): وهو الثالث والستون والرابع والستون والخامس والستون.
(٧) في (ك): يضره.

الحرام فيما تصرَّف، ثم لزم العدل فما قتَّر[١] ولا أسرف، واتقوا المنع وآمنوا[٢] بالخُلْفِ[٣]، ثم اتقوا شهود الخلق، وأحسنوا في شهود الحق»[٤].

وقد تقدَّم القول في التحقيق فيه في «المقام الأوَّل»[٥].

والله يحب المُحْسِنِينَ اعتقادًا، المحسنين أقوالًا، المحسنين أعمالًا، المحسنين آمالًا، المحسنين أحوالًا[٦]، ولكل واحد من ذلك متعلق، وذلك يطول فافهموه.

الخامس والستون[٧]: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٨]

فصَّل سبحانه أحوال الصيد في التحليل والتحريم، ثم أَمَرَ بتقواه فيها، وخصَّ من أَمْرِ الله الذي يتَّقي الحَشْرَ، وفي تخصيصه[٩] تقوى الحشر في آخر ذلك **فائدة بديعة**؛ ليس بيانُها من «القِسْمِ الرَّابِعِ»، وإنما هي من حكمة النَّظْمِ، فلذلك لم نذكرها.

---

(١) في (ص): أقتر.

(٢) في (ص): أنسوا.

(٣) في (ص): الجلف.

(٤) لطائف الإشارات: (١/٤٤٧-٤٤٨).

(٥) في السفر الأول من السراج.

(٦) لطائف الإشارات: (١/٤٤٨).

(٧) في (ص): السادس والستون.

(٨) [المائدة:٩٨].

(٩) في (ك) و(ص): في.

كما أن التعقيب - في السَّادس والستين[1]- بقوله: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2] من الفوائد الحسنة من ذلك الباب، والمعنى: اتقوا الله ولا تبدؤوه بالسؤال، حسب ما بيَّنَّاه في كتاب «الأحكام»[3]، واجعلوا السُّكُوتَ عن سؤاله وِقَايَةً؛/ حتَّى يأتيكم من أَمْرِ الله ما أراد.

٢ [١١٧/ب]

السَّابع والستون[4]: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ﴾[5]

معناه: افهموا، وهو أَحَدُ[6] معاني السمع، وهو أَوْلاها، وخصَّه هاهنا لأن ذِكْرَه للأحكام في هذه الآية جاء على وَجْهٍ من الإشكال أَوْجَبَ سَبَبَيْنِ:

أحدهما: عدم فَهْمِ الآية.

والثاني: الاختلاف فيها.

فلذلك أَمَرَ بالتثبت، وأن يتخذ وقاية دون العجلة؛ حتى يفهم مراد الله فيها.

الثامن والستون[7]: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[8]

طَلَبَ بنو إسرائيل المائدة لتسكن نفوسهم[9] بما يشاهدون من الآية،

---

(١) في (ص): السابع والستون.

(٢) [المائدة:١٠٢].

(٣) أحكام القرآن: (٢/٦٩٨-٧٠٠).

(٤) في (ص): الثامن والستون.

(٥) [المائدة:١١٠].

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): بأحد، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.

(٧) في (ص): التاسع والستون.

(٨) [المائدة:١١٤].

(٩) في (ص): قلوبهم، وأشار إليه في (د).

وتطمئن قلوبهم بالمعجزة؛ فأُجِيبُوا إلى ذلك، إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة[١].

قال علماؤنا: «لم تنزل سَكِينَةٌ على بني إسرائيل حتى[٢] طلبوها، ونزلت على هذه الأمة قبل الطلب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]»[٣].

فلمَّا سألوها[٤] قال عيسى لهم: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، أي: اجعلوا بينكم وبينه وقاية عن سؤال هذا، واقتصروا على ما رأيتم من الآيات، فصَرَمُوا، وقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، يعني: شَرَفًا[٥]، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾، معناه: نزداد[٦] يقينًا وعلمًا بتصديقك، فأجابهم الله، فلم يتقوا الله وخالفوا الأمر، وذلك ليعلم العالمون أن المراد إذا حصل والكرامة إذا تحقَّقت فالخطر أشد، والمخافة أعظم، والحالُ من الملامة أقرب[٧].

التاسع والستون[٨]: قوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٩]

أخبر تعالى أن الحياة الدنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ، غرَّارة مَخُوفة، مُتْعِبَةٌ مُلْهِيَةٌ،

---

(١) لطائف الإشارات: (٤٥٥/١).

(٢) في (ب): حين.

(٣) لطائف الإشارات: (٤٥٥/١).

(٤) في (ص): فلمَّا سألها بنو إسرائيل.

(٥) في (د): شرقًا.

(٦) في (ب) و(د): تزداد.

(٧) ينظر: لطائف الإشارات: (٤٥٦/١).

(٨) في (ص): الموفي سبعين.

(٩) [الأنعام:٣٢].

فتقواها تَرْكُها؛ فإنه[١] لو لم يَفُتْ بها مع الاستقامة عليها إلَّا أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة، وهم أكثر أهلها.

المُوَفِّي سبعين: قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[٢]

ذَكَرَ الله تعالى الذين يخوضون، وأَمَرَ بتركهم والإعراض عنهم، فلا يُوافَقون في مقالة، ولا يُباسَطون في حالة، وذلك -كما بيَّنَّاه في «الأحكام»[٣]- إذا لم يَقْدِرْ على تغييره، فإذا فَعَلَ ذلك فهذه تقواه التي ترفع اللَّائمة[٤] عنه في أمرهم، وتُخرجه عن حالهم بكرامته[٥] لهم ولما يفعلونه.

الحادي والسبعون:/ قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾[٦] [٢/١١٨أ]

أَمَرَ بالمناجاة، وحذَّر من الإخلال بشروط المناجاة؛ كما قدَّمناه في اسم «المُصَلِّي»[٧]، فإن أردت أن تعيده فأعده[٨].

الثاني والسبعون: قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٩]

يعني: الآيات من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥٢]، لمَّا[١٠] بيَّن لهم فَرَضَ عليهم التُّقَاةَ فيه، وأشدُّه افتراق السُّبُلِ، قال النبي ﷺ: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شِبْرًا بشِبْرٍ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ،

---

(١) في (ص): فإنها.
(٢) [الأنعام:٦٩].
(٣) أحكام القرآن: (٢/٧٣٩).
(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الملامة.
(٥) في (ص): كراهته.
(٦) [الأنعام:٧٢].
(٧) في السفر الثاني.
(٨) في (د): تعبده فاعبده.
(٩) [الأنعام:١٥٤].
(١٠) في (ك) و(ب) و(ص): فما، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ»[١]، وبافتراق السُّبُلِ يُخِلُّ العَبْدُ بالإِحْدَى عشرة خصلة التي تضمَّنتها هذه الآيات، فإن شئت أن تَذْكُرَهَا وتُنَبِّهَ عليها فافْعَلْ[٢].

الثالث والسبعون: قوله: ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٣]

يعني: أنَّ الله أنعم على الآدَمِيِّ بما يُوَارِي به قبيح منظرته الظاهرة، ولباسُ التقوى خَيْرٌ منه[٤]؛ فإنَّ لباس الدنيا يقي الآفات الظاهرة، ولباسُ التقوى يقي الآفات التي تُوجِبُ سَخَطَ المولى، وقد يكون للنفس لباسُ التقوى بالجهد في الخدمة، والجِدِّ[٥] في العبادة، وقد يكون للقلب بصدق العَقْدِ، ونَفْيِ الطمع، وتَرْكِ العلائق، وحَذْفِ العوائق[٦].

الرَّابع والسبعون: قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾[٧]

عدَّد الله على بني آدم نِعَمَه وبلاءَه، ثم قال: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ مِنِّي بامتثال ذلك كله ﴿وَأَصْلَحَ﴾ - على ما تقدَّم في اسم «الصَّالِحِ»[٨]- فذلك لا خوف عليه ولا حزن له[٩].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥١١).
(٣) [الأعراف:٢٥].
(٤) في (ص): «الرابع والسبعون: قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾؛ أي: خير من اللباس الظاهر، فإن اللباس الظاهر في الدنيا يقي الآفات الظاهرة».
(٥) في (ك) و(ب) و(د): الجوع.
(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٢٧-٥٢٨).
(٧) [الأعراف:٣٣].
(٨) في السفر الثاني.
(٩) سقط من (ص).

الخامس والسبعون: قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1]

يعني: ما حَلَّ بمن قبلهم من الغرق والهلاك، حين كان فِعْلُهم فِعْلَهم، وحَالُهم حَالَهم، واذكروا نعمه عندكم التي تُوجِبُ عليكم تقواه.

ثم قال - وهو: **السَّادس والسبعون**-: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾**[2] ما حذَّرناهم منه، واعتبروا بمن سلف قبلهم من الأمم؛ لمكَّنَّاهم من آمالهم الدنياوية، وعصمناهم من الآفات، وليس العبرة في النعمة، إنما العبرة في البركة في النعمة، وليست العبرة في البركة، إنما العبرة في العافية، وهي الرضى[3].

السَّابع والسبعون: قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]

يعني: الذين استعانوا بالله، وصبروا على بلاء الله، ورَضُوا بقضاء الله، ولم يؤثر فيهم/ الخروجُ من الوطن، ولا تَعَذُّرُ الزَّمَنِ. ٢ [١١٨/ب]

الثامن والسبعون: قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[5]

هذه آية عظيمة، تكاد تُوجِبُ يأسًا للمذنبين؛ فإنه أخبر أن الرحمة على سَعَتِها لا تُكْتَبُ إلَّا لمن اتقى، وقال في العذاب: ﴿أُصِيبُ بِهِ مَنْ

---

(١) [الأعراف:٦٤].
(٢) [الأعراف:٩٥].
(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٥٣).
(٤) [الأعراف:١٣٧].
(٥) [الأعراف:١٥٦].

آشَآءُ﴾، وذلك أن الرحمة هي الإرادة، فعذابه يصيب به من يشاء؛ فإن شاء ألَّا يصيب به أحدًا كان ذلك له، وإن شاء أن يُعَذِّبَ به جميع الخلق كان ذلك له، وإلَّا لم يكن مختارًا، وإنما كان يكون مُكْرَهًا[١].

قال قوم: «رحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، وهي في الآخرة للتقوى»[٢].

وقيل: «ورحمتي وسعت كل شيء حتى لأهل النار».

وهذا فاسد، وقد بيَّنَّا فساده في كتاب «الأمد»[٣] وغيره.

وقيل: «﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أي: تصلح لكل شيء بشرطه»، وهو الإيمان والتقوى، وفيه أربعة أقوال:

الأوَّل: التقوى: التوبة[٤].

الثاني: التقوى من الشِّرْكِ[٥].

الثالث: التقوى من الكبائر[٦].

الرَّابع: قال أهلُ الزهد: «الذين يتقون أن يُرَوا أنهم يتقون، إنما ذلك إلى الله، لا يفخرون ولا يعجبون، فإذا لم يروا أنهم بما فعلوه مستحقون للرحمة وجبت لهم الرحمة»[٧].

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٥٧٦).
(٢) الهداية: (٤/٢٥٨٤).
(٣) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٩٥).
(٤) تفسير الطبري: (١٣/١٥٩-شاكر).
(٥) تفسير الطبري: (١٣/١٥٩-شاكر).
(٦) تفسير الطبري: (١٣/١٦٠-شاكر).
(٧) لطائف الإشارات: (١/٥٧٦).

وقوله عز وجل: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ قد تقدَّم بيانُ[١] ذلك في اسم «المُزَكِّي[٢]»[٣].

ثمَّ قال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، أي: لا يمرُّون على آيات السَّماوات والأرض وما يأتيهم[٤] به الرُّسُلُ وهم معرضون أو مُكَذِّبُونَ[٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾؛ قدَّمه الله في الإيمان وإنْ أخَّره في الزمان، فلا[٦] يُقبَل من أحد عَمَلٌ إلَّا بالإيمان به[٧].

التاسع والسبعون: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٨]

قيل لهم: ما فائدةُ وَعْظِكم من لا يَقْبَلُ منكم؟

قالوا: لنُعْذِرَ لأنفسنا[٩] عند ربنا، وتسقط العهدة التي علينا، ورجاء لقبولهم، كما قال في قصة فرعون: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣].

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) قوله: «وقوله: .. في اسم المزكي» تقدَّم في (ك) و(ب) و(ص)، وموضعه فيها بعد قوله: «من الكبائر».

(٣) في السفر الثاني.

(٤) في (ك) و(ب): تأتيهم.

(٥) في (ص): يكذبون.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فلم، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٧) سقط من (د).

(٨) [الأعراف:١٦٤].

(٩) في (د): أنفسنا.

المُوَفِّي ثمانين: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[١]

وقد تقدَّم.

الحادي والثمانون: قوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]

لمَّا أخذوا الكتاب قَهْرًا، لم يعرفوا له قَدْرًا، بل قابلوه بالتحريف، ولم يذكروا ما فيه بالتعريف، ولا اتقوا عاقبة المخالفة، ونقض العهد، ومصادمة[٣] الأمر، ومعاندة المالك[٤].

الثاني والثمانون:/ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾[٥] [٢/١١٩أ]

المتقون إنَّما يَمَسُّهم طائف من الشيطان مع الغفلة، فلذلك تُزِيلُه الذِّكْرَى، ولو أنهم أداموا ذِكْرَ الله بقلوبهم ما كان للشيطان عليهم سَبِيل، ولا بدَّ من الغفلة للمتقين، فلكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل عابد شِرَّة، ولكل قاصد فترة، ولكل سار وقفة، ولكل عارف حَجْبَة، ولكل مسلم حُجَّة[٦].

---

(١) [الأعراف:١٦٩].

(٢) [الأعراف:١٧١].

(٣) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: تضاد، هكذا قرأتها، وقد بترت بعض حروفها، والله أعلم.

(٤) في (ك): الملك.

(٥) [الأعراف:٢٠١].

(٦) لطائف الإشارات: (١/٥٩٨-٥٩٩).

قال بعضهم: «ولكل خَيِّرٍ حِدَّةٌ؛ لِمَا رُوي في الحديث: «الحِدَّةُ في خيار أمتي»[١]»[٢].

وهو خَبَرٌ باطل لا أصل له.

وقد روي أن النبي قال: «إنه ليُغَانُ على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة»[٣]، وذلك بما كان يعتريه من الغفلات في الفترات، عند مجاذبة الخلق في الشؤون والحاجات.

الثالث والثمانون: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٤]

لمَّا[٥] أُخذت الغنيمة يوم بدر اختلفوا فيها، فأنزل الله الآية، حذَّرهم ما هَلَكَ به من كان قبلهم؛ من كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، وأمرهم الله أن يتخذوا وِقَايَةً من ترك السؤال، ونبذ الخلاف[٦]، والمبادرة إلى الوفاق، وإصلاح ذات البين بالائتلاف، وطاعة الله وطاعة رسوله في الامتثال، إن كانوا مؤمنين، فهذا حُكْمُ الإيمان.

---

(١) ينظر: المقاصد الحسنة: (ص١٨٦-١٨٧).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٥٩٩).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) [الأنفال:١].

(٥) ضبَّب عليها في (د)، وفي الطرة: «في يوم بدر اختلفوا، فقال: فأنزل الله تعالى، وصحَّحها»، ولم يظهر لي وَجْهٌ في إثباتها.

(٦) في (د): الخلافة.

الرابع والثمانون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[١]

قد بيَّنَّاها في «القبس»[٢] و«الأحكام»[٣] و«الأنوار» بغاية البيان، وأوضحنا منها ما جَهِلَه كثيرٌ من الأعيان، ونخصُّ من البيان في هذا «القسم الرابع» أن نقول[٤]: «المعنى[٥]: احذروا أن تركبوا فتنة تُوقِعكم في أعظم عقوبة لا تختصُّ بمرتكبها، بل يعمُّ شؤمها من تعاطاها ومن لم يتعاطها، والأَصْلُ أنَّ جُرْمَ المذنب لا يتعلَّق بغيره، ولكن من تعصَّب للظالم أو[٦] رَضِيَ بفِعْلِه كان له حُكْمُه، هذا أَمْرُ الله وحِكْمَتُه، وأنَّ السَّفِيهَ إذا لم يُنْهَ مأمورٌ بإجماع من العقلاء، والفاعل للزلَّة مُذْنِبٌ بفِعْلِه، والمُعَاوِنُ مُذْنِبٌ بمَعُونَتِه، والرَّاضِي مُذْنِبٌ برضاه بها[٧]، فالكُلُّ مُذْنِبٌ، وأَجَلُّهُم الفاعل، ولذلك قال النبي: «اللَّهم لم آمُرْ، ولم أشهد، ولم أرض؛ إِذْ بلغني»، فتبرَّأ من الأحوال الثلاث[٨] المُوجِبة للعقوبة.

---

(١) [الأنفال:٢٥].

(٢) القبس: (١١٧٦-١١٧٤/٣).

(٣) الأحكام: (٨٤٨-٨٤٦/٢).

(٤) في (د): يقول.

(٥) في (د): المفتي.

(٦) في (ك): و.

(٧) سقطت من (ك) و(ب).

(٨) في (ك): الثلاثة.

٢ [١١٩/ب]

ألا ترى أن العالم إذا لَحَظَ[1] إلى رُخَصِ الشَّرْع/ في أَخْذِ الزيادة على القُوت والكفاية وإن كان من وَجْهٍ حلال تعدَّى ذلك إلى من يقتدي به، فيحمله ذلك على الرغبة في الدنيا وتَرْكِ التقلل منها، فيؤديه[2] إلى الانهماك في أودية الغفلة.

والعابدُ إذا جَنَحَ[3] إلى تَرْكِ الأوراد تعدَّى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة، فيستوطن إلى الكسل، ويركن إلى الراحة، ويحمل الفراغُ على اتِّباع الشهوات.

فالشبابُ والفراغُ والجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ للدِّين أيُّ مَفْسَدَهْ[4]

وبالجملة إذا غفل المَلِكُ عن رَعِيَّتِه[5] وتشاغل عن سياستها تعطَّل الكُلُّ، وعَظُمَ الكُلُّ، وفسد الجُنْدُ، وتعطل الحَدُّ، وذهب الجِدُّ، فإذا اتقى الله في ذلك كله جَعَلَ له فُرْقَانًا»[6]، وهو:

الخامس والثمانون: قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[7]

من عِلْم وافر، وإلهام قاهر، وقلب حاضر، والعالمُ فُرْقَانُه بُرْهَانُه، والمُلْهَمُ فُرْقَانُه عِرْفَانُه، والقلب الحاضر برهانه رجحانه، فهُمْ في مجهود

(١) في (ب): انحطَّ.

(٢) في (ك) و(ب): فيؤديهما، وفي (ص): فيؤديها.

(٣) في (ص): احتاج.

(٤) البيت من أرجوزة أبي العتاهية الحكمية الذائعة الصيت، وبعضها في الأغاني: (٤/٢٢)، وفيه: «إنَّ الشباب»، وبه يستقيم الوزن.

(٥) في (ك) و(ب): رعاته.

(٦) لطائف الإشارات: (١/٦١٦-٦١٧).

(٧) لم ترد الآية في (ك) و(ب) و(ص)، [الأنفال:٢٩].

نفوسهم، والفرقانُ[١] تعريفٌ من الله، والتكفير تخفيفٌ من الله، والغفرانُ تشريفٌ من الله[٢].

السَّادس والثمانون: قوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٣]

كانوا يُحَامُون عن المسجد ويمنعون منه باسْم أنهم أولياؤه، وليس له بولي من لا يتقي فيه[٤] الله، وإذا كان يُعَذِّبُ من ليس له بوَلِيٍّ فدليل الخطاب يقتضي أنه لا يُعَذِّبُ وَلِيًّا، وقد قدَّمنا حقيقة «الولي»[٥] في اسمه، والمؤمنون كلهم أولياء الله، وهو وليهم على مقاديرهم، وإن عذَّب فإنه يرحم، وإن أَعْرَضَ فإنه يُقْبِلُ.

بَيْتُ شِعْرٍ[٦]:

إذا سَلِمَ العهدُ الذي كان بيننا ... فوُدِّي وإن شَطَّ المزارُ سليمُ[٧]

السَّابع والثمانون: قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[٨]

يعني: نَقْضَ العهد مرة بعد أخرى، وهو أعظم خلاف يكون للتقوى، فقد صار نَقْضُ العهد لهم سَجِيَّة، فلا ينبغي أن يَتْرُكَ من استفراغ الوُسْعِ في جهادهم بقيَّة.

---

(١) في (ك) و(ص): العرفان.
(٢) لطائف الإشارات: (١/٦١٩).
(٣) [الأنفال:٣٤].
(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الله فيه.
(٥) في السفر الثالث.
(٦) قوله: «بيت شعر» سقط من (د) و(ب) و(ص).
(٧) من الطويل، وهو في لطائف الإشارات: (١/٦٢٢) غير منسوب.
(٨) [الأنفال:٥٧].

ومن أعظم الكبائر التي لا غفران لها في هذا الطريق تَكَرُّرُ نقض العهد، والاستخفاف بالحرمة في كل وقت؛ لما يؤول إليه من سوء الخاتمة، ويدل عليه من فساد الباطن، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الآية [النساء:١٣٦].

الثامن والثمانون: قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] / [٢ ١٢٠/أ]

حذَّرهم الله أن يختلفوا بين يَدَيْ رسول الله، كما تقدَّم بيانُه.

التاسع والثمانون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

وقد تقدَّم.

وقوله بعد ذلك: ﴿فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وقد تقدَّم أيضًا بيانُه، فإن[٤] شئت أن تبسطه فابسطه، فإن المَحَلَّ يحتمل، وهو:

المُوَفِّي تسعين: قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]

يعني: بعصمته ونصرته، ولَمْ[٦] أَذْكُرْ[٧] وجوه المعيَّة؛ فإني أخاف[٨] عليكم المَلَلَ بالتطويل، فأَمَّا[٩] أنا فإنه[١٠] أَلَذُّ عندي من نَسِيمِ البَلِيل، وأَوْقَعُ

(١) [الأنفال:٧٠].

(٢) [التوبة:٧].

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): فاستقيموا إن الله يحب المتقين.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): إن.

(٥) [التوبة:١٢٤].

(٦) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في (ك): اذكروا.

(٨) في طرة بـ (د):في خـ: خفت.

(٩) في (ك) و(ب) و(ص): وأما.

(١٠) في (ب): فهو.

في نفسي من رِيِّ الغليل، وأنجع من شفاء العليل، وكيف لا يكون معهم وهو عليم بهم، محيط بسرائرهم وعلانيتهم! كما قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤٤]، وهو:

الحادي والتسعون: وهذه الآيةُ من أغرب آيةٍ في كتاب الله، وذلك أنَّ الله تعالى أخبر عن تخَلُّفِ المنافقين في غزوة تَبُوكَ عن المؤمنين، وخصَّ بالذِّكْرِ منهم من أَذِنَ له رسول الله، ثم قال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، فبدَأَهُ بالعَفْوِ قبل العِتَابِ، تأنيسًا له[١] وتَطْيِيبًا لنفسه الكريمة؛ لئلَّا يخجل ويغتمَّ، فلم يكن منه ﷺ[٢] ارتكابُ محظور ولا تجاوزُ[٣] حَدٍّ، وإنَّما تَرَكَ الأولى بالاجتهاد وعموم الإذن في قَبُولِ العُذْرِ في الظاهر، وأخبر أنهم ﴿لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾[٤] [التوبة:٤٦]، يعني: لم يُرِدْهم فخلق لهم القعود، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، حَكَمَ عليه بذلك وسجَّل، وأخبر عنه فاعتمل به واحتمل، وبيَّن سبحانه صواب الرأي في قبول العذر بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة:٤٧]، ممَّا[٥] كان عندكم من الخبال بأمثالهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾؛ ممَّن خرج ومَن بَقِيَ، فلذلك قَبِلَ توبة من تحقَّق تُقَاتَه، وعَلِمَ صِدْقَه، فانظروا[٦] إلى عَتْبِهِ، ثم تصويب رَأْيِه.

---

(١) قوله: «تأنيسًا له» سقط من (ك) و(ب) و(د).
(٢) في (ك): صلى الله عليه.
(٣) في طرة بـ (د): في خـ: مجاوزة.
(٤) في (د): ولكن الله كره انبعاثهم.
(٥) في طرة بـ (د):في خـ: فيما.
(٦) في (د): وانظروا.

الثاني والتسعون[١]: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾[٢]

كان أهلُ مسجد الضِّرَارِ قد بَنَوا مسجدهم على نيَّة السعي بالفساد، والتَّضْرِيبِ بين الناس، والإيضاع في الخبال، وتَشْتِيتِ الحال على النبي والمؤمنين، وتزهيد الناس فيهم، والتَّعْيِيبِ لهم، وعمارة مجالسهم بذلك، ٢ وأَسَاسُ الأعمال الدنيوية والدينية النيَّات، فإذا صحَّت ثَبَتَ/ المترتب[٣] [١٢٠/ب] عليه؛ كان من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة، واتَّسق على نظام الطاعة فيها.

وأنتم يا مَعْشَرَ المريدين: إليكم فاسمَعُوا، وعليكم فَعُوا؛ أن تَبْنُوا[٤] نيَّاتكم في الإرادة للتجرد للعبادة على يَقِينٍ صادق فيما تعتقدونه، ثم على خلوص في العزيمة، وحَزْمٍ[٥] -في الانتهاض للمَسِيرِ[٦] على طريق الهداية إلى الله سبحانه- تَامٍّ، وعَزْمٍ نَافِذٍ، ألَّا تنصرفوا عن الطريق التي تسلكونها قبل الوصول، ولينسلخ كُلُّ أَحَدٍ منكم عن شهواته ومآربه ومطالباته، ثم يبني أمره على دوام ذِكْرِهِ، بحيث لا يعترضه نسيان، ولا يَعُوقُه عائق يسلبه الذِّكْرَ أو العرفان، ولا يجعل لأحد على قلبه سلطان[٧]، وليصرم حَبْلَ

---

(١) في (د): الثاني وتسعون.
(٢) [التوبة: ١١٠].
(٣) في (ك): الترتيب.
(٤) في (ك): تبثوا، وفي (ص): تبتوا.
(٥) في (د): جزم.
(٦) في (ك) و(ب) و(ص): للسير.
(٧) كذا في جميع النسخ.

النسوان والولدان، وليتجرَّد حتى يَتَّسِمَ بسِمَةِ الخلصان، ويرتسم في عباد الرحمن؛ فإنه إن ضيَّع الأصول في الطريق حُرِمَ الوصول، وذلك لمن لم يُحْكِمِ الأساس - أوَّلًا - في البنيان، فإنه إذا لم يفعل ذلك سَقَطَ عليه الحائط في المقام، أو خَرَّ عليه السقف وهو لا يشعر عند التمام[١].

وقد أَكَّدَ الله الخبرَ عمَّن يؤسس بُنيانَ إرادة على غير تقوى؛ فإن القلب يبقى مُرْتَابًا في أثناء المسير[٢] للمريد، حتى إذا لَقِيَ عائقًا أو تَشَبَّثَتْ به في أثناء ذلك عَلاقة انحلَّ رَبْطُه، وانهار بنيانه، ونكص على عَقِبَيْهِ، ومن أُيِّدَ بصحيح البرهان، ووُفِّقَ لتأمُّلِ الفرقان، وأُعطي من القوة بحيث يَصْدِفُ[٣] عن العوائق، ويقطع عارض العلائق، إمَّا أن يبقى حائرًا في ظلمة الترديد، أو تذهب به الخواطر إلى خلف، وذلك بما يكون من القضاء السَّابق في التيسير له أو[٤] التعسير عليه.

كما[٥] قال سبحانه - في الثالث والتسعين -: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٦]؛ فعلمه[٦] قولًا، ثم نفذ[٧] فيه ما أراد حُكْمًا، فالبيانُ بالقول لقيام الحجة، والإنفاذُ بالفعل لتصحيح الحكمة والدلالة على المشيئة والقدرة، وتكون الهداية في هذه الآية بمعنى البيان، لا بمعنى خَلْقِ الهُدى في القلوب.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٦٣).

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): السَّير.

(٣) في طرة بـ (د):في خـ: ينصرف.

(٤) في (د): و.

(٥) سقط من (ك).

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فبيَّنه، ومرَّضه في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): ينفذ.

٢
[١٢١/أ]

الرَّابع والتسعون: قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١]

فيه سِتَّةُ/ أقوال:

الأَوَّل: «كُونُوا مع المسلمين»[٢]، والخطابُ لمن آمَنَ من أهل الكتاب[٣].

الثاني: «كُونُوا مع الصادقين في الحديث، وتجنَّبوا الكذب»[٤].

الثالث: «استديموا[٥] إيمانكم؛ وكونوا مع الداخلين في الجنة بقَدَمِ الصدق الذي لهم عند ربهم»[٦].

الرابع: «كُونُوا مع المهاجرين الأوَّلين»[٧].

الخامس: «سَوُّوا بين سِرِّكُمْ وعلانيتكم»[٨].

السَّادس: «كونوا في أقوالكم وأعمالكم على مقتضى عقائدكم، ففي الحكمة: «كَذَبَ من ادَّعى محبتي؛ فإذا جنَّه الليل نام عنِّي»[٩]، يعني: أن تلك الحالة هي التي يطلبُ الحبيبان من الخلوة، أو أحدهما في الآخر.

---

(١) [التوبة: ١٢٠].

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٣) في (د): والخطاب لأهل الكتاب.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٥) في (د): في خـ: استرعوا.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٨) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٧١).

وللتقوى منازلُ؛ منها: هذه الستة التي ذَكَرُوا.

الخامس والتسعون: قوله: ﴿ءَلَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[١]

يعني: في اختلاف الليل والنهار، فاختصاصُ النهار بضيائه، واختصاص الليل بظَلْمائه، من غير وجوب ذلك ولا استحقاق، هذا دلالة على الرد والقبول، والقطع والوصول[٢]، ليس لسبب ولا علة ولا معلول، وإنَّما[٣] هي إرادة ومَشِيَّة[٤]، وحكمة وقَضِيَّة[٥].

والنَّهارُ لأصحاب العرفان، والليل لأهل الامتحان؛ فإنه للمُحِبِّ وَقْتُ نَجْوَى، وللعاصي حِينُ شَكْوَى[٦].

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٦]، يعني: من الدلالات، وعجائب المخلوقات، وقد أشرنا إلى نُبْذَةٍ منها في اسم «المتفكر»[٧]، وهي أكثرُ من أن تُذكر، وما منها إلَّا ما له مثالٌ في الدين، ضَرَبَ الله به المَثل للمؤمنين.

ومن أعظم أنواع العبرة فيه التي يجب أن تُتَّقَى أنَّ فيها كوكبين؛ شمسًا وقمرًا، فالشمسُ أبدًا ثابتة بضيائها، والقمر في زيادة ونقصان، ومحو

---

(١) في النسخ: إن في ذلك لآيات لقوم يتقون، [يونس:٦].

(٢) في (د): الوصل.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): إنما.

(٤) في (ص): شِئَةٌ.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٨٠).

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٨٠).

(٧) في السفر الثاني.

وإثبات، وكمال في ليلة أو ليلتين، وذلك مَثَلٌ لمن تدوم حاله فلا يتغير من العبَاد، بما أحاط به من التوفيق، وذلك الآخَرُ مَثَلٌ لمن تتغيَّر أحواله، وتتبدَّل أقواله وأعماله، والكلُّ إلى فناء وعدم؛ لأنه ليس له وَصْفُ القِدَمِ[١].

ومن أعظم ما يُتَّقَى فيها الشَّكُّ في زوالها، ويليها الاعتقاد بأن لها تأثيرًا في فِعْلٍ، أو أنها سَبَبٌ في عَمَلِ أَمْرٍ، فذلك مناقض للعقل، مبطل للإيمان، ما[٢] للشمس والقمر حَظٌّ في النبات ولا في الحيوانات، وإنَّما الذي ترى[٣] بينهما من الارتباط علامات./ ٢ [١٢١/ب]

السَّادس والتسعون: قوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٤]

أَمَرَ الله نبيَّه أن يُقَرِّرَهم على من يرزقهم من السماء والأرض بالمطر والنبات، ومن يُنشئ السمع والأبصار، ومن يُخرج الحي من الميت؛ النبات من الحَبِّ، والحب من النبات، والشعر والظفر والجنين من النطفة، والنطفة من الحي، والكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر.

ويُدَبِّرُ أمر السماوات والأرض؛ من شتاء وصيف، وريح وسُكون، فإذا قالوا: ﴿ٱللَّهُ﴾، قل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ من يفعل ذلك في عبادتكم لغيره؛ ممَّن لا يخلق ولا يعقل، ولا يضر ولا ينفع، وكذلك يُقال لمن يَنْسُبُ ذلك إلى الأسباب: إنك مُقِرٌّ بأن الله خالق الكُلِّ، فاتَّقِ أن تُخرج عن قدرته إلى بَعْضِ مقدوراته بَعْضَ مخلوقاته، وانسُب المسبَّب إليه كما تنسبُ

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/ ٨٠).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فما.

(٣) في (ك) و(ب): يرى.

(٤) [يونس:٣١].

السَّبَبَ، واجعل الكُلَّ فِعْلًا له بقدرته، فذلك أَبْدَعُ وأعجب، ولا تكذب عليه فتقول: خَلَقَ فيها القُوَّةَ على ذلك؛ فإنه لم يُخْبِرْكَ بذلك، بل أخبرك أنه لا فاعل سواه، ولا خالق غيره، ولا مُدَبِّرَ إلَّا هو، فكيف يكون للشمس والقمر أو للجمادات تدبيرٌ، أو يصحُّ منها وُجُودُ فِعْلٍ مُحْكَمٍ؟ هل يخرج هذا[١] من قَلْبِ عَبْدٍ[٢] إلَّا[٣] وهو بالجهل مُفْعَمٌ!

السَّابع والتسعون: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[٤]

المعنى: الذين قالوا: لا إله إلا الله، ووَفُوا بذلك في الاعتقادات والأقوال والأفعال، باجتناب المحرَّمات، والعزوف عن الشهوات، والتحذُّر من الغفلات، والتوقِّي للشبهات، دع عنك المحرَّمات، فهؤلاء لهم البشرى قَطْعًا؛ في الحياة الدنيا بالعيشة الطيبة، وفي الآخرة بالحالة المرضية، ألا ترى كيف لم يَكِلِ البشرى إلى أَحَدٍ، فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة:٢١]، لمَّا لم يخرجوا عن عُهْدَةِ الإسلام، ووَفُوا بشَرْطِ الالتزام؛ قُوبِلُوا بغاية البِرِّ والإكرام، بما كُوشِفُوا به من الإعلام[٥].

فالبِشَارَةُ **الأولى**: ما يجدونه في قلوبهم من اللَّذَّةِ بالمعرفة[٦].

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): إلَّا، وضرب عليها في (د).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): غدا.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) [يونس:٦٣-٦٤].

(٥) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/١٠٦).

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/١٠٦).

والبشارة **الثانية**[١]: ما يجدونه في نفوسهم من هوان الحاجات والمَآرِبِ[٢].

والبشارة **الثالثة**[٣]: ما يجدونه على أرواحهم من الرضى بالكوائن، فرَوْحهم مع وجودها كرَوْحهم قبل وُرُودِها[٤].

٢ [١٢٢/أ] والبشارة **الرَّابعة**[٥]:/ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٣٠-٣١].

والبشارة **الخامسة**: «يا أهل الجنة؛ خُلُودٌ فلا موت»[٦].

والبشارة **السَّادسة**: «قد أحللتُ عليكم رضاي، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٧].

وذلك مُتَحَقِّقٌ بقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الثامن والتسعون: قال الله لنَبِيِّه بعدما قصَّ عليه أعظم الأخبار وأَوْلاها وأحراها بالاعتبار وأدناها: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ﴾ كما صبر نوح، فـ﴿**إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود:٤٩]، على الوجه الذي قدَّمنا، ومنها الضجر بالبلاء، والملل من التحمل للأعباء، والفشل عن التضرع والدعاء.

---

(١) في (د): والثانية.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٦/٢).

(٣) في (د): والثالثة.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١٠٦/٢).

(٥) في (د): والرابعة.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

التاسع والتسعون: قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[١]

يعني: اجعلوا بينكم وبين ما تفعلون من المنكر وقاية، وهؤلاء بناتي فاتخذوهن وقاية.

قيل: «أراد بنات أُمَّته؛ لأنَّ كل نبي بنات أمَّته بناتٌ له»[٢].

وهذا لا يصح بحال، فلا وجه لدعواه.

وقيل: «أراد به بنات نَفْسِه»[٣].

أي: خذوهن مني بالنكاح، فهنَّ أطهر لكم، أي: أنقى من المعصية، وأَوْضَأُ من الحرام.

قال بعضُ النَّاس: «وحَمَلَهُ[٤] ما رأى من الغلبة على إلقاء جلباب الحشمة»[٥].

وعلى قول بعض الفقهاء: «ولم يُراع الكفاءة»، أو كان زواج الكافر للمؤمن جائز[٦]، ذلك كلُّه ليَفْدِي ضِيفَانه ببناته.

المُوَفِّي مائة: قوله: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٧]

أَخْبَرَ الله في هذه الآية بحُكْمِه، قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا

---

(١) [هود:٧٧].

(٢) لطائف الإشارات: (١٤٨/٢).

(٣) لطائف الإشارات: (١٤٨/٢).

(٤) في (د): جملة.

(٥) لطائف الإشارات: (١٤٩/٢).

(٦) الهداية: (٣٤٤٣/٥).

(٧) [يوسف:٥٧].

لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٥٦]، المعنى: لمَّا كان مالكًا لشهوته ملَّكه الله الحُكْمَ على خليقته(١)، وجعل في يديه أرزاق أمته.

قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى:٢١]، ثم أخبر عن حقيقة التوحيد، وبيَّن أن ما يُؤْتِي عبادَه من أَلْطَافِه(٢) فبِفَضْلِهِ لا بِفِعْلِهِمْ، وبرحمته(٣) لا بخدمتهم، ثم بيَّن فقال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾، ثم بيَّن أنه لمن(٤) يكون(٥)، فقال: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، يعني: يجعلون بينهم وبين هواهم وقاية؛ إمَّا من مروءة، وإمَّا من ديانة.

الحادي ومائة: قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٦)

فاتَّقى يوسف شهوته، وصبر على البلاء، فوفَّاه الله أجره بالمُلْكِ في الدارين.

٢ أخبرنا الشهيدُ أبو سَعْدٍ(٧) بالقدس، وأبو الفضائل ابن طَوْقٍ بمدينة السَّلام، عن الأستاذ/ [١٢٢/ب] أبي القاسم القُشَيري، عن أبي علي الدقَّاق شيخ الصوفية قال: «إن(٨) يوسف لمَّا قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾، فأشار إلى

(١) في (ب): خليفته.
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الطاعة.
(٣) في (د): رحمته.
(٤) في (د) و(ص): لم.
(٥) في (ص): يكن.
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ الآية، [يوسف:٩٠].
(٧) هو الإمام محمد بن طاهر الزنجاني، سبق التعريف به.
(٨) في (د): ابن.

استحقاق الأجر على ما عمل من الصبر؛ أنطقهم الله حتى أجابوه بلسان التوحيد، فقالوا له[١]: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: ليس هذا إلَّا بإيثار الله وإرادته[٢] لا بصبرك، فانقادَ يوسف حينئذ فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، فأسقط عنهم اللَّوم حين نبَّهوه عليه، فلمَّا[٣] لم يَرَ تقواه[٤] من نفسه لم ير جفاءهم منهم، فنطق عن عين[٥] التوحيد فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢]»[٦].

واعترفوا بفَضْلِ يوسف بعد ما أنكروه وضجروا من تفضيل أبيه له، وأخذوا في طريق التجاوز وهو الاعتراف، فأسرع يوسف في التجاوز عنهم، ووعد يعقوب بذلك[٧]، وفيه كَلَامٌ أمليناه في الألف الآية اليُوسُفِيَّةِ من «أنوار الفجر»[٨].

الثاني والمائة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٩]

قد بيَّنَّا في كتاب «قانون التأويل»[١٠] الفَرْقَ بين المِثل والمَثل، وليس

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) بعده في (د) ما لم أتبينه، لسوء التصوير.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): فكما.

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، وفي الطرة: تنبه منهم نطق عن عين التوحيد، وصحَّحها، ولم يظهر لي وجه في إثباتها.

(٥) في (د): غير.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٤).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٤).

(٨) بعده في (ص) من زيادة الأشيري: «الثالث والمائة: قوله تعالى: ﴿ولَلدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾، وقد تقدَّم».

(٩) [الرعد:٣٥].

(١٠) قانون التأويل: (ص١٤١-١٤٢).

لله[1] مِثْلٌ، وله المَثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، الذي لا يُنال بوَجْهٍ[2]، الحكيم فيما قضى[3] ودبَّر، ووصف به نفسه وأخبر، قال ابن عباس: «ليس في الجنة من الدنيا إلَّا الأسماء»[4]، وقد بيَّنَّا ذلك في «العواصم»[5] و«المقامات» صَدْر هذا الكتاب وغيره[6].

ولهم فيها جنات وعيون؛ مَثَلًا لما شاهدوه من جنس[7] الدنيا[8]، فإنَّ أحسن الجنات ما كان له عين جارية، كما قال[9]: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[10] [الحجر:٤٥]، و﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[11] [القمر:٥٤]، و﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾[12]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): له.

(٢) في (د): بوجهه.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) العواصم: (ص١٤-١٥).

(٦) في (ك) و(ص): وغير ذلك، وبعده في (ص) من زيادة الأشيري: «الخامس والمائة: قوله تعالى: ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾، أي: المصير إلى هذه الجنة الموصوفة يكون في الأخرى عاقبة من اتقى الشهوات في الدنيا، فيكون ما يؤتاه فيها من أُكُلٍ دائم جزاء ما أسلفه من جوع ملازم، وما يهيأ من ظل ثوابًا عن ضَحائه في خدمة المولى الأجل».

(٧) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): في موضعين، وضرب عليها في (ص).

(٩) وهو الثالث والمائة.

(١٠) بعده في (ك) و(ص) و(ب): في موضعين.

(١١) وهو الرابع والمائة.

(١٢) وهو الخامس والمائة.

[الطور:١٥]، و﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[1] [المرسلات:٤١]، وكما[2] أن فيها عيونًا، ففيها أنهار، ولا يَطِيبُ ذلك إلَّا بالظلال، وظِلُّها ليس من ثمارها، وإنما هو هواء سَجْسَجٌ[3].

يدخلونها بسَلَامٍ، أي: بسلامة من الآفات.

وقيل: تُسَلِّمُ عليهم، ويسلم عليهم ربهم، ويأخذون ما آتاهم ربهم، ويتنعَّمون به ويتفكَّهون فيه، ويتمتعون في فنونه.

وفي ذلك شَرْحٌ؛ فخُذُوا كل شيء من موضعه على ما بيَّنَّاه في «قانون التأويل»، فمن عجز عن ذلك أو[4] استبعده فهذا القَدْرُ يكفي في منفعته إن كان مُرِيدًا، أو في الحجة عليه بسعة العلم إن كان عنيدًا، وإنَّما ذكر سبحانه هذه الخمسة وإن كانت واحدًا لاختلاف مُتَعَلَّقَاتِهَا.

[٢/١٢٣/أ]

السَّابع والمائة:/ قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾[5]

هو قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٧]، كما تقدَّم، إلَّا أنَّ هذا الكلام وقع هاهنا مُجَرَّدًا في سؤاله لهم تَرْكَ الخزاية؛ بالمروءة في بِرِّ الأضياف، وبالديانة في ترك الحرام، وفي «سورة هود» كان التصريح أكثر.

---

(١) وهو السَّادس والمائة.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فكما.

(٣) أي: المعتدل بين الحر والبرد، تاج العروس: (٦/٣٠).

(٤) في (ك) و(ب): و.

(٥) [الحجر:٦٩].

الثامن والمائة: قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[١]

هذا هُوَ قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١]، إلَّا أن تلك الآية مخصوصة بأهل الكتاب، وبيَّن في هذه الآية أنها وصية لكل نبي، وأُخْتُ لا إله إلا الله في الإنذار، وناهيك بهذا شَرَفًا لها[٢]، فافهموه فإنه نفيس، وفيه كلام طويل لا أراكم تحتملونه؛ لما رأيتُ من كثرة الكسل لديكم، وكثرة الفشل فيكم، وعظيم القواطع عندكم، وقلة المساعد لكم، وإِنْحَاءِ الدنيا عليكم.

التاسع والمائة: قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ﴾[٣]

يعني: اتقوا الكفر، كان الوفدُ إذا سألوا عن النبي والرُّكْبَانُ إذا[٤] استخبروا حاله والسُّفَّارُ إذا تناقلوا حديثه والسُّمَّارُ إذا أجرَوا قصته قال الذين كفروا: أساطير الأولين، يعني: أكاذيب العجم، فضَلُّوا وأَضَلُّوا، ليحملوا أوزارهم كاملة[٥] وأوزار من قَبِلَ منهم.

وقال الذين اتقوا: دِينُه حق، والذي أُنزل عليه خير، وهو أنَّ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠]، يعني: دارهم[٦]، وهو: **العاشر والمائة**.

---

(١) [النحل:٢].

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): لهما.

(٣) [النحل:٣٠].

(٤) سقطت من (ك).

(٥) سقطت من (ك) و(ب).

(٦) قوله: «يعني: دارهم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

قال علماؤنا: «قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ تَفْسِيرٌ من الله لمعنى قولهم: الخير»، إلى آخر القول.

والحسنة التي وجدوا في الدنيا هي حلاوة الطاعة، وصفاء الوقت، ولَذَّةُ العبادة، وزيادة التوفيق لهم في الأعمال، ونماء التحقيق في الأحوال، وتبليغ المريدين منازل الأكابر، والبالغين[1] مراتب السَّابقين، وما يتعدَّى منهم إلى غيرهم من بركات إرشاد المريدين، وتنبيه الغافلين، وإفادة المتعلمين، وفي هذا كله حديث زائد وأخبار[2] تُنْقَلُ من مواضعها، على رسم القانون في هذه العشرة المراتب التي أوردتُها الآن.

قال سبحانه: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ بما لا يحصى من التفضيل؛ بما هي عليه من البقاء، والأمن من الزوال، والعصمة من الآفات.

[٢/١٢٣/ب] ثم ذَكَرَ/ أَلَذَّ ما في الجنة[3]؛ وهو أنه يؤتى فيها ما يشتهي، ونَكَدُ الدنيا إنَّما هو تعذر الآمال، وضيق الأحوال، وقصور القدرة عنها، والجنة متسعة لذلك وأكثر، حتى تنقطع الأماني بالعَبْدِ وتغلبه، فلا يجد ما يتمنَّى، فهذا جزاء المتقين، وهو:

الحادي عشر والمائة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[4]

على ما يأتي بيانه في اسم «الطَّيِّبِ» إن شاء الله.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): التابعين.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وفي هذا كله حديث وآية وآثار وأخبار.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ثم ذكر الدنيا في الخيبة، وفي طرة بـ (ص): في خـ: الجنة.

(٤) [النحل: ٣٢].

الثاني عشر والمائة: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١]

قد تقدَّم ذِكْرُ المَعِيَّةِ ومعناها في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقد تقدَّم الإحسان[٢] في اسم «المُحْسِنِ»[٣].

الثالث عشر والمائة: قوله[٤]: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾[٥]

يعني: يحيى صلوات الله عليه.

ذَكَرَ المفسرون عن النبي ﷺ: «أنه ما من أحد إلَّا قد أذنب أو هَمَّ بذنب، إلَّا يحيى بن زكرياء»[٦]، وهو خَبَرٌ ليس له سند، ولا في المعنى معتمد، ما من الأنبياء أَحَدٌ إلَّا كان تَقِيًّا؛ من آدم إلى مُحَمَّدٍ[٧]، كلهم تَقِيٌّ نَقِيٌّ، ويحيى فيهم شَرِيفٌ سَنِيٌّ، وقد بيَّنَّا خصاله في «كتاب الأنبياء».

الرابع عشر والمائة: قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[٨]

حَمَلَ الافتئاتُ[٩] على كتاب الله قومًا على أن يقولوا: «إنَّ تَقِيًّا اسمُ

---

(١) [النحل:١٢٨].

(٢) سقط من (د).

(٣) في السفر الثاني.

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) [مريم:١٢].

(٦) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (١٢/٢١٦)، رقم: (١٢٩٣٣).

(٧) بعده في (ص): صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٨) [مريم:١٧].

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): العدوان، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

رجل»[١]، وإنَّما هو أعوذ بالرحمن منك إن كنت ذا تقوى ونهية، أَيْ[٢]: يجب أن تخوَّف بالرحمن إن كنت[٣] تعرفه، وذَكَرَتِ الرحمن دون ذِكْرِ الله استعاذةً برحمة تحفظها منه، ولم تجد كلمة أحظى منها عندها، ولقد استعاذت بمُعَاذٍ، وبه يستعاذ من كل شر، ومن شَرِّ الشيطان وشِرْكه، وهَمْزِه ونفثه ونفخه، ولو كان الذي تعوَّذت منه لا يعرف الرحمن فإنها تعرفه، والمُعَوَّلُ[٤] على معرفة المستعيذ لا على معرفة المُسْتَعَاذ منه، بلا مرية ولا خلاف، وهذا من نَفِيسِ العلم.

الخامس عشر والمائة: قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾[٥]

أي[٦]: نجعل الجنة لهم ميراثًا، بقوله: ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣]، وهو **السَّادس عشر والمائة**.

وهذه الآية تكشف لك منازل التقوى، ومراتب البلوى، وفائدة الطاعات، فقد تقدَّم في «مقام القيامة»[٧] أنَّ الناس في جواز الصراط على طبقات؛ ناج مُسَلَّم، ومخدوش مرسل، ومار كالبرق، ومار على رجليه، ومار تلفحه النار مرَّة وتُخْلِيه أخرى./ ٢ [١٢٤/أ]

---

(١) الهداية: (٧/٤٥١٠)، وهو قول وهبه بن منبه.

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): وأنت ممَّن، ومرَّضها في (د)، والمثبت صحَّحه بطرته.

(٤) في (د): القول.

(٥) [مريم:٧٢].

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): و.

(٧) في السفر الأوَّل، المقام الثالث.

السَّابع عشر والمائة: قوله[١]: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

جعل البشرى لمن اتقَّاه على الإطلاق، ويكون بتقييد على وجوه؛ لمن وقع في بعض المكاره دون بعض.

الثامن عشر والمائة: قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٣] ما أوعدتهم به، رجاء ما وعدتهم، خرج الأمر مخرج الرجاء والخوف والإبهام، حتى يكشف لك[٤] العيان منازل ذلك ومواضعه[٥]، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ فيما أغفلوه بما يأتي لما مضى.

التاسع عشر والمائة: قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٦]

هو قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، وهذا حقيقة ذلك المجاز، تقديرُه: والعاقبة لذي التقوى.

المُوَفِّي عشرين ومائة[٧]: قوله: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[٨]

إنَّ الله لا ينالُ شيئًا ولا ينالُه شيء على الاتصال، وإنما هو عطاؤه

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٢) [مريم:٩٨].
(٣) [طه:١١٠].
(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٥) في (ك): مواضعه.
(٦) [طه:١٣١].
(٧) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.
(٨) [الحج:٣٥].

للخلق، فِعْلٌ يفعله، وعطاءُ الخلق[1] فِعْلٌ يفعلونه، والنَّوْلُ هو الاتصال بالشيء، وذلك من الله فينا من صفات الأفعال، فصُوَرُ الأفعال لا منفعة فيها لنا، ولن يقبل الله شيئًا منها إلَّا أن تكون مقترنة بتقوى دون[2] آفة تتعلق بها أو نقصان يكون فيها، وفي ذلك تفصيل طويل وكلام كثير، فمن[3] قَدَرَ عليه فلينقله من مواضعه، وليُرَتِّبْهُ على وجوهه.

الحادي وعشرون ومائة والثاني وعشرون ومائة[4]: قوله في سورة المؤمنين: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[5]

في موضعين، وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك في أمثالها، فلا وجه لتكرارها خوفًا من مَلَلِكُم[6].

الثالث والعشرون والمائة[7]: قوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[8]

قال لهم: «ملتكم واحدة، ونبيكم واحد، ومعبودكم واحد، فأنتم في الأصول شَرَعٌ سواء، فلا تسلكوا بُنَيَّاتِ الطريق فتطِيحُوا في أودية الضلالة، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، خافوا مخالفة أَمْرِي، واعرفوا عظيم قَدْرِي،

---

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): لوجهه، وفي (د): لرحمته، وضرب عليها.

(٢) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (د): لمن.

(٤) قوله: «والثاني والعشرون والمائة» سقط من (د).

(٥) [المومنون:٨٨].

(٦) في (ك) و(د): لمللكم.

(٧) في (د): الثاني وعشرون ومائة.

(٨) [المومنون:٥٣].

واحفظوا في مجاري التقدير سِرِّي، واستديموا بقلوبكم ذِكْرِي، تجدوا في مآلكم غَفْرِي، وتنالوا بِرِّي»[١].

الرابع والعشرون ومائة[٢]: ﴿فَلَ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣]

أَمَرَ رسولَه أن يُكَرِّرَ عليهم المسألة، وأَعْلَمَهُ بجوابهم، ولم يَرْضَهُ حين لم يصدر عن عِلْم، وإذا حَكَمَ القاضي بحق من[٤] غير عِلْم فهو في النار، ثم نبَّههم على كمال قدرته، وأنَّ القدرة القديمة إذا/ تعلَّقت بمَقْدُورٍ له ضِدٌّ تعلَّقت بضِدِّه، ورتَّب القول هاهنا على وُجُوهٍ من الحكمة، قال أَوَّلًا: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المومنون:٨٦]، فقدَّم الذِّكْرَ على التقوى؛ لأنهم بتَذَكُّرِهم يَبْلُغُونَ إلى المعرفة، فإذا عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتِّقَاءُ مخالفته، فإن لم يفعلوا قيل لهم: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المومنون:٩٠]، أي: بعد وضوح الحق، أيُّ شَكٍّ بَقِيَ حتى تنسبوه إلى السِّحْرِ[٥]؟

[١٢٤/ب]

الخامس وعشرون ومائة[٦]: ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[٧]

هُمْ أبدًا في نعيم مُقِيم، حُورٌ وسُرُرٌ وسُرُورٌ، وقِبَابٌ وغُرَفٌ وقُصُورٌ، ورَوْحٌ وريحان، وحُسْنٌ وإحسان، وبهجة وجمال، ونعمةُ بالٍ،

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٧٧).
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.
(٣) [المومنون:٨٨].
(٤) مرَّضها في (د)، وفي الطرة: بغير، هكذا قرأتها.
(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٨٦).
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الخامس والعشرون والمائة.
(٧) [الفرقان:١٥].

ولُطْفٌ جديد، وفضل حميد[١]، ولذَّةُ شراب[٢]، وكاساتُ مَحَابٍّ[٣]، وبَسْطُ قَلْبٍ، وطِيبُ وقت، وكمال أُنس، ودوام طَرَب، وتمامُ جَذَلٍ، لباسُهم حرير، وفُرُشُهم سُنْدُسٌ وإستبرق، فالأسماء الأسماء[٤]، والمعاني[٥] أعظم ممَّا تُعاين وتُعاني، ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [المومنون:١٦]، ولكن لا يشاؤون إلا ما يشاء، إرادتُه سبقت، هم فيها أبدًا مقيمون، لا يبرحون، ولا هم عنها يُخرجون، ولا هم فيها ينزفون، هذه حالهم فما ظنك بإمامهم[٦]؟

رَبَّنَا ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان:٧٤]، وقد تقدَّم بيانه[٧]، وهو: **السَّادس والعشرون ومائة**[٨]، وهي مَرْتَبَةٌ تُنال بالدُّعَاءِ لا بالدَّعْوَى، وإمامُ المتقين مُتَّقِي، ولكن حسناتهم[٩] في ميزانه، وأعمالهم من أعماله[١٠].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ومزيد، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (ب): محاب.

(٣) في (ب): شراب.

(٤) في النسخ: فالأسما الأسما.

(٥) في (د): المغاني.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٦٣٠).

(٧) في السِّفْرِ الثاني، عند اسم «العابد»؛ الصفة الثانية عشرة.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.

(٩) في (د): حسابهم.

(١٠) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٥٢).

السَّابع وعشرون ومائة[1]: قوله: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[2]

ذَكَرَ الله تقوى الأمم هاهنا في خمسة عشر[3] موضعًا، وما حذَّرتهم به الرُّسُلُ من[4] اتخاذ الوقايات عمَّا كانوا يقتحمون من الجرائم، ويرتكبون من السيئات، يقولون لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، وهم في ذلك معاندون، على الخلاف مُصِرُّون[5]، وكان ذلك التَّكرارُ سُنَّةً لإقامة الحجة، والإبلاغ في المعذرة، وتعليم الخلق الرِّفْقَ والصبر، وتكرار النصيحة والوعظ، وإن لم يصادف قَبُولًا.

الثالث والأربعون ومائة[6]: قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[7]

أي: قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ.

فيه تأويلان:

أحدهما: بالمعاينة[8].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): المائة.

(٢) [الشعراء:١٠].

(٣) وبهذا تكون الآيات قد بلغت اثنين وأربعين آية بعد المائة، ويليها: الثالث والأربعون ومائة.

(٤) سقط من (ك).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): ومصرون.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الثاني والأربعون ومائة.

(٧) [الشعراء:٩٠].

(٨) لطائف الإشارات: (١٦/٣).

والثاني[١]: بالوقت[٢]؛ فإنَّ كل ما هو آتٍ -ولا بد- فقريب، وذلك قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١]، يقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ [ق:٣٢].

الرابع والأربعون ومائة[٣]: قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[٤]

٢ [١٢٥/أ]

وقد بيَّنا اقتران التقوى بالإيمان،/ فإن شئت فأَعِدْه، وثَبِّتِ القلوب به، وإن خَشِيتَ مَلَلًا فأَحِلْ عليه وانتَقِلْ عنه.

الخامس[٥] **والأربعون ومائة: قوله:** ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]

خُذْهُ من اسم «المتواضع»[٧] و«الصَّالح»[٨]، واسْرُدْهُ بالقانون.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الثاني.

(٢) لطائف الإشارات: (١٦/٢).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الثالث والأربعون ومائة.

(٤) [النمل:٥٥].

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الرابع.

(٦) [القصص:٨٣].

(٧) في السفر الثالث.

(٨) في السفر الثاني.

السَّادس[١] والأربعون ومائة: قَوْلُ إبراهيم لقومه[٢]: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾[٣]

لمَّا لم يصرح به في «سورة الظُّلَّةِ»[٤] أَفْرَدَهُ بالذِّكْرِ هاهنا، والمعنى واحد.

السَّابع والأربعون ومائة[٥]: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[٦]

قيل: هو خطاب للأمة، عبَّر به عنهم تَكْرِمَةً لهم وتأكيدًا عليهم[٧].

وقيل: أُفْرِدَ بالخطاب ليكون ذلك أعظم على الأمة[٨].

وإذا لم يوقن[٩] هو فمن يوقن[١٠]؟ وإذا لم يتق الله فمن يتقه[١١]؟ وقد

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): الخامس.

(٢) في (د): لقوله.

(٣) [العنكبوت:١٥].

(٤) هي: سورة الشعراء.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): السَّادس والأربعون ومائة والسَّابع والأربعون ومائة.

(٦) [الأحزاب:١].

(٧) الهداية: (٥٧٨٠/٩).

(٨) الهداية: (٥٧٨٠/٩).

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): يؤمر.

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): يؤمر.

(١١) في (ك): يتقيه، و(ب): يتقي.

قال ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم بحدوده»[1]، فأفادكم هذا أن التُّقَى إنما يكون على مقدار العلم وحضوره، فمن كان أعلم كان أتقى، وتترتَّب منازلهم على حسب مراتبهم في العِلْم.

الثامن والأربعون ومائة: قَوْلُه تعالى لمُحَمَّدٍ: ﴿وَاتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[2]

كذلك كان؛ أخشى الخلق لله، وأعلمهم بما يتقي، كما أخبر عن نفسه[3].

ومعناه: اتق الله أن تخرج ما في نفسك، كذلك فعل، فقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب:٣٧-٣٨]، فأظهر الله من سِرِّهِ ما لم يقدح في قَدْرِه، ولا أنكر من أَمْرِه، وأنبأ عن طهارة علانيته وجَهْرِهِ[4]، صلَّى الله عليه ما دَارَ طَوْقُ حَمَامٍ في نَحْرِه، وهَطَلَ سحابٌ بقَطْرِه.

التاسع والأربعون ومائة: قَوْلُه للنساء: ﴿وَاتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾[5]

وهُنَّ أحق بالتقوى لكثرة عصيانهن[6]، وهذا مَوْضِعُ كلام للمعاصي التي ينفرد بها الرجال دون النساء، فيتأكد[7] عليهن في ذلك التقوى، كما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جُنُبٌ، رقم: (١١١٠-عبد الباقي).

(٢) [الأحزاب:٣٧].

(٣) هو الحديث السَّابق.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): سِرِّه، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) [الأحزاب:٥٥].

(٦) في (د): عصيانهم.

(٧) في (ك) و(ص): فتتأكد، في (ب): فأكد.

للرجال كذلك فيما ينفردون به، على ما بيَّنَّاه في «الأنوار»، ويختصُّ البيانُ هاهنا بما[١] فُرِضَ عليهن فيه الستر، وتمييزه[٢] ممَّا رُخِّصَ لهن، على تفصيلٍ؛ بيانُه في «الأحكام القرآنية»[٣].

المُوَفِّي خمسين ومائة: قوله: ﴿اتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٤]

ذَرُوا الشرك والمعاصي، ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: كلمة الإخلاص؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله، عن ضمير صادق.

[١٢٥/ب] وقيل: «سَدِّدُوا أقوالكم تُسَدَّدْ أعمالكم، ولقد رفع عنك/ الحرج من رَضِيَ منك بحَالَةٍ وقَالَةٍ، فالحالةُ تَرْكُ الشِّرْكِ، والقَالَةُ كلمتا الشهادة، فإذا فعلتم ذلك أصلح أعمالكم الدنيوية من الخلل، وغفر لكم في الآخرة الزلل، فحصلت لكم سعادة الدارين»[٥].

ومن «فوائد الشهيد أبي سعد»: «ذَكَرَ الأعمال بالجمع وقدَّمها على المغفرة[٦]؛ لأنه ما لم تصلح أعمالك ولم يكفك أشغالك لم تتفرَّغ لحديث آخِرَتِك»[٧].

---

(١) في (ك): إنما.

(٢) فوقه في (د): وغيره.

(٣) أحكام القرآن: (٣/١٥٨٠-١٥٨١).

(٤) [الأحزاب:٧٠].

(٥) لطائف الإشارات: (٣/١٧٢).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): الغفران، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٧) لطائف الإشارات: (٣/١٧٢).

الحادي والخمسون ومائة: قَوْلُه[١]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢]

اتخِذُوا وقاية عمَّا تستقبلون من الذنوب بالكَفِّ والعصمة، وعمَّا مضى بالاستغفار والتوبة؛ لعله أن تنالكم الرحمة، اعرفوا[٣] صفة البهائم في أودية الخذلان، لأنَّ الموسوم[٤] بوَسْمِ[٥] الحرمان، الأَصَمَّ عن سماع الرُّشْدِ، المَصْدُودَ[٦] عن سلوك القصد؛ إن أُمِرُوا بالإنفاق أمسكوا خشية الإملاق، وقالوا معارضين: إن[٧] الله خلق الأنام، إن شاء رزقهم ونظر إليهم بالإنعام، ويستعجلون هجوم الساعة لِمَا غَشِيَ[٨] قلوبهم من الإظلام[٩].

الثاني والخمسون ومائة: قوله في الصَّافَّات: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٠]

كما تقدَّم غيره، فاذكره واجعله جوابه[١١].

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) [يس: ٤٤].

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): اعرضوا، وضبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (د): المرسوم.

(٥) في (د): برسم.

(٦) في (د): المصدور.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): بأنَّ.

(٨) في (ك) و(ص): عشي.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٢١٩).

(١٠) [الصافَّات: ١٢٤].

(١١) في (ك) و(ص) و(ب): حوالة.

الثالث والخمسون ومائة: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[١]

أنَّه لا يفعل ذلك بفضله، وإن كان له ذلك[٢] جائزًا بحقه وعَدْلِه، وقد أكَّد ذلك بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢٠]، وأَنَّ الله سبحانه قد أخبر بمنزلة كل واحد منهما[٣] وحالته.

الرابع والخمسون ومائة: قوله[٤]: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾[٥]

وتقدَّم نحوُه، وهاهنا زيادة؛ وهي[٦] ألَّا يتعلَّل المرءُ بالأعداء في تَرْكِ التقوى، فأرضُ الله واسعة، فاخرجوا منها إلى موضع آخَرَ تَتِمُّ فيه لكم عبادتكم، ويَسْلَمُ فيه دينكم، واصبروا على مفارقة مَوَاطِنِكم وأهليكم وأموالكم، فلكم الأَجْرُ بغير حساب.

الخامس والخمسون ومائة: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾

هذه منازل المتقين في عِلِّيِّين، في مقام أَمِينٍ[٧] آمِنِين[٨]، وهو:

---

(١) [ص:٢٧].

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ذلك له.

(٣) في (د): منها.

(٤) سقط من (ك) و(ص).

(٥) [الزمر:١١].

(٦) في (ك) و(ص): هو.

(٧) قوله: «في مقام أمين» سقط من (ص).

(٨) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٤٨].

السَّادس والخمسون ومائة: لا خوف فيه ولا حزن[١]، ولا فقدان لذة ولا عاهة، وذلك خَيْرٌ ممَّن ﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر:٢٣]، يعني: كمن ليس كذلك، وهو:

[١٢٦/أ] **السَّابع والخمسون ومائة:**/ المؤمن وجهه[٢] مُسْفِرٌ، والكافر وجهه[٣] مُسْوَدٌّ[٤]، يُساق إليه مسحوبًا على وجهه، ويرمى به في النار[٥]، فالمؤمن إنَّما أسفر وجهه وصِينَ وجهه الذي هو[٦] الجارحة؛ لأنه اتقى بوجهه - الذي هو قصده - المعصية.

الثامن والخمسون ومائة: قولُه: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٧]

الطعن فيه، والمخالفة[٨] بفهمهم[٩] له ومعرفتهم به، فجعله الله للذين آمنوا هدى وشفاء، ﴿وَالذِينَ لاَ يُومِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾ [فصلت:٤٣]؛ لأنه يُضِلُّ به من يشاء ويهدي من يشاء.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): آفة، وأشار إليها في (د).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): وجه.

(٣) سقط من (ك)، وفي (ص) و(ب): وجه.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٥٧-٥٨].

(٥) في (ك): يساق على وجهه مسحوبًا، ويرمى به في النار على وجهه، وفي (ص): ويرمى به في النار على وجهه، ويساق على وجهه مسحوبًا، وفي (ب): ويرمى به في النار على وجهه مسحوبًا.

(٦) قوله: «الذي هو» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) [الزمر:٢٧].

(٨) بعدها في (ك) و(ص) و(ب): له، وضرب عليها في (د).

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): لفهمهم.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١] [الزمر:٣٢]، وهو:

التاسع والخمسون ومائة، اتقى المبلِّغ عقوبة الكتمان، واتقى المبلَّغ إليه عقوبة العصيان، فلهم ما يشاؤون، ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣١].

وكان ذلك كله لئلَّا يقول: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وهو:

المُوَفِّي ستين ومائة، وصدَّق من وجه وكذَّب من آخر، وذلك أنَّ الله لو هداه لكان من المتقين، فإن كان قال هذا باعتقاد صحيح فلا يخلو أن يكون يوم القيامة أو في الدنيا، فإن كان في القيامة فهو صِدْقٌ، ولكن في وقت لا ينفع، وإن كان في الدنيا فهي سخرية، كقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٣] [الزخرف:١٩]، والصحيحُ أنه في وقت لا ينفع، لأنها كلمات ثلاث؛ ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]، و﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ [الزمر:٥٤]، و﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ [الزمر:٥٥]، وشَيْءٌ من ذلك لم يكن فيما يصح أن يكون، ولا يكون من جميعها في المستقبل شيءٌ[٤]، وإن جاز أن يكون.

---

(١) في النسخ: فمن جاء بالصدق وصدق به فأولئك هم المتقون.

(٢) [الزمر:٥٤].

(٣) في النسخ: لو شاء الله.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بالخبر، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.

ثـمَّ قـال[١] - **وهـو الموضـع الحـادي والـستون ومائـة** -: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾[٢]

الفَوْزُ في لسان العرب: الخـلاص[٣]، يريـد: ننجـي[٤] الـذين أخلـصوا بتقواهم لما حُرِّمَ عليهم، فكما وقاهم في الـدنيا مـن المخالفـات وقـاهم فـي القيامة من العقوبات، فلهم اليوم عصمة، وغدًا نعمة، واليـوم عنايـة، وغـدًا حماية، واليوم وقاية، وغدًا كفاية.

فـإن قيـل: فقـد قـال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الزمر:٧٠]، والـسَّوْقُ حالـةُ عُنْفٍ.

قلنا: جهلتم السَّوْقَ؛ لَفْـظٌ مُحْتَمِـلٌ للعُنْـفِ والبِـرِّ، يَدُلُّ[٥] عليـه حَالُـه ومُقَدِّمَتُه[٦] ومَآلُه؛ فالحالُ أن يَرِدَ وافدًا راكبًا، والمـآلُ أن يحـصل فـي الجنـة خالدًا راتبًا[٧]، والكافرُ يُساق على وجهه، وقد/ تقـدَّم تحقيـقُ ذلـك كلـه فـي «مقام القيامة»[٨]، **وهو الثاني والستون ومائة**. [١٢٦/ب]

وبالجملة فإن[٩] الآخرة للمتقين، **وهو الثالث والستون ومائة**.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وقال.

(٢) [الزمر:٥٨].

(٣) ينظر: كتاب الغريبين: (١٤٨٠/٥).

(٤) في (ك): ينجي.

(٥) في (ك): تدل.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): معرفته.

(٧) سقط من (ك) و(ب) و(د).

(٨) في السفر الأول، المقام الثالث.

(٩) في (د): إن.

وقَوْلُ عيسى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١] كقول غيره، وكان الله قد ذَكَرَ[٢] الأنبياء من نوح إلى إبراهيم وعيسى، ثم أفرد إبراهيم في موضع متقدم، وذكر عيسى هاهنا، وفي ذلك نكتة، بيانُها في «قِسْمِ النَّظْمِ»[٣]؛ فإنَّ التفريق نظم، والجمع نظم؛ على حُكْمِ الفصاحة.

الرابع[٤] والستون ومائة: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]

وهو يتولى الصالحين، وهو ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهو[٦] وَلِيُّ المؤمنين بالإرادة، ووَلِيُّ المتقين بالمعونة، ووَلِيُّ الصالحين بالمضاء والصرامة[٧].

الخامس[٨] والستون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾[٩]

أخبر الله أن الدنيا لعب ولهو؛ فإن تعلقتم بها ونسيتم وَصْفَ الله لها وتكريهه فيها ذهب ثوابكم وقبح مَآبُكم، وإن آمنتم بخبره واتقيتموها يؤتكم أجوركم.

---

(١) [الزخرف:٦٣].

(٢) في (ص): دخر.

(٣) لعله الكتاب الذي أفرده في نظم القرآن والمناسبة بين الآي، وقد تقدَّم التنبيه عليه.

(٤) في (ك) و(ب): الثالث.

(٥) [الجاثية:١٨].

(٦) في (ك): هو.

(٧) في (ب): العزيمة.

(٨) في (ك) و(ب): الرابع.

(٩) [محمد:٣٧].

وقد كان من دعاء النبي ﷺ في الصحيح: «اللَّهـم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وَلِيُّها ومولاها»[١]، وله معان كثيرة، بيانُها في «شرح الحديث».

السَّادس[٢] والستون ومائة: قَوْلُه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣] الآية؛

نَزَلَتْ في أبي بكر وعمر كما تقدَّم بيانُه[٤]، فإنما أمروا بالتقوى تَحَرُّزًا[٥] عن الشبهات والمشكلات[٦]؛ إذ لم يقع في يد أحد منهم حرام[٧]، وإنَّما تكلموا في مشكل بغفلة، فنبَّههم الله بأحسن تنبيهٍ[٨] وأكرمه، فامتثلوا على ما تقدَّم بيانه.

وأخبر أن ذلك كان[٩] منهم امتحانًا لقلوبهم؛ هل صَفَتْ فأُلْفِيَتْ على نوع من الغفلة فذكَّرت، فكان عُمَرُ بعد ذلك لا يفهمه النبيُّ ﷺ حتَّى يستعيده الحديث[١٠]، وهو:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ﷺ: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، رقم: (٢٧٢٢-عبد الباقي).

(٢) في (ك) و(ب): الخامس.

(٣) [الحجرات:١].

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص): في التحرز.

(٦) في (د): المشاكلات.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): إذا لم يقع أحد منهم في حرام.

(٨) في (د): تنبيهه.

(٩) سقط من (د).

(١٠) تقدَّم تخريجه.

السَّابع والستون ومائة[(١)]: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[(٢)]

قال الله لعباده: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقد بيَّنَّا حقيقة[(٣)] اسم «الأخ»[(٤)]، ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فندب إلى إصلاح ذات البين عند التشاجر الحقيقي أو خوفه قبل أن يقع، وهو سن أوكد أمور الدين، وهو فَرْضٌ على كافَّة المسلمين، ومن حضره أولى ممَّن غاب عنه، ومن قَرُبَ أولى ممَّن بَعُدَ،/ وبعَكْسِه في الإثم النَّمَّامُ والواشي والمُضَرِّبُ، وذلك لا يَتِمُّ للعبد إلَّا مع تسوية القلب مع الله؛ فإن الله إذا عَلِمَ صِدْقَ هَمِّك في إصلاح ذات البَيْنِ رَفَعَ العصبيَّة، وذلك يكون بصحيح الأخوة، وقد قدَّمنا حقيقتها.

٢ [١٢٧/أ]

[حُقُوقُ الأخوة]:

ومن حقوقها: ألَّا تُحْوِجَ أخاك إلى الاستعانة بك والتماس النصرة فيك، ولا تُقَصِّرَ في تَفَقُّدِ أحواله حتى يُشْكِلَ عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مُساءلتك.

ومِن حَقِّه ألَّا تلجئه إلى الاعتذار، بل تبسط عذره، فإن أَشْكَلَ عليك وَجْهُه عُدْتَ باللَّائمة[(٥)] على نفسك في خفاء عذره عليك، وتتوب عنه إذا أذنب، وتعوده إذا مرض، وإذا أشار عليك بشيء فلا تُطالبه بحجة.

---

(١) في (ك) و(ب): السادس والستون ومائة السابع والستون ومائة، وفي (ص): السابع والستون ومائة والثامن والستون ومائة.

(٢) [الحجرات: ١٠].

(٣) سقط من (د).

(٤) في السفر الثالث.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): بالملامة.

إذا استُنْجِدوا لم يسألوا من دعاهم لأيــة حــرب أو لأي مكــانِ[١]

آخَر[٢]:

لا يـسألون أخـاهم حـين ينـدبهم في النائبات على ما قال برهانَـا[٣]

هذا في أهل الباطل، فكيف في أهل الحق؟

ويحفظ عهده القديم، ويراعي حقَّه في أهله والمتصلين به؛ في المشهد والمَغِيب، وفي حالة الحياة والوفاة، كما قال بعض الظرفاء:

وخليـــل إن لـــم يكـــن منـــصفًا كنـــت مُنْـــصِفَا

أتحـــسَّى لـــه الأَمَـــرَّ وأســـقيه مـــا صـــفَا

إن يَقُـــلْ لـــي: اشْـــتَوِ احترقـتُ رِضًـا لا تَكَلُّفَـا[٤]

وقد تقدَّم بيانُ الأُخُوَّةِ مُسْتَوْفًى، وهذه نبذة منه، والله يـرحم مـن هـذه صِفَتُه، وهـو أعلـم بـه، كمـا قـال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣١]، وهـو **الثامن[٥] والستون ومائة.**

---

(١) البيت من الطويل، وهو لودَّاك بن ثمل المازني، من أبيات حماسية له في ديوان الحماسة: (٥٩/١).

(٢) سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٣) البيت من البسيط، وهو لقريط بن أنيف العنبري، من جملة أبيات استفتح بها أبو تمام حماسته: (١٩/١).

(٤) الأبيات من مجزوء الخفيف، أنشدها أبو القاسم القشيري في لطائف الإشارات: (٣٤٤/١).

(٥) في (ك) و(ب): السَّابع.

التاسع[١] **والستون ومائة:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾[٢]

قال المفسرون: «نزلت في أهل الكتابَين»[٣].

قال الإمام الحافظ[٤]: الذي أوقعهم في تخصيص أهل الكتاب بها قَوْلُه صلى الله عليه[٥]: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرَّتين؛ رَجُلٌ آمَنَ بنَبِيِّه وآمَنَ بي»[٦]، والذي عندي أن الآية محتملة لثلاثة[٧] أقوال:

الأَوَّل: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واستديموا ما بدأتم به.

الثاني: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم اتقوا الله وآمنوا بقلوبكم.

الثالث: يا أيها الذين آمنوا بأقوالهم وقلوبهم اتقوا الله وآمنوا بأفعالكم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٥] /.

٢ [١٢٧/ب]

---

(١) في (ك) و(ب): الثامن.

(٢) [الحديد:٢٧].

(٣) تفسير الطبري: (٢٢/٤٣٤-التركي)، ولطائف الإشارات: (٣/٥٤٦).

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﵁، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﵁، وفي (ب): قال الإمام ﵁.

(٥) في (د) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، رقم: (٣٠١١-طوق).

(٧) في (ص): بثلاثة.

فهذه الآيةُ تحتمل الثلاثة الأقوال المتقدمة، والآية المتقدمة تحتمل الثلاثة الأقوال، ويحتمل[1] أن يدخل فيها أهل الكتاب.

وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٧]؛ هذه الأمة تؤتى أجرها مرَّتين، ومن سبق من الأمم يؤتى أجره مرة واحدة، والأصل في ذلك قوله ﷺ؛ رواه جماعة، منها طريق[2] ابن عمر، قال النبي: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، أو قال[3]: إنما أَجَلُكم في أجل ما خَلَا من الأمم قبلكم كما بَيْنَ صلاة العصر إلى غروب الشمس»[4].

وقال: «مَثَلُكم ومَثَلُ اليهود والنصارى كرجل استعمل عُمَّالًا، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، وقال: أُوتِيَ أهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار فعجزوا، فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى إلى العصر ثم عجزوا، فأُوتوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتِينا القرآن، وقال: من يعمل لي من العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين[5]؟ فعملتم حتى غربت[6] الشمس، فأُعطيتم قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا، ونحن كنَّا أكثر عَمَلًا وأقلَّ

(١) في (ك) و(ب): تحتمل.

(٢) في (د): طرق.

(٣) في (ك) و(ب): وقال.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قوله: «قيراطين قيراطين» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): إلى غروب.

عطاءً؟ قال الله: هل ظلمتكم من أجركم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: هو فَضْلِي أُوتِيه من أشاء»[١].

فالآية عامَّة والحمد لله، وتفسيرُ التقوى فيها على الأقوال الأربعة بَيِّنٌ.

فمعناها على القول **الأوَّل**: يا أيها الذين آمنوا اتقوا تَرْكَ ما بدأتم به من الإيمان.

وعلى القول **الثاني**: اتقوا الله واعتقدوا بقلوبكم ما أقررتم به بألسنتكم.

وعلى القول **الثالث**: اتقوا الله وافعلوا ما تقتضيه أقوالكم.

قال النبيُّ ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر ولا يسرق ولا ينتهب»[٢]، كما تقدَّم، الحديث.

ومعناها على القول **الرابع**: يا من آمَنَ بمن سَبَقَ من الأنبياء آمِنُوا بمُحَمَّدٍ؛ فإن الأمر مُتَّحِد.

المُوَفِّي سبعين[٣]: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[٤] [المجادلة: ٩]، وهو **الحادي والسبعون ومائة**[٥]؛ أُمِروا أن يتناجوا بمثل ما أُمِروا أن يتعاونوا به، حتى يستوي السِّرُّ والعلن، وحُذِّرُوا أن يخالفوا ذلك، وقد تقدَّم بيانُه، فإن شئت فأَعِدْهُ وزِدْهُ[٦] بَسْطًا.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) و(ب): التاسع والستون ومائة.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): واتقوا الله الذي إليه تحشرون.

(٥) في (ك) و(ب): الموفي سبعين.

(٦) في (د): ردَّه.

الثاني[١] **والسَّبعون ومائة: قوله:** ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾[٢]

٢ [١٢٨/أ]

قد تقدَّم/ بيانُها[٣] في «الأحكام»[٤].

الثالث[٥] **والسَّبعون: قوله:** ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٦]

في الحديث الصحيح -كما تقدَّم-: «احرُث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»[٧].

ثم أعادها[٨]، وهو: **الرابع والسَّبعون**[٩].

فقيل: هي تأكيد.

---

(١) في (ك) و(ب): الحادي.

(٢) [الحشر:٧].

(٣) في (ص): بيانه.

(٤) أحكام القرآن: (١٧٧١/٤-١٧٧٢).

(٥) في (ك) و(ب): الثاني والسبعون ومائة.

(٦) [الحشر:١٨].

(٧) سلف تخريجه.

(٨) هو قَوْلُه بعدُ: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ [الحشر:١٨].

(٩) في (ك) و(ب): وهي الثالثة والسبعون.

وقيل: الأُولى: تقوى المرء[١] ما ينزل به من عقوبة، والثانية: تقوى المراقبة[٢]، وينفصل[٣] على اسم «الرَّاعي[٤]»[٥]، وقد تقدَّم.

الخامس[٦] والسبعون: قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِۦ مُومِنُونَ﴾[٧]

معناه: اتقوا الله في محافظة العهد والعمل الذي يعود بتغيير شيء منه.

السَّادس والسبعون[٨]: قوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٩]

ظَنَّ بعضُ الناس أن في هذه الآية نَسْخًا لشيء[١٠]، وقد بيَّنَّا في «الناسخ والمنسوخ»[١١] أنَّ هذا الباب وهذه الآية لم ينسخ منها شيء، وأن

---

(١) ضبب عليها في (د)، وفي الطرة ما لم أتبيَّنه.

(٢) في طرة بـ (د): في خـ: الأولى: تقوى المراعي، والثانية: تقوى المراقب.

(٣) في (ك): تنفصل.

(٤) في (ك) و(ص): المراعي.

(٥) في السفر الثالث.

(٦) في (ك) و(ب): الرابع والسبعون ومائة.

(٧) [المائدة: ٩٠].

(٨) في (ك) و(ب): الخامس والسبعون ومائة.

(٩) [التغابن: ١٦].

(١٠) مرَّضها في (د).

(١١) الناسخ والمنسوخ: (٢/١٢٥-١٢٧).

قولـه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[١] و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ معنـى واحـد، فلْيُنْظَرْ هنالك، وحق تُقَاتِهِ هي التي يستطيع الخلق.

السَّابع والسبعون[٢] والثامن والسبعون[٣]: قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٤]

إذا صَدَقَ العبدُ في تقواه سَلَّهُ كالشعرة من العجين؛ تَقِيًّا نَقِيًّا[٥]، وكفاه المُهِمَّ، ولم يبتله بالشغل، ولا كلَّفه طلب الرزق، ولا مكَّن منه الخلق، وجَلَّى عنه الظلم، ويسَّر له العَسِرَ[٦]، كما قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤].

وإن سبق منه تفريط وعاد إلى التقوى كَفَّرَ عنه ما مضى، وذلك قوله: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الطلاق:٥].

ومن تقواه توكُّله عليه، ولذلك أدخله في أثناء فصول التقوى، والتوكل: إخراجُ نفسك عن القدرة ودعوى المُنَّة، مُقِرًّا بجريان أحكام التدبير عليك، معترفًا بنفوذ المقادير فيك، وسبيلُك الجمود والرضى بما

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) في (ك): السَّادس والسبعون والثامن والسبعون، وفي (ب): السَّادس والسبعون والسَّابع والسبعون والثامن والسبعون، وفي (ص): الثامن والسبعون ومائة والتاسع والسبعون ومائة والمُوَفِّي ثمانين ومائة.

(٣) قوله: «الثامن والسبعون ومائة» سقط من (د).

(٤) [الطلاق:٢].

(٥) في (ك): نقيًّا تقيًّا.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): العسير.

قضى، دون استعلام الأمر فيه؛ فإنه من العِلْمِ الذي لا ينفع، كما ورد في صحيح الخبر الاستعاذة منه.

فإذا وقع لك شُغْلٌ أو استقبلك مُهِمٌّ فرأيُ الزهَّاد أنك مُطَالَبٌ بالسُّكون والتسليم، ولا تَسَلْ متى يصلح هذا الأمر، ولا تبحث عن سبب، ولا من أي وجه كان، ولا على يَدَيْ من كان؛ فإنه تخليط، وكُن مُسَلِّمًا لأمره إن كنت من الأكابر، فإذا جاء وقتُ الكشف فترى صورة الحال، وربَّما ينتظر العبدُ في هذه الحالة تعريفًا في المنام، أو ينظر في فَأْلٍ، ويُروى[(١)]: «أنه من الكبائر[(٢)] تَرْكُ أدب»، وليس إلَّا السكون، فأمَّا الضعفاء فيضطربون مع المولى في كل حال[(٣)]، وهو السميع العليم، وإذا اضطربوا فلا يخرجوا عمَّا رسمنا لهم في «الأسماء»؛ إمَّا/ في ابتداآتها أو في نهاياتها. [١٢٨/ب]

التاسع والسبعون ومائة: قولُه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[(٤)]

وهو المقام الكريم الأمين على الوجه الذي تقدَّم وصفُه، ووصفُ التقوى المُبَلِّغَةِ إليه.

---

(١) في (ص): يرون.

(٢) في (ك) و(د) و(ب): الأكابر.

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) [القلم:٣٤].

المُوَفِّي ثمانين ومائة: قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]

كما أنه هُدًى لهم[(٢)] في الابتداء يكون تَذْكِرَةً لهم في الأثناء[(٣)] والانتهاء، وقد يتصوَّر أن يكون تذكرة في الابتداء لما[(٤)] تقدَّم من التزام العهد الأوَّل.

الحادي والثمانون ومائة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾[(٥)]

المعنى: لا عِطْرَ بعد عَرُوس، لا تقوى مع الكفر، وهو سؤالُ تقرير على فَوْتِ المراد.

الثاني والثمانون ومائة: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[(٦)]

قال الله: «أنا أَهْلٌ أن أُتَّقَى، فمن اتَّقاني فأنا أَهْلٌ أن أغفر له»[(٧)]، وقد تقدَّم بيانُه.

---

(١) [الحاقة:٤٨].

(٢) بعده في (ب): هدى.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الابتداء.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): بما.

(٥) [المزمل:١٦].

(٦) [المدثر:٥٥].

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن أنس بن مالك ﷺ: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة المدثر، رقم: (٣٣٢٨-بشار)، وضعَّفه.

الثالث والثمانون ومائة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾[(١)]

وقد تقدَّم، وزاد قوله: ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:٤٢]، يعني: أنه جمع لهم فيها لَذَّةَ الأكل والشرب، وكل أمر يُحَبُّ[(٢)].

أخبرني الحضرمي[(٣)] وغيرُه عن الأَذَرِي[(٤)]: أنه كان يقول: «لا أُحِبُّ الجنة لحُورِها ولا لنعيمها، ولا أُحِبُّها إلَّا لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾ [الرعد:٣٦]».

---

(١) [المرسلات:٤١].

(٢) في (د): يجب، وفي (ص): تحب.

(٣) الإمام العلَّامة المُتَفَنِّنُ، شيخ السُّنَّةِ، الحسن بن علي بن الحسن القيرواني، أبو علي الحضرمي، أخذ عن الأَذَرِي، وابن مُنير، وحضر عنده ابنُ سابق الصقلي، ونزل الإسكندرية، وبها توفي، وبلغت عدة كتبه ثلاثة آلاف مجلد، لقيه ابنُ العربي بالإسكندرية، وكتب له بخطه ما سأله عنه، ونثر فوائده في كتبه؛ فأسند عنه في الأحكام: (٤٣٧/١)، وروى عنه في القبس: (٥٩٣/٢)، وأفاد منه في العواصم: (ص١٢)، ينظر في ترجمته وأخباره: مشيخة أبي عبد الله الرازي: (ص٢٨٨)، ومعجم السَّفر: (ص١٨٦، ٣٠١)، وأحكام القرآن: (٦٧٠/٢).

(٤) الإمام المتكلم النظَّار، الحُسَين بن حاتم، أبو عبد الله الأَذَرِي، من أصفياء الإمام أبي بكر الباقلاني، نزل القيروان أوائل الأربعمائة، وأخذ عنه جلة علمائها وفقهائها، منهم: أبو القاسم الوَّبَعِي، وابن أبي كُدَيَّة، والحضرمي، وابن القديم، وغيرهم، ومن طريقه اتَّصل الناس بكُتب الإمام الباقلَّاني في المغرب والأندلس، وبرع في الأصلين، له كتاب «اللَّامع» في أصول الفقه، وكان حيًّا عام ٤٤٣هـ (الوافي بالوفيات: ٥٩/٤)، وذكره ابن الذهبي في طبقة من توفي عشر الأربعين وأربعمائة، ونُقِلَ عن الرُّشَاطِي أنه توفي عام ٤٢٣هـ، ولا أراه صحيحًا، ينظر في أخباره وترجمته: فهرس ابن عطية: (ص٧٦)، وتاريخ دمشق: (٤٧١/٤١)، وتاريخ الإسلام: (٦٠٠/٩)، وتراجم المؤلفين التونسيين: (٤٢/١-٤٦).

وهنالك من يُحِبُّها لبطنه، وهنالك من يُحِبُّها لفرجه، وهنالك من يُحِبُّها لربه، والكلُّ مأذون فيه، والثالث هو المقصود الأعظم، ولا يُمنع ما[1] قَبْله في الآخرة كما مُنع منه في الدنيا.

الرابع والثمانون ومائة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾[2]

المعنى: مَوْضِعًا يفوزون فيه من المكاره، ويفوزون فيه بنيل الأمل.

والمَفَازُ: مَكَانُ الفوز.

ثم وصفه فقال: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ [النبأ:٣٢-٣٤]؛ منزهة عن اللغو والكذب.

الخامس والثمانون ومائة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3]

يعني: منفعتها ومَضَرَّتها، فهي فيمن أُمِر ونُهِي ووُظِّفَ عليه التقوى اسمٌ ومعنى، وهي في سائر الأنفس التي لم تتعبد[4] اسمٌ بمعنى المنفعة، والفجور اسمٌ بمعنى المضرَّة.

السَّادس والثمانون ومائة: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾[5]

لفظًا[6]، وهو:

---

(١) في (ك) و(ص): مما.

(٢) [النبأ:٣١].

(٣) [الشمس:٨].

(٤) في (ص): تتغير.

(٥) في النسخ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾، وفي طرة بـ (ص): قال الأشيري -رحمه الله-: «كذا جاء هذا، وأظنه غلط -كذا- من الناسخ، وصوابه: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾، فهذا موضعه، والله أعلم».

(٦) مرَّضها في (د)، وكتب بطرته: أعطى، ولم يظهر لي وجه في إثباتها.

السَّابع والثمانون ومائة: قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾[١]

يعني: فإنَّ ما جُنِّبَ الأتقى أدركه الأشقى، وما جُنِّبَ الأشقى أدركه الأتقى.

المعنى: وسيُجَنَّبُها من اتَّقاها بالصدقة، كما تقدَّم بيانه في «المقامات»[٢] واسم «المُصَّدِّقِ»[٣]، وفي هذا الاسم آنِفًا[٤].

٢
[١٢٩/أ]

الثامن والثمانون ومائة:/ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ﴾[٥]

قسَّم الله فيه الأحوال على معنى الاستدلال، فقال: أرأيت[٦] هذا الذي ينهى عبدًا إذا صلى؟ أرأيت إن كان على الهدى ويأمرهم[٧] بالتقوى؟ أليس نهيُه ضلالًا؟ أرأيت هذا الذي ينهاه أن كذَّب به وتوَّلى عنه؟ ألم يعلم أن الله يطَّلع[٨] عليه؟ فأيُّ منفعة له في أن يقتحم هذا الغرر[٩]؟

---

(١) في (ك) و(ب): ﴿وسيجنبها الأشقى﴾.

(٢) في السفر الأوَّل.

(٣) في السفر الثاني.

(٤) في (ص): اتقى، وهو تصحيف.

(٥) [العلق:١٢].

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) في (ص): أو أمرهم، وفي (ب): يأمركم.

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): مطلع.

(٩) في (ك) و(ص) و(ب): الغرز.

وهذا تقريب في الترتيب[١]، وتفصيل في بعض الدليل، وقد استوفاه سبحانه في إحدى عشرة[٢] آية، على ما بيَّنَّاه في كتاب «المشكلين» خصوصًا، وفي كتاب «الأنوار» عمومًا.

قال الإمام الحافظ[٣]: ولكثرة ذِكْرِ الله لها لم تَجْرِ في لسان النبي إلَّا قليلًا، كقوله: «اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عَوان عندكم»[٤]، وكقوله: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»[٥]، وقوله: «اتقوا الملاعن الثلاث؛ البَراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل[٦]»[٧].

ومن أعظم ما فيها[٨] وأكثر فوائدها وأَجَلِّ ثمراتها قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فأَكْرَمُ الخلق على الله أكثرهم وقاية، وقد بيَّنَّا وجوهها، فمن استوفاها فهو أقربكم إلى الله وأرفعكم مرتبةً لديه.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): التثريب.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ألف، وضرب عليها في(د).

(٣) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) قوله: «الثلاث؛ البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب)، وفي موضعه من (ك) و(ص) و(ب): «وهو الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم»، وضرب عليه في (د).

(٧) أخرجه أبو داود في السنن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: كتاب الطهارة، باب المواضع التي نُهي عن البول فيها، رقم: (٢٥-شعيب).

(٨) في (ك) و(ص) و(ب): مراتبها.

وهي[١] من أعظم ما علَّق عليها القبول بقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٩]، فعَمَلُك الصالح من وَجْهٍ إن لم يصحبه تقوى من وجه آخر وإلَّا بقي موقوفًا، حتى يخلص عملك إلى ميزانك؛ فيظهر فيه رجحانك بكثرة تقواك، أو تقصيرك بقلة تُقاك[٢]، فيتقبَّل كل العمل، أو يتقبَّل بعضه ويَرُدُّ البعض، وفي الحديث: «أوَّلُ ما يُنظر فيه من عمل العبد الصلاة، فإن لم يأت بها لم ينظر له في شيء من عمله[٣]»[٤]، فيتقبَّل[٥] العمل إذا اتَّقيت الإخلال بشروطه، ونَفَيْتَ الآفات عنه، فيبقى[٦] قَبُولُه في خلاصك من العذاب على فِعْلِ غيره، حتى إذا كانت التقوى على العموم كان القبول على الكمال.

وما يرويه الزهاد من قوله: «إنه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حَذَرًا ممَّا به البأس[٧]»[٨]، أو قوله: «إنما سُمِّي المُتَّقُونَ مُتَّقِينَ

---

(١) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (د): تقواك.

(٣) قوله: «من عمله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): فنفس.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): يبقى.

(٧) في (ص): بأس.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه عن عطية السعدي ﷺ: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥١-بشار)، وفيه عبد الله بن يزيد الدمشقي، قال فيه الجُوزَجاني: «أحاديثه منكرة»، وقال فيه الإمام أحمد: «أحاديثه موضوعة»، فلَعَلَّ لهذا حَكَمَ ابنُ العربي على حديثه بالبطلان، ينظر: أحوال الرجال: (ص٢٨١)، والكامل: (٤/٢٣٧)، وميزان الاعتدال: (٢/٥٢٦).

لتركهم ما لا بأس به حَذَرًا ممَّا فيه بأس»[١]؛ حديثان باطلان موضوعان، لا أصل لهما.

أمَا إنَّ تُقاة الشبهات من أنواع التقوى، كما بيَّنَّاه في تفسير الآيات، ويجمعها سَدُّ مداخل الشيطان إلى العبد؛ بصرامة وعزيمة تكون في القلب، على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وصيانةٍ/ للجوارح[٢] عن ارتكاب الذنوب، وذلك لا يقدر عليه المرءُ إلَّا بمواظبة النوافل. ٢ [١٢٩/ب]

قال النبي صلى الله عليه[٣]: «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها»[٤].

المعنى: صُنْتُ جوارحه عن المخالفات، فانقطعت عن قلبه الشهوات وأسباب[٥] العلاقات، فإن وَاقَعَ ذنبًا أو اقترف خطيئةً أو ارتكب معصيةً[٦] توجَّه عليه فَرْضُ العودة إلى ما ينبغي، وهو «التوبة».

* * * * *

(١) ينظر: قوت القلوب: (١٦٨٦/٣).
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الجوارح.
(٣) في (ك) و(ص) و(ب): صى الله عليه وسلم.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): والشهوات أسباب.
(٦) في (ك) و(ب): ذنبًا.

التائب[1]: وهو الاسم الخامس ومائة[2]

وهُوَ اسمٌ عظيم، له مقامٌ كريم، مُتَّصِلٌ بالآدَمِيِّ لَزِيم، فإن الله سبحانه وإن كان أَمَرَ العبدَ بالعبادة؛ فإنه جَبَلَه على الراحة، وإن كان خَلَقَ له العقل؛ فإنه أَمَالَهُ بالطبع إلى الشهوة، وإن كان له مَلَكٌ يُرْشِدُه؛ فإنَّ[3] له شيطانًا يُضِلُّه ويُلْحِدُه، ولا يزال بينهما مُرَدَّدًا حتى يصير إلى ما كَتَبَ الله عليه، وينتهي إلى ما سبق[4] من عِلْمِ الله إليه، فإذا أطاع يعصي[5]، وإذا عبد ترك، وإذا امتثل خالف، والتنازعُ - أبدًا - بين الحالين يُرْهِقُه، والحالةُ المقدَّرة تَلْحَقُه.

ولملازمة المخالفة له تَلْزَمُهُ التوبة؛ فهي فَرْضٌ عليه بإجماع الأمة في كل وقت، وعلى كل حال، ومن كل ذنب أو تقصير في كمال أو غفلة، وما رُئِيَ[6] أَحَدٌ من الخلق خَلَا عن ذنب، حتى إنَّ جماعة من العلماء قالوا:

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثالث والمائة، وفي (ص): الخامس والتسعون، وفي (ب): الرابع والتسعون.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): إن.

(٤) في (د): يساق.

(٥) في (د) - أيضًا -: عصى.

(٦) في (ك) و(د): رِيئ.

«إن الأنبياء أذنبت - وصدقوا -، وسَرَدُوا[١] ذنوبهم - وكذبوا-»[٢]، إنما كانت ذنوبهم ما لو أدركناها حسنات لسبقنا إلى الجنة بها، وقد بيَّنَّا ذلك في كل ما أمليناه من كتاب.

ولا بد للقلب من ذنب، ولا بد للجوارح من ذنب.

والتوبة: هي الرجوع في العربية.

وهي في الشريعة: «عبارة عن رُجُوعٍ عن حال مذمومة إلى حال محمودة»[٣]، على سيرتها في تخصيص بعض المسمَّيات[٤] ببعض[٥] مدلولاتها.

وتكون حال التوبة حال الذنب؛

فإن كان المُوَاقَعُ حرامًا كانت التوبة واجبة.

وإن كان مكروهًا كانت التوبة مستحبة.

وإن كانت عن شهوة كانت توبة الزهاد.

وإن كانت عن غفلة كانت توبة المؤمنين[٦] المقرَّبين المحبين.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فسَّروا، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٧٠-٣٧١)، وأحكام القرآن: (٤/١٦٣٤-١٦٣٥).

(٣) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٦٤)، والأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (٢/٢٣٨)، والأحكام: (١/١٧٣).

(٤) في (د): الشبهات، وما أثبتناه أشار إليه.

(٥) في (د): لبعض.

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

ذِكْرُ ابتداء التوبة:

ولا تحصل للعبد التوبة إلَّا بخلق الله لها في العبد، فهو التوَّاب، أي: قابلها وخالقها، ومُيَسِّرها ومُهَيِّء أسبابها، ومُدِيمها إلى الخاتمة،/ قال الله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]. ٢ [١٣٠/أ]

قال الناس: «عَسَى من الله واجبة»[١].

قال الإمام الحافظ[٢]: الذي يتحقَّق أن وعد الله واجب، فما أخبر به من وَعْدٍ[٣] فلا بدَّ من حصوله على كل حال، كما بيَّنَّاه في «كتب الأصول»[٤]، وما رَجَّى به عبده فقد يُمْكِنُ أن يكون، وحروف الترجي لعلَّ وعسى، وليست بحروف قَطْعٍ على ما عُلِّقَ عليها ليُوجَد، وإنَّما يكون القَطْعُ من أدلَّة أُخَر تقترن بها، فحَصِّلُوا هذا فإنه عِلْمٌ[٥] بالغ.

ومن أرجى ما قال العلماء في هذه الآية أنَّ قوله: «﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، يعني: التوبة، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾، قال: نقضوا التوبة، وعادوا إلى ما كانوا عليه من الزلَّة»[٦].

---

(١) تفسير الطبري: (١٤/٤٤٧-شاكر).

(٢) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر رحمه الله.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): وعده.

(٤) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤١٤).

(٥) في (ص): من علم.

(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٩).

فربَّما عُذْنا عليهم بإعادة الرجوع إلى التوبة لهم، وفي هذا دليل على أن الزلة لا تُحْبِطُ ثواب الطاعة[١]، وأن الباري يُظْهِرُ الطاعة بفضيلة النمو والزيادة، ويختم الأمر فيها بتيسير التوبة، فهذا رجاء أو وجوب.

ثم حقَّق ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧]، وفيه ثلاثة أقوال:

الأوَّل: يريد أن يقبل توبتكم[٢]، فقبول التوبة واجب بإجماع من الأمة، فلا تلتفتوا إلى من يقول لكم: «إن صاحب التوبة في المشيئة»، فهو كاذب على الله.

الثاني: يريد به خطاب من تاب، دون من لم يَتُبْ.

الثالث: يريد به أن يتوب عليكم في الجملة، أي: يخلق فيكم التوبة ثم يخص بها من شاء، كما قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٤]، وقد بيَّنَّاها في «كتب الأصول»، إذ لو أراد التوبة على العموم لكانت قطعًا؛ فإنه يستحيل ألَّا يكون ما يريد أن يكون.

يُحَقِّقُ ذلك قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة:١٥]، وقد قال سبحانه: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة:١٨٦]، وذلك فيما وقع منهم من المخالفة في وَطْءِ النساء في ليل رمضان بعد النوم، فكانت مخالفة تستوجب العقوبة، فعفا وتاب ورجع بهم إلى الإباحة بعد الحظر، وتلك تَوْبَةُ الله بالفعل، ورجعوا هُمْ إلى التزام الأمر، وعفا عمَّا دار بين الحالين،

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٩).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٣٢٦).

وشتَّان بين هذا القول في حُرْمَة عمر بن الخطَّاب حسب ما بيَّنَّاه في «الأحكام»[1]، وبين قوله لبني إسرائيل: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٣]، عَظُمت ذنوبهم وفَحُشت، فغُلِّظَت عقوباتهم وضُوعِفت، وتوبتُه عليهم بقبولهم لما ألزمهم من/ ذلك، إذ خَلَقَ فيهم الرضى به والامتثال له، فقَتَلَ بعضُهم بعضًا، حتَّى نَزَلَ العَفْوُ. [١٣٠/ب]

قال علماء الزُّهْدِ: «فالتوبةُ قَتْلُ النفس كانت لبني[2] إسرائيل بالمُحَدَّدِ، وهي لهذه الأمة بالتَّجَلُّدِ، فالمفروضُ على العباد أن تكون نفوسهم مقتولة؛ حتى لا تكون لها حياة في شهوة ولا راحة في لذة إلَّا بامتثال أمر الله، والتجرد لخدمته، والمحافظة لحدوده، والقيام بحقوقه، فكانت توبة بني إسرائيل قَتْلَةً[3] في لحظة، وتوبةُ هذه الأمة في كل لحظة قَتْلَةٌ»[4].

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ ... إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ[5]

ووَجْهُ رحمته لنا قَبُولُه لتوبة الكل بعد اقتحام المخالفة وارتكاب الجُرْمِ.

---

(١) أحكام القرآن: (١/٨٩).

(٢) في (د): ببني.

(٣) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (١/٩٢).

(٥) البيت من الخفيف، وهو لعدي بن رعَّلاء الغساني، في الأصمعيات: (ص١٥٢)، ونسبه ياقوت في معجم الأدباء: (٤/١٤٤٦) إلى صالح بن عبد القدوس، وهو في لطائف الإشارات: (١/٩٢).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة:٢٧]، أخبر أنهم وقعوا في بَحْرِ الإعجاب، وتدنَّسوا برُخَصِ الافتخار، فخَلَقَ الله الاضطرابَ في القلوب، وخارت القُوى، وولوا مدبرين، ولم يبق[1] معه ﷺ[2] إلا قليل من الأصحاب، فاستخلص الله أسرارهم بصِدْقِ الرجوع، وخلق لهم قبول إجابة الدعاء بهم، فرجعوا رُجُوعَ الجياد إلى أذوادها، والعِشَارِ إلى أولادها، وأنزل سكينته وجنوده، وقَلَبَ الحال على الأعداء، وحلَّت بهم الفاقرة، ووقعت بهم الدائرة، وارتدت عليهم الهزيمة.

والسكينة: «ثَلَجُ القلب عند جريان حُكْمِ الرب بالثبات والاطمئنان»[3].

وقيل: «السكينة هي الملائكة»[4].

وقيل: «السكينة عدم الحركة في جهة الفرار».

وقيل: «السكينة ذكرى وعد الله بالنصر»[5].

وقيل: «السكينة ذكرى ما التزموا للنبي من نُصْرَتِهِ وحمايته؛ ممَّا يحمون منه أنفسهم».

وقيل: «السكينة ذكرى ما أُلْزِمُوا[6] من فَرْضِ القتال عن المِلَّةِ».

---

(١) في (د) -أيضًا-: يقف.

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/١٩).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (٦/١٧٧٤).

(٥) الهداية: (٤/٢٩٦١).

(٦) في (ك) و(ص): التزموا، وفي (ب): التزموه.

قال **الإمام الحافظ** ﷺ[١]: لم يَبْقَ في ذلك المشهد أَحَدٌ ممَّن فَرَّ إلَّا تاب الله[٢] عليه، فقوله: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، يعني: هؤلاء الذين قد شاء أن يتوب عليهم، ولم يضمن ذلك لغيرهم من الذين يفعلون مثل فعلهم بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، أي: بعد الفرار من الكفَّار مطلقًا، إلَّا[٣] من هؤلاء المعيَّنين، وقد قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:١٧]، يعني: كل من رجع إلى ربه ولام نفسه واعترف بذنبه/ قبل معاينة الآخرة وأشراطها الأربعة المعيَّنة؛ التي بيَّنَّاها في كتاب «الأحكام» و«الأصول[٤]»[٥]. ٢ [١٣١/أ]

وقال: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٧٣].

أخبر سبحانه أن عَرْضَ الأمانة كان لِيُعَذِّبَ الله المنافقين والمنافقات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات[٦]، فأفاد ذلك أنه لا بد من الذنب، ويتوب الله بعد ذلك على من يشاء من العاصين، ولم يذكر العابدين ولا الصالحين.

فيا أيُّها العاصي لعلك أن تكون في جملتهم فيُتاب عليك فتلحق بدرجتهم، أو تترك كما أنت فتزهق عن مرتبتهم.

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي ﷺ.

(٢) لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): لا.

(٤) بعده في (ك) و(ص) و(د): وهي، وبعدها بياض.

(٥) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٦٦-٤٦٨)، وينظر: الناسخ والمنسوخ: (١٥٤/٢-١٥٧).

(٦) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

وقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٨].

والمراد هاهنا: قَبِلَ توبتهم، وكذلك في أوَّل الآية في قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

فأمَّا توبته على النبي فقد بيَّنَّاها في تأويل قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، وكان النبيُّ أَخَذَ بظاهر الحال على تفصيلٍ تقدَّم، فعفا عنه ربُّه وعاتبه.

وأمَّا توبته على الذين كانوا معه فلِمَا أصابهم من الجوع والعطش، هَمُّوا بالانصراف ثم ثبتوا، كما قال الله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة:١١٨]، فتدارك قلوبهم بالثبات، فكانت تلك توبته عليهم، وهكذا[١] سُنَّةُ الله مع أوليائه؛ إذا[٢] قاربوا التَّلَفَ تداركهم[٣].

وأمَّا توبته على الثلاثة فبِصِدْقِهِمْ واعترافهم؛ فإن الإقرار والاعتذار يُذْهِبُ الإصرار، ويُخَلِّصُ من النار، كما قال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣]، وقد تقدَّم.

وفي[٤] الحديث الصحيح: «إذا قال العبدُ رب اغفر لي قال الله: عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، قد غفرت له»[٥].

---

(١) في (ك) و(ص): هذه.

(٢) في (د) و(ص): إذ.

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٧٠).

(٤) في (د): في.

(٥) سبق تخريجه.

والدليلُ على صحة نقض التوبة قوله سبحانه: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ [المائدة:٧١]، ولم يكن العَوْدُ[١] بعد التوبة لجميعهم، إنَّما كان[٢] لبعضهم، ومنهم من عاد إلى الكفر، ومنهم من عاد إلى التعسُّف.

وأَوَّلُ الخلق تاب آدَمُ، وأوَّل الخلق أَصَرَّ إبليس، وقد/ أخبر الله بقصة آدم؛ وأنه لمَّا وَاقَعَ الذنب ألقى إليه تعالى الكلمات فقالها فتاب عليه[٣]. [١٣١/ب]

قال بعضهم: «ألقى الله إليهما الكلمات ولم يُسَمِّها، وأجمل القول في الحال ليبقى الأمر مستورًا؛ فهو أكرم لآدَمَ، وهو من عظيم كَرَمِ الله على العبد»[٤].

وقال آخرون: «بل هي مفسَّرة في موضع آخر؛ وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]»[٥].

وقيل: «كلمات آدم تنصُّل، وكلمات الله ابتداء[٦] وتفضُّل»[٧].

---

(١) في (د): في خـ: الفتنة.
(٢) في (د) -أيضًا-: كانت.
(٣) قوله: «ألقى إليه تعالى الكلمات فقالها فتاب عليه» سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٤) لطائف الإشارات: (٨٢/١).
(٥) لطائف الإشارات: (٨٢/١).
(٦) في (ك) و(ص) و(ب): قبول، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٧) لطائف الإشارات: (٨٢/١).

وقال أهل الزهد: «لمَّا قال له: «اهبط»؛ زوَّده بكلمات كريمة؛ لأنه[١] كان على بِسَاطِ الكرامة، فلمَّا خالف أُخرج من الدار[٢]، ولكنه بشَّره بأن رجوعه إليها يكون قريبًا بقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة:٣٧]»[٣]، وقد بيَّنَّاه في «التفسير».

وقد سألها إبراهيمُ في حال الوصال وكمال الخُلَّةِ، فقال: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، يريد: بعد قيامنا بجميع ما أمرتنا به، فإنه خشي التقصير فسأل التوبة منه؛ إذ عِظَمُ المنزلة تُوجِبُ كثرة الخدمة، ومراعاة الحُرمة، وملازمة الصلاح والإِصْلَاح، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٥٩]، وقد تقدَّم؛ فإنَّ مواقعة المعاصي تُوجِبُ ضَرَاوَةً بها وأُنْسًا معها؛ حتى ربَّما لم تُمْكِنْ مفارقتُها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران:٨٩].

ومعناه: لن[٤] تُوجَد؛ لأن المعدوم لا يقبل، وإنَّما يقبل الموجود من فعل أو ترك، والتَّرْكُ فِعْلٌ من الأفعال، خلافًا للقدرية، وقد مهَّدناه في «كُتُبِ الأصول».

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): الباب، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) لطائف الإشارات: (٨٣/١).

(٤) في (د): لم.

فإن أذنب وتاب فتلك سَلِيقَةُ[١] الآدَمِيِّ وجِبِلَّتُه، وذلك قَوْلُه: ﴿إِلاَّ ٱلذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ﴾[٢]، كما تقدَّم بيانُه، ﴿وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ﴾ [النساء:١٤٥]، أي: رَبَطُوا أنفسهم برباط الطاعة فلم ينحلَّ إلى المعصية، وقَتَلُوها بالزُّهْدِ فلم تَحْيَ بالشهوة.

وقوله: ﴿وَالذَّانِ يَاتِيَانِهَا مِنكُمْ فَـَاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[٣] [النساء:١٦].

قال جماعة من العلماء: «إذا تاب/ الزاني أسقطت التوبةُ حَدَّه»[٤]. [١٣٢/أ]

وكما قال الله أيضًا في المُحَارِبة[٥]: ﴿إِلاَّ ٱلذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ﴾ [المائدة:٣٦].

فأمَّا المُحَارِبُ فمُتَّفَقٌ عليه، وأمَّا سقوطُ حَدِّ الزنى بالتوبة فمختلف فيه، وقد بيَّنَّاه في «الأحكام»[٦].

وقد قال جماعة أخرى[٧] من العلماء: «إن الذي يسقط بالتوبة حَقُّ الله؛ من هَجْرِ الزاني، وتَرْكِ قبول شهادته، وعَزْلِه عن إمامته»[٨].

---

(١) في (د): سليفة.
(٢) في (د): وأخلصوا.
(٣) قوله تعالى: ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾ لم يرد في (د).
(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٤٢١).
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): المحارب.
(٦) أحكام القرآن: (٢/٦٠٣-٦٠٤).
(٧) في (د): أخر.
(٨) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٦٠٣).

فأمَّا الحَدُّ فلا يسقط ؛ على ما أوضحناه في «مسائل الخلاف»[١].

ثم أخبر تعالى بوقت قبول التوبة كما تقدَّم، وأنها لا تكون عند المعاينة لأمور الآخرة، وإنما تكون على الغيب، كما قال: ﴿يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢]، فما أعطى الله جَزَاءً إلا لمن آمَنَ بالغيب ؛ على الرجاء والخوف، فذلك هو طريقُ التوبة، وبظهور الغيب يُسَدُّ طريقُها[٢]، وفي مثلها قال الحَكِيمُ:

قلتُ للنفس إن أردت رجوعًا فارجعي قبل أن يُسَدَّ الطريقُ[٣]

وقال تعالى[٤] في بيانه[٥]: ﴿وَلَوَ اَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اُ۬للَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اُ۬لرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اُ۬للَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء:٦٣].

والمَجِيء إنما يكون مع الإمكان.

[مناجاةُ ابنِ العربي رسولَ الله ومعاهدتُه له]:

وقد كنتُ جِئْتُه ﷺ فناجيتُه من قِبَلِ رأسه الرفيع، بإزاء البلاطة، وقلت له: يا رسول الله، إني فلان بن فلان، قَصَدْتُكَ مُسْتَغْفِرًا من ذنبي، مُتَشَفِّعًا بك إلى ربي، وقد بلَّغتنا عنه: ﴿وَلَوَ اَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اُ۬للَّهَ﴾، وقد فَعَلْتُ، ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اُ۬لرَّسُولُ﴾، فافعل

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٦١٤).

(٢) ينظر: المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٦٥).

(٣) من الخفيف، وهو في لطائف القشيري بدون نسبة: (١/٤٦١).

(٤) في (ك): الله تعالى، وفي(ص): الله عز وجل، وفي (ب): الله.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): كتابه.

صلَّى الله عليك ما أخبرتَنا به عنه تعالى، وفارقتُه على هذا، ثم لم أَقْدِرْ على العصمة، فلمَّا خرج إلى الحج بَعْضُ أصحابنا المريدين قلت له: أَبْلِغْ سلامي رسول الله، وقل له: إن العهد الذي كان نذرته لم أقدر على الوفاء به، وهو القائل: سيد الاستغفار أن يقول: «اللهم أنت لا ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي»(١)، يعني(٢): غير مُوفٍ شُكْرَها، «وبذنبي»، غير مقلع عنه، فأنا ذلك الرجل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولعل الله يختم بتوبة.

٢ [١٣٢/ب]

[من شرائط التوبة]: /

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ في باقي أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ﴾ [المائدة:٤١]، أي: يقبل توبته، وما لنا لا نتوب وقد حَضَّ الله عليها، فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٧٦]، لا يتعاظمه ذنب؛ ولا سيما العاصون الذين أَتَوُا(٣) الذنوب بجهالة، لا بعناد واستكبار، وهم الذين تغلبهم الشهوات، وتستولي عليهم الغفلات، فلا يُقابَلون في أَوَّل مرجعهم إلا بما يَلْقَى بهم الأكابر، يقال لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الزمر:٧٠]، وهي التحية الكريمة؛ تحية الإسلام، وتحية دار السَّلام، وتحية السَّلامة من عقوبة الآثام، وهو قوله في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس ﷺ: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم: (٦٣٠٦-طوق).

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ص): أوتوا.

إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٩].

وعلامةُ إتيانِ ذلك بجهالةٍ الندمُ على قُبْحِ ما فرَّط وقدَّم، والأسفُ على ما أسلف، ومَحْوُ العثرة بإفاضة العَبرة، فحينئذ تُقبَل التوبة، وتُوهَب الرحمة، وتُبذَل المغفرة، كما قال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٠]، فالتوبة من الذنب والإيمان شَرْطُ صحتها أو أهلية قبولها، والمعنى: «آمِنٌ في المَآلِ كما هو آمِنٌ[١] في الحال»[٢].

وقال أهل الزهد: «آمِنٌ: بأن أَمْنَه ليس بتوبته وإيمانه[٣]، وإنما هي برحمة ربه ورضوانه»[٤].

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾، أي: في آخِر الأمر، ولذلك ألحقها بكلمة «ثُمَّ»؛ التي هي موضوعة للمُهْلَةِ، وهو حينئذ «المُجْتَبى».

* * * * *

(١) في (ك) و(ص) و(ب): مؤمن.

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٤٦٩).

(٣) في (ص): لا بإيمانه.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٦٩).

المُجْتَبَى[١]: وهو الاسمُ السَّادس والمائة[٢]

وهو: الذي جُعِلَ في جَبَأٍ من المخالفات، وهو الحَيِّزُ والجانب.

ويرجع بصفاته كلها إلى «الصالح»، و«المتقي»، و«المخلص»، و«الصادق»، و«الصدِّيق»، ونحو ذلك، ويكون «طَيِّبًا» كما بيَّنَّاه.

وهذا عَهْدُ الله لكل نَبِيٍّ في كل أمة؛ قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٥٣].

ولا سيئة أعظم من عبادة العجل؛ كبُرت ذنبًا، وقبُحت دُنيا، وسخُفت عادة[٣] ومرأى، ولكنها غُفِرت[٤].

وبعد التوبة يرجع المرء إلى أشرف ما كان عليه من الحالة، قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، وذلك خير لهم؛ كما قال: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة:٧٥].

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الرابع والمائة، وفي (ص): السادس والتسعون، وفي (ب): الخامس والتسعون.

(٣) في (ص): عبادة.

(٤) في (ص): عقرت.

وقد بيَّن الله سبحانه أنه يقبل التوبة ،/ وأنه[١] يُوجِبُ العقوبة ، وأنه في قَوْمٍ إمَّا يعذبهم وإمَّا يتوب عليهم ؛ كما قال: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بذلك كُلِّه ، ﴿حَكِيمٌ﴾[٢] في فِعْلِه .

٢ [١٣٣/أ]

قال المفسرون: «المرادُ بالمُرْجَوْنَ الثلاثةُ من العشرة[٣] المتأخرين عن رسول الله ﷺ ، لم يربطوا أنفسهم مع أبي لُبابة ، وهم: هلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، فقال تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن لم يعلم صحة توبتهم ، والثاني: أنه يعذبهم وإن عَلِمَ صحة توبتهم»[٤].

قال الإمام الحافظ[٥] رضي الله عنه: هذا دَبَشٌ[٦] ؛ أبو لُبابة جرت قصته في غزوة بني قريظة ، وهؤلاء الثلاثة جرت قصتهم في غزوة تبوك بعد نَحْوِ[٧] خمسة أعوام ، فكيف يقول: «لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة» ، وكيفيَّة ما جرى لهم مع النبي ﷺ معلومة في الصحيح[٨] .

---

(١) لم يرد في (ص).

(٢) [التوبة:١٠٧].

(٣) مرَّضها في (ص).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/٤٦٥-شاكر).

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه ، وفي (ب): قال الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله .

(٦) الدبش: سقطُ المتاع ، تاج العروس: (١٧/٢٠١).

(٧) سقطت من (ك) و(ب).

(٨) سبق تخريجه .

وأمَّا قوله: «إِمَّا يعذبهم بعد عِلْمِه بتوبتهم»؛ فَطَامَّةٌ لم يَقْدُروها قَدْرَها، غفر الله لهم قولها[١]، إذا عَلِمَ الباري تعالى تَوْبَةَ رجل[٢] استحال أن يُعَذِّبَه شرعًا، فلا يَحِلُّ لمسلم أن يعتقد غير ذلك، ولا يقوله.

وفي البخاري عن أبي هريرة: «كُلُّ أمتي معافى إلا المجاهرون؛ فإنَّ[٣] من المجاهرة[٤] - وفي رواية مسلم[٥]: من الإجهار[٦]- أن يعمل الرجل في ليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان؛ عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويُصْبِحُ يَكْشِفُ ستر الله عنه»[٧].

وأشدُّ ما على العبد أن يرى العقوبة عليه نازلة وبه محيطة ولا يَتُوبُ ولا يتذكَّر، والخلقُ الذين ابتلاهم الله بالأمر والنهي لا يُخليهم الباري من دلائل التعريف في كل وَقْتٍ، بنوع من البيان والتنبيه في كل أوان، بضَرْبٍ من الامتحان، وقد يكون[٨] المرءُ بزيادة البرهان وتجديد[٩] الخذلان، ومنهم

---

(١) في (د) -أيضًا-: لمن قالها.

(٢) في (ص): عبد.

(٣) في (ص): وإن.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): المجانة.

(٥) أخرجها مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، رقم: (٢٩٩٢-عبد الباقي).

(٦) في (ك) و(ص): الجهار.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم: (٦٠٦٩-طوق).

(٨) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أقطع به، يقرب أن يكون: يزيد، والله أعلم.

(٩) في (ص) و(ك) و(ب): في تجديد.

من إذا رأى الزَّجْرَ ازدَجَرَ، يُنَوِّرُ الله بصائرهم ويُصَفِّي خواطرهم، فإن سقطوا غفلة[١] استقلوا بلا مُهْلَةٍ فاستغفروا، فقد قال النبي ﷺ في الصحيح: «إنه ليُغَانُ على قلبي؛ فأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة مائة مرة»[٢].

وهو مُطَهَّرٌ من الخطايا، فكيف بالمُغْرِقِين[٣] فيها؟

وكل نبي قال لأمته: «استغفروا ربكم ممَّا مضى، وتوبوا إليه الآن وفيما تستقبلون».

[١٣٣/ب] وقد قال/ - من جملتهم صلَّى الله عليهم[٤]- شُعَيْبٌ: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

واختُلِفَ في تفسيره؛

فقيل: «﴿وَدُودٌ﴾، أي: يرحم العاصين لأنه يودهم»[٥].

وقيل: «يرحمهم لمودتهم له ورجوعهم إليه»[٦].

فيكون وَدُودًا[٧] بمعنى مودود، والله مودود[٨] لعبده، والعبد وَدُودٌ لربه، وقد تقدَّم شرحُنا للودود في كتاب «الأمد الأقصى»[٩]، وهو يرجع

---

(١) في (ص): في غفلة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): المغرقين.

(٤) في (ص): عليه السَّلام، وفي (ب): صلى الله عليه.

(٥) لطائف الإشارات: (١٥٣/٢).

(٦) لطائف الإشارات: (١٥٣/٢).

(٧) في (ك) و(ب) و(ص): مودود.

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): ودود.

(٩) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٠١/٢-١١٤).

إلى المحبة الثابتة التي لا تُزَعْزِعُها رياحُ الخواطر، ولا تُؤَثِّرُ فيها عوارضُ المخالفات[١].

وقد قال النبي ﷺ[٢] - في الصحيح -: «مَثَلُ المسلمين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى عُضْوٌ[٣] منه تداعى سائره بالحمَّى والسَّهر»[٤].

المعنى: إن الصور والأجرام وإن فرَّقتْ[٥] بينهم فإن المودة قد جمعتهم، وإن الأزمنة والأمكنة إن[٦] غايرتهم وعدَّدتهم[٧] فإن المحبة قد وحَّدتهم، وإنما صحَّت المودة لأنهم قاموا بحُرْمَةِ الأخوَّة وحافظوا على[٨] حقوقها، ألا ترى أن الله أخبر عن الذين اخترموها ولم يحترموها، فإن أصابتكم مصيبة قال-كأن لم يكن بينكم وبينه مودة-: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ

---

(١) بعده في (ك): وهو الاسم الخامس والمائة، وفي (ص): وهو الاسم السابع والتسعون، وفي (ب): الودود: وهو الاسم السَّادس والتسعون، وقد ضرب عليها في (د).

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) في (ص): بعضه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم: (٦٠١١-طوق).

(٥) في (ص): فرقتهم.

(٦) في (ص): وإن.

(٧) سقط من (ص) و(ب) و(د).

(٨) سقط من (د).

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[١] [النساء:٧١-٧٢]، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة.

فتقديرُ الآيـة[٢]: طرحـوا جلبـاب الحيـاء، وأسـقطوا حُرْمَـةَ الأخـوَّة، فقالوا: كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ولا صحبة، أو قالوا: كذا وكذا، كما يقول الذين ليس بينكم وبينهم[٣] مودة.

فإن شئت أن تُقَدِّرَ النفي للمودة أوَّل الكلام، وإن شـئت آخِـرَه، وإن شئت وسطه، وهو الأفصح، كما في جاء في القرآن، لسِرٍّ بيَّنَّاه في «عِلْمِ النَّظْمِ»[٤] الذي نبَّهناكم عليه.

المعنـى: كأنـه لـم تثبـت قـط بيـنكم وبيـنهم[٥] معرفـةٌ تقتـضي حقوقًـا مرعية، ولا خُلْطة تُوجِب عُلْقَةً نفسية، ومَيْلًا بحكـم الآدميـة؛ التي تقتـضي رِقَّةَ الجِنسية، فكيف إذا اتَّصلتْ بأسباب شرعية؟

وهكذا[٦] المودة إذا كانـت لغيـر الـشَّرْعِ زهقـت بأقـل سـبب، قـال الله تعـالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [العنكبوت:٢٤] الآية.

---

(١) في (د): «قال: كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدًا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة».

(٢) في (ص) و(ك) و(ب): فتقدير الآية هذا المعنى.

(٣) في (ص): ولا بينهم.

(٤) في اسم «المتقي»، وهو الاسم الذي سبق هذا.

(٥) في (د): بينه.

(٦) في (ص): هذه.

المعنى: إن هذه المودة التي بينكم إنما هي في الحياة الدنيا ؛ دار الغفلة ، ومَحَلِّ المحنة ، ومَعْدِنِ الجهالة ، ومأوى الاغترار ، ومحل الإمهال ، ومجال/ الشيطان ، حتى إذا انكشفت الحقائق بالقيامة انقلبت بُغْضًا ، وهذا كثيرٌ في القرآن ، فاجْمَعْه بالقانون إن احتجت إليه ، فلا تعول على العداوة فيها ولا على المودة ، وإنما يُعَوَّلُ على مودة الشرع ، قال الله سبحانه: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:٣] .

٢ [١٣٤/أ]

فقد[١] ترون أن إبراهيم لم تنفع أباه[٢] قرابتُه ، ولا مُحَمَّدًا لم تنفع عمَّه صِلَتُه وحمايتُه ، وقال الله[٣]: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[٤] ، وعسى للتجويز والرجاء والتوقع ، حتى يُظهر[٥] الله ما[٦] عَلِمَ ، وينفذ ما حكم ، وقد تقدَّم كثيرٌ من معانيها في اسم «المُحِبِّ» ، و«الأخ» ، و«الصاحب» ، فلا وجه لإعادته.

قال الإمام الحافظ[٧]: وكما للمَرْءِ اسمُ العاصي والفاسق قبل[٨] التوبة ، فله بعدها المُطِيع العادل ، قال الله تعالى: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ

---

(١) في (ص): ألا.

(٢) في (د): إيَّاه.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): ولعل الله أن ، ومرَّضها في (د) ، والمثبت من طرته.

(٤) في (د): «عسى أن يجعل بينكم وبين من عاديتم منهم مودة» ، وفي (ص) و(ك): لعل.

(٥) في (ك) و(ب) و(ص): يظهر.

(٦) في (ص): منهم ما علم.

(٧) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٨) في (د): يقبل.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور:٤-٥]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١]، أي[1]: ما تُبْتُمْ.

يعني: ما خرجتم من هذا المشكل الذي وقعتم فيه؛ وهي مسألة اللعان، فلا ينبغي لعبد أن يدخل في مشكل، بل يخرج من المشكلات إلى البيِّنات، ومن الأفعال المذمومة إلى الخصال الممدوحة، كما قدَّمنا؛ من توبة الزلَّة، وتوبة الغفلة، وتوبة الفترة، وتوبة الرؤية للأعمال أو اعتقاد المنزلة، فإنَّ من كانت حاله في المعصية دائمة إلى المَنِيَّةِ خُلِّدَ في النار مُهَانًا، إلَّا من تاب[2] وآمَنَ وعمل عملًا صالحًا، كما قدَّمنا؛ فـ﴿مَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١].

وهذه الكلمات لم يتعرَّض لها المُفَسِّرُونَ، وفيه فائدة، وهي: أنَّ التوبة المُعَقَّبَةَ[3] بالعمل الصالح هو المتاب المُعْتَدُّ به.

فتقدير الآية: ومن تاب واستمر على العمل الصالح فهي التوبة المُعْتَدُّ بها، المرجو لصاحبها أن يكون من المفلحين، كما قال: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص:٦٧]، وسنُشير إلى ذلك[4] إن شاء الله[5] فإنه من «الأسماء»، وسيأتي بيانُه إن شاء الله.

---

(١) قوله: «ما زكى منكم أحد أبدا أي» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٢) في (د): إلا من تاب كما قدمنا.

(٣) في (ب): المعقب.

(٤) في (ك) و(ب): إليه، وضعَّفه في (ص).

(٥) قوله: «إن شاء الله» لم يرد في (ب).

ومن أَجَلِّ كتابٍ جاء من عند الله إلى عباده قَوْلُه لنا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، [غافر:١-٢]/ [١٣٤/ب] فأُلْقِي هذا الكتابُ الكريم إلى العاصي دليلًا؛ فقال له:

٢

من غَافِرِ الذنب وقابل التوب، يغفر الذنوب، ويقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، مع أنه شديد العقاب، وهو ذو الطول، أي: ذو الفضل[١]، أو ذو القدرة، فإن كان معناه ذا الفضل فقد غلب الرجاء، وإن كان معناه ذا القدرة فقد استوت الحال، «فهو سبحانه غافر الذنب لمن اجترم، قابل التوب لمن ندم، شديد العقاب لمن جحد، ذو الطول لمن عَرَفَ ووحَّد»[٢].

وقيل: «غافر الذنب للظالمين، قابل التوب للمقتصدين، شديد العقاب للمشركين، ذو[٣] الطول على المذنبين، يتفضَّل عليهم بالمغفرة»[٤].

وقد قال العلماء بكتاب الله: «إن الله إذا خوَّف العباد باسْمٍ آنَسَهُم باسْمَيْنِ فزَائِد»[٥].

قال علماء الزهد: «إذا كان إليه المصير، فقد طاب المسير[٦]»[٧].

---

(١) في (ص): الطول.
(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).
(٣) في (ك) و(ب): ذي.
(٤) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).
(٥) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).
(٦) لطائف الإشارات (٣/٢٩٥): إليه المسير.
(٧) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٥).

قال الإمام الحافظ[1] رضي الله عنه: وناهيك بمنزلة، ويا لها من مرتبة، وما أسوغها من نعمة، وما أكرمها من حُرمة، وما أمكنها من منزلة، وما أشرفها من مرتبة!

قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٦].

فخَوَاصُّ الملائكة مأمورون بالتسبيح، يستغفرون للعصاة، ويدعون لهم بالنجاة، ثم برَفْعِ الدرجات، ويُحِيلون الأمرَ فيه على رحمته بقوله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾[2] [غافر:٨].

فيا معشر المريدين: «لئن سَلَّطَ علينا أراذل خَلْقِه وهم الشياطين، لقد قيَّض لشفاعتنا[3] أكرمُ الأكرمين أفاضلَ الخلق من الملائكة المقرَّبين»[4].

قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا﴾ الآيةُ كلها، فَوَصَفَ الله حال النشأة الحسنة بالعصمة الدائمة والتوبة القائمة في رَجُلٍ؛ من بِرِّ الوالدين، وشُكْرِ الله على نِعَمِه عليه وعليهما، بما قام به[5] من حَقِّ خِدْمَتِه في نِعْمَتِه، والانكفاف عن معصيته، ورؤية طاعة الأبوين كطاعة ربه، ولم

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٧).

(٣) في (ص): للشفاعة لنا.

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٢٩٧).

(٥) في (ص): عليه.

يزل مُتَضَرِّعًا إلى ربه في إِيزَاعِ الشُّكْرِ الذي كان عن الإيعاز إليه على نِعَمِه عليه وعلى أَبَوَيْهِ، وإتمام ذلك في العَقِبِ حتى يتَّسق[1] الأصل والثمرة على الفرع، وتلتقي الأطراف على الأوساط، فذلك الذي يتقبَّل الله عنه[2] أحسن ما عمل،/ ويتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة؛ حسب وَعْدِ الصِّدْقِ النافذ من الحق للخلق. ٢ [١٣٥/أ]

وأكَّد الله التوبة[3] من المعاصي المتعلقة بالخلق في مواضع، منها: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ الآية[4]، وقد تكلَّمنا عليها، إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

وقال في القتل: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٢].

وجعل توبة القاتل خَطَأً مقرونة بكفَّارة يُخْرِجها، فقال: ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء:٩١]، ولم يجعل في العَمْدِ توبة في هذه الآية، ولكنه جعلها في آية أخرى، وقد تكلَّمنا عليها في «الناسخ والمنسوخ»[5] وغيره بما فيه غُنية، والصحيح أنَّ له توبة.

وقال هاهنا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وقد يكون نَسْخُ الله للأمر الشاقِّ بالأمر الخفيف توبة، كقوله في صدقة المناجاة: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة:١٣]، يعني: أَسْقَطَ عنكم ما شَقَّ

---

(١) في (ص): يَنْسُقَ.
(٢) في (ك): عمله.
(٣) سقط من (ص).
(٤) سقط من (ص).
(٥) الناسخ والمنسوخ: (١٨١/٢).

عليكم، ووَجْهُ استعمال التوبة فيه أنه لو كلَّفهم لتركوه فعصَوا، فاحتاجوا إلى التوبة، فإذا تابوا تاب الله عليهم؛ فكفاهم المؤونة في ذلك كله، وتاب عليهم بإسقاط ما أحوجهم[١] إلى التوبة، فتعالى ربنا وتَقَدَّسَ.

وكذلك فَعَلَ في قيام الليل؛ أسقطه عنَّا رَحْمَةً منه لنا، فعبَّر عن إسقاطه بالتوبة، كما تقدَّم.

وقد قال بعضهم: «إنَّ فَرْضَه بَاقٍ»[٢].

وقد بيَّنَّا فساده في كتاب «الأحكام»[٣] وغيره.

تَتْمِيمٌ: [في الاستغفار للصغير]

فإن قيل: فهل يُسْتَغْفَرُ للصغير؟

قلنا: نعم، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم اغفر لحَيِّنا ومَيِّتنا، وصغيرنا وكبيرنا»[٤].

فإن قيل: وأيُّ ذنب يقابل المغفرة؟

قلنا: تكون له مُعَدَّةٌ؛ إذا جَاءَ بذنب وَجَدَ مغفرة قد سبقته، وهي أفضلُه، كما قال الله لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم»[٥]، يعني: ما تستقبلون.

---

(١) في (ك) و(ب): أحوجه.

(٢) هو قول الإمام أبي عبد الله الجُعْفِي، ينظر: الأحكام: (٤/١٨٨٢).

(٣) أحكام القرآن: (٤/١٨٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول في الصلاة على الميت، رقم: (١٠٢٤-بشار).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي ﵁: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﵃، رقم: (٢٤٩٤-عبد الباقي).

ونَعَى النبيُّ ﷺ النَّجَاشِيَّ للناس يوم مات فقال: «استغفروا لصاحبكم»[(١)]، وقد كان على درجة عظيمة من الفضل عند الله؛ بدليل ما كان له عند رسول الله من المنزلة، ولكنه قال: «استغفروا له»، كما يُفعَل بكل مَيِّتٍ فاضل، فإن صادف الدعاءُ ذنبًا كان له فائدة المغفرة، وإن لم يصادف ذنبًا كان له رِفعة الدرجة.

ذِكْرُ التوَّابين من المؤمنين:

[تَوْبَةُ أبي لُبابة]:

٢ [١٣٥/ب]

تاب الله على أبي لُبابة/ في ذنبه؛ «وذلك أنه خرج إلى بني قُرَيظة حين حاصرهم النبي، وقد طلبوا من النبي أن يصل إليهم، وكان لهم حَلِيفًا وصاحبًا في الجاهلية، وكانوا له مُكْرِمين، فلمَّا دَخَلَ حِصْنَهم تعلَّقوا به، وجَهِشَ إليه النساء والصبيان، وقالوا له: يا أبا لبابة، ما ترى في نزولنا؟ فقال لهم قولًا جميلًا، ثم أشار إلى حَلْقِه أنه الذبح، وحين فَعَلَها سُقِطَ في يده، وعَلِمَ أنه قد وَاقَعَ كبيرة، فخرج عنهم ولم يرجع إلى النبي ﷺ، وسار إلى المسجد ورَبَطَ نفسه بسِلْسِلَةٍ في سارية من سواريه، وأَقْسَمَ ألَّا يأكل طعامًا ولا يشرب شرابًا حتى يتوب الله عليه، وبلغ أمرُه رسولَ الله ﷺ فقال: لو جاءني لاستغفرت له، فإذْ[(٢)] قد صار إلى ما هنالك فسيحكم الله فيه، فأقام كذلك بضع عشرة ليلة حتى سقط كلامه، وكان لا يُرِيمُ تلك الحال إلَّا أوقات الصلوات؛ تأتي أهلُه[(٣)] فتحلُّه، فإذا قضى عبادته أعادت

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الجنائز، بابٌ في التكبير على الجنازة، رقم: (٩٥١-عبد الباقي).

(٢) في (ك): فإنه.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): بنته، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

عليه حالَته، حتى أنزل الله توبته، وأمر بحَلِّه رسولُ الله، فقال: «والله، لا حَلَّنِي غيرُه»، فجاء رسولُ الله فحلَّه»[١].

[توبةُ كعب بن مالك]:

تاب الله على كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع[٢]؛ تخلَّفوا عن رسول الله في غزوة تَبُوك في جملة المنافقين، استوت حالتهم في الظاهر، واختلفت نيَّاتهم، فهؤلاء الثلاثة قعدوا تكاسلًا، والمنافقون تقاعدوا تكذيبًا وخيانة لله ورسوله، وتزهيدًا للناس عن الجهاد، فلمَّا قَدِمَ النبي ﷺ حَلَفَ المنافقون وكذبوا، فقَبِلَ النبي علانيتهم، ووَكَّلَ سرائرهم إلى الله، فلمَّا جاء هؤلاء الثلاثة إلى النبي وصَدَقُوه في التخلف أمرهم بالتخلف حتى يحكم الله فيهم، فأقاموا خمسين ليلة في هجران من النبي ومن الناس وفِرَاقٍ من الأهل، وإِرْجَاءٍ من الأمر خمسين ليلة، حتى أنزل الله توبة من مضى مع النبي وضَجِر[٣]، وتوبة من أقام وصَدَقَ حين اعتذر المنافقون[٤]، وأنزل الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة:١١٨]، وثبَّت توبة من أقام وصدق حين اعتذر، حتى أنزل الله تعالى[٥]: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ الآية، كما تقدَّم بيانُها آنفًا.

---

(١) سيرة ابن هشام: (٣/١٨٦-١٨٨)، وتفسير الطبري: (١٤/٤٥١).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) في (د): صخر، وفي الطرة: في خـ: صمم.
(٤) سقط من (ك) و(ب) و(ص).
(٥) قوله: «الذين اتبعوه في ساعة العسرة .. حتى أنزل الله تعالى» لم يرد في (ك) و(ب) و(ص).

[توبةُ الله على المؤمنين يوم أحد]:

تاب الله على المؤمنين يوم أُحُدٍ؛ حين خالفوا أمر النبي في ألَّا يبرحوا عن مواضعهم، فلمَّا رأوا الكفَّار قد انهزموا والفيء قد شرع فيه الناس تركوا مقامهم، ونَسُوا ما حُدَّ لهم، فتمكَّن الكفار، وكانت الهزيمة على المسلمين، ثم عفا الله عنهم[١]،/ وغفر ذلك لهم.

٢ [١٣٦/أ]

[توبةُ الله على المؤمنين يوم حُنَين]:

تاب الله على المؤمنين يوم حُنَين حين[٢] أعجبتهم كثرتهم، فلم تغن عنهم شيئًا وولوا مدبرين، ثم أنزل الله السكينة عليهم ونصرهم، وتاب عليهم بعد ذلك وغفر لهم[٣].

[توبة الله على عائشة وحفصة]:

تاب الله على عائشة وحفصة حين تظاهرتَا على النبي ﷺ، حسب ما تقدَّم في «سورة التحريم».

قال المفسرون: ورُوي عن مالك[٤]: «في شأن مارية جاريته»[٥].

وقال أهل الصحيح في شأن العسل الذي شرب منه[٦]: «عند زينب»[٧].

---

(١) سقط من (د). (٢) سقطت من (د).

(٣) قوله: «غفر لهم» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٤) مرَّضها في (د)، وفي الطرة ما لم أتبيَّنه، وهو قَوْلٌ رواه الإمام مالك عن زيد بن أسلم، ينظر: الأحكام: (١٨٤٥/٤).

(٥) تفسير الطبري: (٨٣/٢٣-التركي).

(٦) سقط من (د).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب التفسير، سورة المتحرَّم، رقم: (٤٩١٢-طوق).

ويحتمل أن يكون فيهما، والثاني أصح.

فقال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وذلك مُوجِبٌ للتوبة، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ معه[1] ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وأبوكما[2]؛ أبو بكر وعمر، وهما ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ومن كان مثلهما، ولا مِثْلَ لهما.

حتى آلت القصة إلى الإيلاء، وإلى أن يَجَأَ عُمَرُ قَفَا حفصة، وإلى أن يقول لرسول الله في بعض الروايات: «إن أمرتني ضربتُ عنقها».

[توبةُ قاتل المائة نَفْسٍ]:

تاب الله على رَجُلٍ كان قبلنا؛ «قَتَلَ تسعة وتسعين رجلًا، ثم خرج يسأل: هل له[3] من توبة؟ فلقي راهبًا فقال له: ليس لك توبة، فقتله، ثم خرج يسأل، فلقي آخر، فقال له الأمر[4] وسأله: هل لي[5] من توبة؟ فقال له: ومن يسد باب التوبة دونك؟ ولكن ائْتِ الأرض المقدَّسة، فخرج إليها فجاءه الموت فُجَاءَةً في الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأمرهم الله أن يجعلوا بينهم رَجُلًا يأتي على الطريق، وأرسل إليهم مَلَكًا في صورة رَجُلٍ فاستفتوه، فأمرهم أن يقيسوه، فإلى أي أرض وجدوه أقرب قبضوه على صفتها؛ إن كان أقرب إلى الأرض التي عصى فيها قَبَضَتْهُ ملائكة العذاب، وإن كان إلى الأرض المقدَّسة قبضته ملائكة

---

(١) في (د): هو مولاه.

(٢) في (ص): أبواكما.

(٣) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): الآخر.

(٥) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

الرحمة، فوجدوه أقرب إلى الأرض المقدسة بِشِبْرٍ، فقبضته ملائكة الرحمة»[١].

وفي رواية: «فوجدوه لمَّا جاءه الموت وهو[٢] في المَنْصَفِ نَاءَ بصدره إلى جهة الأرض المقدسة»[٣]، فبذلك المقدار استحقَّ عند الله أن تقبضه ملائكة الرحمة.

[توبةُ رجل لم يعمل خيرًا قط]:

تاب الله على رَجُلٍ كان قبلكم؛ قال النبي: «إن رَجُلًا فيمن[٤] كان قبلكم قال لبنيه: أيُّ أَبٍ كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإذا مِتُّ فاحرقوني، حتى إذا صِرْتُ/ حُمَمًا فاسهكوني، ثم انظروا يومًا رائحًا فاذْرُوا نصفي في البَرِّ، ونِصْفِي في البحر، فوالله لئن قَدَرَ الله عليَّ ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، ففعلوه[٥] ورَبِّي[٦]، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البَرَّ فجمع ما فيه، ثم قال له: كن خَلْقًا سَوِيًّا، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك يا رب[٧]، فما تَلَافَاهُ غيرُها»[٨].

٢ [١٣٦/ب]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قوله: «وهو» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: رقم: (٢٧٦٦-عبد الباقي)، وفيه: «قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِرَ لنا: أنه لما مات نأى بصدره».

(٤) في (ك) و(ص): كان فيمن كان.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): ففعلوا، وفي طرة بـ (د): في خـ: ففعلوا ما أمرهم.

(٦) في (د): في خـ: ففعلوا ما أمرهم.

(٧) قوله: «يا رب» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٨) سبق تخريجه.

[تَوْبَةُ رجل كان يداين الناس ويتجاوز عن المُعْسِرِ]:

تاب الله على رَجُلٍ كان فيمن[١] قبلكم؛ كان يُدَايِنُ الناس ويقول لغلمانه: «أَنْظِرُوا المُوسِرَ، وتجاوزوا عن المُعْسِر، فقال الله عز وجل[٢] له: نحن أحقُّ بذلك منه، تجاوزوا عنه[٣]»[٤].

[توبةُ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْبًا]:

غَفَرَ الله لبَغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل؛ مرَّت بكلب يأكل الثَّرَى من العطش، فنزعت مُوقَها فسَقَتْهُ، فغفر الله لها[٥].

معناه: يسَّر لها بسبب ذلك التوبة، وإلَّا فإحياءُ الكلب لا يعادل الصلاة، والصلاة لا تعادل الزنى، فكيف أن يعادله سَقْيُ الكلب؟ وقد بيَّنَّا ذلك في «القبس» و«شرح الحديث» وغيره.

[توبةُ رَجُلٍ يضع عليه الجبَّارُ كَنَفَه]:

غفر الله لعَبْدٍ - تقدَّم ذِكْرُه[٦]- يؤتى به يوم القيامة فيضع عليه الجبَّار كَنَفَه، يقول له: «عبدي؛ تَذْكُرُ يوم كذا، حين فعلتَ كذا، فلا يزال يُعَدِّدُ

---

(١) سقط من (ص).

(٢) قوله: «عز وجل» لم يرد في (ص) و(ب) و(ك).

(٣) سقطت من (ص).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب البيوع، باب من أنظر معسرًا، رقم: (٢٠٧٨-طوق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الأنبياء، بابٌ، رقم: (٣٤٦٧-طوق).

(٦) في السِّفْرِ الأوَّل، المقام الثالث.

عليه ذُنُوبَه ، حتى يَرَى أنه قد هلك ، فيقول الله[١] له: عبدي ؛ أنا سَتَرْتُها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم»[٢].

قال الإمام الحافظ[٣]: وهذا فيمن زلَّ في معصيته وسَتَرَ على نفسه ، فأمَّا المجاهر فلا غُفران لذنبه إلَّا بأَمْرٍ آخَرَ من ربه ، وفي حالة أخرى من وقته.

[توبةُ مَاعِزٍ]:

وقد تاب الله على مَاعِزٍ حين جاء إلى النبي مُعْتَرِفًا بالزنى فرجمه ، وقال: «استغفروا لماعز ، فلقد تاب توبة لو قُسمت بين أُمَّةٍ لوَسِعَتْهُمْ»[٤].

[توبةُ الجُهَنية]:

وقال في الجُهَنِيَّة[٥] بعد أن رجمها: «لقد تابت توبةً لو قُسِمَتْ بين سبعين من أهل المدينة لوَسِعَتْهُمْ ، وهل وجدتَ أفضل من أن جادت بنفسها؟»[٦].

---

(١) لم يرد في (ص) و(ب) و(ك).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه ، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه ، وفي (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن بُرَيدة رضي الله عنه: كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى ، رقم: (١٦٩٥-عبد الباقي).

(٥) في (د): الجُهَينية.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى ، رقم: (١٦٩٦-عبد الباقي).

ومن الحكمة[١]: «الجُودُ بالنفس أقصى غاية الجود».

ولم يختلف أَحَدٌ من العلماء في أنِ سَتْرَ الإنسان على نفسه وتوبته مع ربه أفضل من فضيحته لنفسه.

ومن حديث أبي بَكْرَةَ من طريق النسائي وأبي داود: «أنَّ النبي رَجَمَ امرأةً وقال: لو قُسم أجرها بين أهل الحجاز لَوَسِعَهُمْ»[٢].

فالله أعلم؛ هل هي غير الأولى أم هي نفسها[٣]؟

[توبةُ كعب بن عمرو]:

[١٣٧/أ] وجاء أبو اليُسْرِ كعبُ بن عمرو البدري[٤]/ إلى النبي فقال: «إني أصبتُ من امرأة كل شيء إلَّا النكاح[٥]، فقال له: أصليتَ معنا؟ قال: نعم، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، قال له: يا رسول الله؛ ألي هذا خاصة أم للناس عامة؟ فقال له[٦] رسول الله: بل للناس عامة»[٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى عن أبي بكرة ﵁: كتاب الرجم، حضور الإمام إقامة الحدود، وقدْر الحجَر الذي يرمى به، رقم: (٧١٧١-شعيب)، وأبو داود في السنن: كتاب الحدود، باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة، رقم: (٤٤٤٣-شعيب).

(٣) في (ص) و(ب) و(ك): بعينها.

(٤) في (د): اليدري.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): الوطء.

(٦) سقط من (ب) و(ك).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﵁: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، رقم: (٢٧٦٣-عبد الباقي).

وزاد[١] النسائي على الأئمة: «فقال له: أخلفتَ رجلًا من المسلمين غازيًا في سبيل الله [بهذا]؟ فظننتُ أني من أهل النار، وأن الله لا يغفر لي أبدًا، وأطرق عنِّي نبيُّ الله، حتى نزلت الآياتُ[٢] فقرأهنَّ عليَّ»[٣].

[توبةُ رجل من الأنصار أَسْلَمَ ثم ارتدَّ ثم أَسْلَمَ]:

وروى[٤] النسائي عن ابن عباس: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم، وأرسل إلى قومه[٥]: سلوا لي النبي؛ هل لي من توبة؟ فجاء قومُه إلى رسول الله فقالوا: إن فلانًا قد ندم، وقد أَمرنا أن نسألك هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٨٥-٨٨]، فأرسل إليه فأسلم»[٦].

[توبةُ آدمَ عليه السَّلام]:

وروى الأئمة عن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: «تحاجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدمُ أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحِه، أغويتَ الناس وأخرجتهم من الجنة، قال: فقال آدم: وأنت موسى الذي

---

(١) في (ص) و(ب) و(ك): زاد.

(٢) في (د): الآية.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب الرجم، من اعترف بما لا تجب فيه الحدود، رقم: (٨٢٨٦-شعيب).

(٤) في (د): روى.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): «وأرسل: ألي توبة؟ سلوا لي النبي؛ هل لي من توبة؟».

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم﴾، رقم: (١٠٩٩٩-شعيب).

اصطفاك إليه[١] بكلامه؛ أتلومني على عمل عَمِلْتُه كَتَبَهُ الله عليَّ قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ ثمَّ[٢] قال رسول الله: فحجَّ آدمُ موسى»[٣].

قال علماؤنا: «لَامَ موسى آدمَ[٤] بعد التوبة، والتائبُ لا يُعاقَب ولا يُعاتَب، والمذنبُ قبل التوبة معاتَب معاقَب».

وقد أصَّل النبي قوله: «إذا زنت أمةُ أحدكم فليجلدها الحَدَّ ولا يُثَرِّبْ»[٥]، فأخبر أنه إذا جلدها الحدَّ لم يَجُزْ له أن يُثَرِّبَ عليها، يعني: يعاتبها، فجُرْحُ اللسان كجرح اليد، والله أعلم.

[توبةُ من قَرَفَ أمَّ المؤمنين عائشة وقذفها]:

تاب الله على من قَرَفَ عائشة وقَذَفَها حين برَّأها وطهَّرها، ولذلك أدخل العلماءُ حديثها في كتاب التوبة[٦].

٢ ومن أعظم المحن عليها قَوْلُ رسول الله لها: «أمَّا بعد يا عائشة؛ فإن كنتِ ألممت بذنب أو قارفت سُوءًا أو ظلمت فتوبي إلى الله؛ فإن الله/ [١٣٧/ب] يقبل التوبة عن عباده، قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار، وهي جالسة بالباب، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شَيْئًا؟ فوعظ رسول الله فالتفت إلى أبي، فقلت: أجبه، قال: فماذا أقول؟ فالتفت إلى أمي فقلت: أجيبيه، قالت: أقول ماذا؟ قالت: فلمَّا لم يُجِيبَا تشهَّدت، فحمدتُ الله

---

(١) في (ص) و(ب) و(ك): الله.

(٢) سقطت من (د).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (د): لام آدم موسى.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الحدود، باب لا يثرب على الأمة إذا زنت ولا تنفى، رقم: (٦٨٣٩-طوق).

(٦) كما فعل الإمام مسلم في صحيحه، فقد خرَّج هذا الحديث في كتاب التوبة.

وأثنيتُ عليه بما هو أهله، ثم قلت: أمَا والله لئن قلت لكم: إني لم أفعل، والله يشهد إني لصادقة، ما ذلك[١] بنافعي عندكم، لقد تكلَّمتم وأُشْرِبَتْهُ قلوبكم، ولئن قلت: إني قد فعلت، والله يعلم أني لم أفعل، لتقولنَّ إنها قد باءت به على نفسها، ولئن قلت: إني لم أفعل؛ لا تصدقوني، فما أجدُ لي ولكم مَثَلًا، قالت: والتمستُ اسم يعقوب فلم أقدر عليه، فقلتُ: إلَّا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، قالت: وأُنزل على رسول الله من ساعته فسكتَ[٢]، فرُفِعَ عنه وإني لأتبيَّن السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري[٣] يا عائشة؛ قد أنزل الله براءتك، قالت: وكنت أشد ما كنت غضبًا، فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقال لي أبواي: قُومِي إليه، فقلتُ لهم: لا، والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيَّرتموه»[٤].

فانظروا إلى جزالة عائشة وفصاحتها وسَعَةِ علمها، وعظيم توحيدها لربها ومُنَّتها في نفسها، لله دَرُّها ورضوانُ الله عليها، إنها لخَيْرُ نساء زمانها.

والذين تِيبَ عليهم: حَمْنَةُ بنت جحش، مِسْطَحُ بن أُثاثة، حسَّان بن ثابت، وقد انضاف[٥] إليهم جماعة، حتى كانوا عُصْبَةً كما قال الله، منهم

---

(١) في (د): ذاك.

(٢) في (ص) و(ب) و(ك): فسكتْنا.

(٣) في (د): البشرى.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، بابٌ في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، رقم: (٢٧٧٠-عبد الباقي).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): انضافت.

قائل، ومنهم مستمع راضٍ، ومنهم من كان يجمعه ويَسْتَوْشِيهِ ويُذِيعُه؛ وهو عبد الله بن أُبي المنافق[١].

﴿وَالذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور:١١]؛

قيل: هو حسَّان[٢].

وقيل: عبد الله بن أُبَي[٣].

وهو الأصح.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ألذِينَ يَرْمُونَ أَلْمُحْصَنَٰتِ أَلْغَٰفِلَٰتِ أَلْمُومِنَٰتِ لُعِنُواْ فِے اِ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةِ﴾ [النور:٢٣].

[٢/١٣٨أ] قيل:/ هذا في أزواج النبي[٤].

وقيل: في كل مُسْلِمَةٍ[٥].

وهو الصحيح.

فأمَّا لَعْنُهم في الدنيا فبحَدِّهم، وإسقاطِ حرمتهم وشهادتهم وإمامتهم؛ وأمَّا لَعْنُهم في الآخرة فبطردهم عن رحمة الله.

قال جماعة: «هذه الآية في الكفَّار، بدليل قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُۥٓ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، وهو عبد الله بن أُبَي».

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/١٩٥-التركي).
(٢) تفسير الطبري: (١٧/١٩٣-التركي).
(٣) تفسير الطبري: (١٧/١٩٥-التركي).
(٤) تفسير الطبري: (١٧/٢٢٧-التركي).
(٥) تفسير الطبري: (١٧/٢٢٨-التركي).

ثم ابتدأ سبحانه تأكيدًا لتبرئة عائشة[١] وسائرِ أزواجِ النبي[٢] محمد ﷺ وسائرِ أزواجِ الكرامِ رُسُلِه[٣] صلى الله عليهم[٤]، فقال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور:٢٦]، وقد اختلف الناسُ -لغفلتهم عن المعاني- في هذه الآية على ستة أقوال:

الأوَّل: قال: «معناه: الخبيثات من الكلام؛ معونة[٥] للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال قائلون للخبيثات من الكلام، والطيبات منه للطيبين منهم، والطيبون منهم للطيبات كذلك»[٦]، قاله ابنُ جرير[٧] وعطاء ومجاهد.

الثاني: قيل[٨]: «إن معناه: إن خبيثًا لا يلتصق إلَّا بخبيث، ولا يُلْصِقُه إلَّا خبيث»[٩].

الثالث: «إنَّ الخبيثات من النساء للخبثاء من الرجال»[١٠]، وكذلك في الطَّيِّبِ، قاله ابن زيد.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): تأكيد التبرئة لعائشة.

(٢) لم يرد في (د).

(٣) في طرة بـ (د): وسائر أزواج رسله.

(٤) في (د): ﷺ.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): مقولة.

(٦) تفسير الطبري: (١٧/٢٣٣-التركي).

(٧) في (ص) و(ب) و(ك): جبير.

(٨) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٦٠٣).

(١٠) تفسير الطبري: (١٧/٢٣٧-التركي).

الرابع: «الخبيثاتُ من الأعمال للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الأعمال»(١)، وكذلك الطيِّب مثله، قاله مجاهد أيضًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور:٢٦]، يعني: الطيِّب مُبَرَّأٌ من الخبيث، وقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، أي: جعلنا بلاءهم مغفرة لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ عندنا.

الخامس: «الخبيثات من الأحوال للخبيثين من الرجال»(٢).

السَّادس: «الخبيثات من الأموال(٣)»(٤)، ورَكِّبْه كذلك.

قال الإمام الحافظ(٥): هذه الأقوال كلها صحيحة محتملة، وإن كان سببُ الآيةِ وما قبلها يدلُّ على الأشخاص فلا يمتنع أن يدلَّ على المعاني؛ من الأحوال، والأفعال، والأقوال، والأموال، فيكون العمل الخبيث لا يصدر إلَّا من الرجل الخبيث، كُلٌّ مَرْبُوطٌ بما يليق به، والفعلُ لائق بفاعله، والفاعلُ لائق بفعله؛ في الطهارة والقذارة، والنفاسة والخساسة، والشرف والسَّرَف.

[٢/١٣٨/ب] وإذا قلنا:/ إنها الأحوال؛ فالخبيثات من الأحوال كالمُنَى والشهوات لأصحابها والسَّاعين لها لميلها لها، غير ممنوع أحدهما من صاحبه، فالصفة للموصوف لازمة، والموصوف لصفته لازم.

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/٢٣٦-التركي).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/٦٠٣).

(٣) في (د): الأقوال.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب) و(ك): قال الإمام الحافظ ﷺ.

وإن قلنا: الخبيثات من الأشخاص للخبيثين من الأشخاص؛ وهم الراضون بالمنازل السَّخيفة، والتناحر على الجيفة.

وإن قلنا: الخبيثات من الأموال، وهي التي ليست بحَلَالٍ لمن بها تَرْبِيَتُه[١]، وعليها تعتكف هِمَّتُه، والخبيثُ من الرجال لا يميل إلَّا إلى مثل تلك الأموال، وتلك الأموال لا يكسبها[٢] إلَّا مثل أولئك الرجال.

وإن قلنا: إنها الأقوال؛ فالخبيثُ من الأقوال لا يكون إلا للخبيثين من الرجال، والخبيثُ من الرجال لا يبالي من أين قال[٣]، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ[٤]: «وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلَّا حصائد ألسنتهم»[٥].

وإن قلنا: إن الطيبين[٦] من الأعمال للطيبين من الرجال؛ فهي الطاعات والقُرَبُ[٧] للطيِّبين، الذين يؤثرونها ويسعون في تحصيلها، والطيبات من الأحوال - وهي: تحقيق الواصلات[٨] ممَّا[٩] هو حَقُّ الحق

---

(١) في (د): ترتيبه.

(٢) في (ص) و(ب) و(ك): يكتسبها.

(٣) في (ص) و(ب): لا يبالي من أين اكتسب المال، وفي (د): كسب المال.

(٤) في (ص) و(ب): «كما تقدَّم في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ»، وفي (د): «كما فُسِّرَ في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ»، ولم يذكروا الحديث.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ص) و(ب) و(ك): الطيبات.

(٧) في (ص) و(ب) و(ك): القربات.

(٨) في (ص) و(ب) و(ك): المواصلات.

(٩) في (ص) و(ب) و(ك): بما.

مُجَرَّدًا عن الحظوظ- للطيِّبين من الرجال؛ وهم الذين سَمَتْ هِمَّتُهم عن كل تَبَذُّلٍ خسيس، ولهم نُفُوسٌ سمت إلى المعاني بالتَّجَمُّلِ مع التَّذَلُّلِ لرب العزة ومن[1] هي له على الإطلاق[2].

والطيِّب من المال[3] - وهو[4]: الذي صَفَتْ جِهَةُ كسبه وتطهَّر في ذاته، وعَرِيَ عن مِنَّةِ مخلوق عليه - للطيِّبين من الرجال؛ وهم الأحرار الذين خلصوا لرِقِّ المولى[5] عن رِقِّ الكون في الدنيا[6].

والطيبات من الأشخاص -هن المُبَرَّآتُ من رهج الخطر، المنتقيات[7] عن سفساف أخلاق البشرية، من التعريج على[8] أوطان الشهوات- للطيبين من الرجال؛ الذين يقومون بحق الحق[9]، لا يصحبون الخلق إلَّا للتعب[10] دون استجلاب المنافع[11].

---

(١) سقط من (ب).

(٢) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): الأموال.

(٤) قوله: «وهو» سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٥) في (د): انخلعوا عن رق المولى وعن رق الكون في الدنيا.

(٦) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(٧) في (ص): المنتفيات.

(٨) في (د): عن.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٦٠٤).

(١٠) في (ص) و(ب) و(ك): التعفف.

(١١) في (ص) و(ب) و(ك): الشهوات، وضَبَّب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

قال الإمام الحافظ[١] ﷺ: فهذه الأقوال بمتعلقاتها صحيحة كلها، والمقصود منها تَبْرِئَةُ المطهَّرات من أزواج المطهَّرين، فقد قال ابنُ عبَّاس: «ما بغتْ امرأةُ نَبِيٍّ قط، وإنَّما كانت خيانتهما في كُفْرِهما»[٢].

٢ [١٣٩/أ]

والآيةُ مخصوصة/ قطعًا في الأنبياء، عامَّةٌ في سائر الطيِّبين من الخلق، فقد يكون الرجلُ عفيفًا ولكن امرأته غير عفيفة.

والذي أعتقدُه في ذلك أنه لا يكون إلَّا[٣] طيِّبًا، فيعاقبه الله على ما اقترف من الخطايا في فراشه أو في[٤] ذريته، كما يصون فراشه وذريته بالصلاح، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨١]، فيقال: «إنهما حُفِظَا في حُرمة الجد السَّابع»[٥]، ولكن خَرَجَ الكلامُ مخرج الغالب من الأحوال.

وأمَّا إذا تأوَّلنا الأقوال والأعمال والأموال فإنها على العموم لا تخصيص فيها، والأَصْلُ في هذه الثلاثة وخُبْثِها[٦] وطِيبِها القَلْبُ.

وقال[٧] مولى لقمان للقمان: «جئني بأطيب بضعة في الجزرة، فجاءه بالقلب، وقال له يومًا آخر: جئني بأخبث بضعة في الجزرة، فجاءه بالقلب، فعَلِمَ حكمته».

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي ﷺ.

(٢) سلف تخريجه.

(٣) سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٤) لم ترد في (ص) و(ب) و(ك).

(٥) سلف تخريجه.

(٦) في (د): جنتها.

(٧) في (ص): وقيل: قال مولى لقمان، وفي (ب) و(ك): وقال: قال مولى لقمان.

وقال النبيُّ حكيمُ الخلق وسَيِّدُهم: «أَلَا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صَلَحَ الجسد، وإذا فسدت فَسَدَ الجسد؛ أَلَا وهي القلب»[١].

وقال النبي ﷺ: «وهل يكب الناس في النار[٢] على مناخيرهم إلَّا حصائد ألسنتهم»[٢].

ولهذا كان الخلاف واقعًا بين الناس في الصمت والكلام؛ أيهما أفضل؟ فمذهب الطائفة الأدبية والتاريخية أن الكلام لو كان من فضة لكان الصمت من ذهب، ولو كان الكلام من ذهب لكان الصمت دُرًّا وياقوتًا[٣].

قلت للطُّرْطُوشِي: ما تقول في هذا[٤]؟

قال: الكلام أفضل.

ولا شك في هذا للمحقق[٥]، والدليل عليه أن الكلام صفة الخالق، والصمت صفة المخلوق، وما كان صفة للخالق فهو أفضل مِمَّا يتصف به المخلوق وحده.

قال الإمام الحافظ[٦]: وهذا إنَّما أخذه من الذي قدَّمنا عن أبي علي الدقَّاق الصوفي؛ أنه قال: «الغنى أفضل من الفقر؛ لأن الغنى صفة الحق، والفقر صفة الخلق»[٧].

---

(١) سلف تخريجه. (٢) قوله: «في النار» سقط من (د) و(ب).

(٢) سلف تخريجه.

(٣) ينظر: روضة العقلاء لابن حبان: (ص٤٤).

(٤) في (ص) و(ك): في هذا الكلام.

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): المحقق.

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رضي الله عنه، وفي (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه.

(٧) سلف تخريجه.

وإنَّما ذهب من تكلَّم عليه من الغَفَلَةِ الأُدبَاءِ والمُـؤَرِّخِينَ إلـى مـا رأى من كثرة[١] آفات الكلام، وأن السَّلامة في الصمت.

وفي الحقيقة: قد يكون الهلاكُ في الـصمت؛ إذا سكت عـن الإيمـان وقَوْلِ الحق حيث يجـب عليـه، ولكـن الكـلام كثيـر الآفـات لـشَرَفِه، فلمَّا كثرت آفاتُه عَسُرَ على المُقَصِّرِينَ تجريدُه عنها؛ فصاروا/ يتهـافتون عليهـا ولا يُخَلِّـصُونَهُ[٢] منهـا، فهربُـوا إلـى الـسكوت، وإلَّا فـلا[٣] يجهـل مُحَـصِّلٌ أن الكلام أفضل، ولأجل كثـرة آفاتـه قـال ابـن مـسعود: «مـا رأيـتُ شيئًا أحـق بطُولِ سِجْنٍ من لسان»[٤]. [١٣٩/ب]

ومن الحكمة: «إيَّاك أن يضرب لسانُك عنقَك»[٥].

وفـي البخـاري عـن أبـي هريـرة: أن النبـي قـال: «إن الرجـل ليـتكلَّم بالكلمة ما يُلْقِي لها بالًا؛ يهوي بها في النار سبعين خريفًا»[٦].

شُرُوطُ التوبة:

ولا تصح التوبـة للمرء إلَّا بـأن ينـدم علـى مـا فـرَّط، ويعـزم علـى ألَّا يفعل في المستقبل، ويؤدي الحقوق التي تعدَّى فيها إلى أربابها إن عَلِمَهُـمْ، وإلَّا تصدَّق بها عنهم، وكل معصية - ما عدا شرب الخمر - مُتَعَلِّقٌ[٧] بهـا

---

(١) في (د): كر.

(٢) في (ص): يحصلونه.

(٣) سقط من (د).

(٤) روضة العقلاء لابن حبان: (ص٤٨).

(٥) الأمثال لأبي عُبَيد: (ص٤١).

(٦) سلف تخريجه.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): يتعلق.

حَقُّ الآدَمِيِّ، ولكن لا يحسن في بعضها أن يخرج عنه إلى أربابه، مثل أن يزني بقريبة أحد، فلله حَقٌّ في الزنى؛ وهو[١] تحريمُه له، وللعبد فيه حَقٌّ، وهو ما يلحقه من العار في عِرْضِه، فإذا ارتكب أَحَدٌ زِنًى ثم تاب إلى ربه فلا ينبغي أن يقول لرجل: «زنيتُ بقريبتك فاجعلني في حِلٍّ»، ولكن يفعل من الخير ما أمكن، عسى أن يقابل ذلك ويوازنه، وغير ذلك من الحقوق يخرج إلى ربِّها عنها مُصَرِّحًا بها، ويستغفره فيها، وحينئذ يكون من «المستغفرين».

* * * * *

(١) في (د): هي.

وهو الاسمُ السَّابع ومائة[١]: المستغفر[٢]

[وهو ما يطلبون][٣] من المغفرة[٤]؛ فإنه لا يكون طالبًا لها[٥] إلَّا إذا هيَّأ أهليتها، وطهَّر محلَّها، وأخرج ثمنها، وإلا فكيف يصحُّ له طلبها؟

وقد أنشدناكم مِرَارًا قول بعضهم:

أستغفر الله مِن أستغفر الله ... من لفظة صدرت خالفتُ معناها

وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد ... سددتُ بالذنب عند الله مجراها[٦]

فإن قيل: فهل يصح من المُصِرِّ على الذنب المُسْتَمِرِّ العزيمة[٧] على فِعْلِه أن يطلب المغفرة؟

قلنا له: نعم، بل يلزمه ذلك ويتعرَّض له، ويسأله فيه، وبذلك يزول عنه معظم الإصرار؛ فإن العاصي إذا كان مُنْهَتِكًا[٨] بعصيانه مُنْهَمِكًا في

---

(١) في (ب): السَّابع والتسعون، وفي (ص): الثامن والتسعون، وفي (ك): السَّادس والمائة.

(٢) سقط من (ص) و(ك)، وفي (ب): المستغفر: وهو الاسم.

(٣) في الأصل غير واضح، وما أثبته اجتهدت في قراءته، والله أعلم.

(٤) قوله: «وهو ما يطلبون من المغفرة» سقط من (ص) و(ب) و(ك).

(٥) في (ص) و(ب) و(ك): المغفرة، وضرب عليها في (د)، والمثبت من طرته.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في (د): على العزيمة.

(٨) في (ك): متهتكًا.

خذلانه مُتَمَادِيًا على طغيانه مُسْتَمِرًّا على غُلَوَائِه كان من جملة المعرضين عن الله الذين[1] أعرض الله عنهم، ومن الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ومن الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وهو شخص يُخاف عليه سوء الخاتمة.

٢ [١٤٠/أ]

وإذا عصى واستغفر كان من اللوَّامين،/ ورُجِيَ له الخروج عن الفتنة بما هو عليه؛ الفينة بعد الفينة، فإذا كانت فينة[2] في معصية وفينة[3] في استغفار رُجِيَ له تأثير القلب بالانكفاف، ومن الحسن له أن يسأل في الدعاء غيره ممَّن يرجو عنده بركته؛ من ذي موَّدة أو ذي صلاح.

ومن الحديث الصحيح: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون ويغفر لهم»[4]، وهذا صحيح صحيح.

المعنى: فإنه غفَّار؛ فلا بد أن يكون هنالك ذنب يُغْفَرُ.

ومن الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «إذا قال العبد: اللهم اغفر لي، قال الله: عَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، قد غفرت له»[5].

وفيه: أن النبي ﷺ[6] قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السَّماء[7] الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر، - وفي رواية: حين يذهب ثلث الليل الأوَّل-

---

(١) في (د): الذي.

(٢) في (د): فيئة.

(٣) في (د): فيئة.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ك): صلى الله عليه.

(٧) في (د): سماء.

فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[(١)].

وقد عَلَّمَ النبي سيِّد الاستغفار، فقال: «اللهم أنت ربي، لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوأ لك بنعمتك علي، وأبوأ بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[(٢)].

وقد صحَّ وثبت أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة وكبَّر يقول[(٣)] بعد التكبير: «وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٤-١٦٥]، اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، سبحانك، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلَّا أنت، لبَّيك وسعديك، وأنا بك وإليك، لا منجى منك ولا ملجأ إلَّا إليك، أستغفرك وأتوب إليك -ثم يقرأ-، فإذا ركع كان كلامه في ركوعه أن يقول: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وأنت ربي؛ خشع سمعي وبصري ومُخِّي وعظْمي لله رب العالمين، فإذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، ثم يتبعها: اللهم ربنا ولك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) و(ص): كبر فيقول.

[١٤٠/ب] بعد، وإذا/ سجد قال في سجوده: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، أنت ربي؛ سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره[١]، وشقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، ويقول عند انصرافه من الصلاة: «اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي، لا إله إلَّا أنت، من قالها من النهار مُوقِنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمْسِيَ فهو من أهل الجنة، ومن قالها بالليل وهو مُوقِنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[٢].

وكان النبي يقول في دعائه: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه، علانيته وسِرَّه»[٣]، «اللهم اغفر لي جِدِّي وهزْلي، وخطئي وعمْدي، وكل ذلك عندي»[٤].

وقال له أبو بكر الصديق: «يا رسول الله، عَلِّمْنِي دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: قل: سبحانك اللهم وبحمدك، رَبِّ إني ظلمت نفسي

---

(١) سقطت من (ص) و(ب) و(ك).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب ﷺ: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بابُ الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٧١-عبد الباقي)، وقوله: «من قالها من النهار مُوقِنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمْسِيَ فهو من أهل الجنة، ومن قالها بالليل وهو مُوقِنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»؛ هو من حديث آخر، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقم: (٦٣٠٣-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٣-عبد الباقي).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم: (٢٧١٩-عبد الباقي).

وعملتُ سوءًا، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

[استغفارُ موسى عليه السَّلام]:

قال الإمام الحافظ[٢]: وهذا كله اقتداء بمن سَلَفَ من المصطفَيْن الأخيار، قد قال الكليم بعد رُقِيِّ المنزلة وعُلُوِّ المرتبة: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف:١٥١]، إشارة إلى وجوب الاستغفار في عموم الأحوال؛ لعِلْم الخلق بأن لله أن يعذب البريء في حُكْمِ سلطانه، وأن يأخذ بالذنب الواحد العبد في جميع زمانه[٣].

فأمَّا موسى فكان[٤] [استغفارُه] تجديدًا للمغفرة واستدامة لها.

وأمَّا لهارون فكانت لما توقَّع من التقصير عليه في خلافته له أيَّان مغيبه للكلام.

وقد كان سؤال المغفرة تقدَّم من موسى حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٥]، هذا؛ وما كان ذلك الذنب إلَّا خطأً، فقال موسى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [القصص:١٦]، يعني[٥]: من التوبة، فلا أعود إلى مثل ذلك الفعل بعدها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، رقم: (٦٣٢٦-طوق).

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب) و(ك): قال الإمام الحافظ ﷺ.

(٣) يظر: لطائف الإشارات: (١/٥٧٣).

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، ولا يظهر منه شيء.

(٥) سقطت من (ص) و(ك).

[استغفارُ داود عليه السَّلام]:

وكذلك داود؛ استغفر ربه من ذنبه، وما كان ذنبه إلَّا أمرًا جائزًا، لم يكن مكروهًا ولا حرامًا، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص:٢٢]، وليس على الرجل حرج في أن يقول لصاحبه: «طَلِّقْ لي زوجتك[١]»، بل هذا من تمام المودة، ومن حكم التبسط في المحبة[٢].

فإن قيل: فكيف[٣] قال: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾؟

قلنا: المعنى: وعزَّني بمنزلته؛ فإنه رأى أنه نبي وكريم، وذو حق مَرْعِي، وصاحب/ ووَلِي، فأمضى[٤] ذلك كله قضاء الحاجة. ٢ [١٤١/أ]

[الأميرُ سَيْرُ بن أبي بكر]:

وقد أمليتُ عليكم أنه كان عندنا أَمِيرٌ أعجمي[٥]؛ فقلت له: اطلب لي من فلان حاجة، فقال: أَمَا علمت أن طلب السلطان للحاجة غصب، فقلت: إذا كان ظالمًا، فأمَّا إذا كان عدلًا مأمون الجانب فهي صلة، فعَجِبَ من هذا

---

(١) في (ك): زوجك.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٦٣٦).

(٣) في (ص) و(ك): وكيف.

(٤) في (ك) و(ص): فاقتضى.

(٥) الأمير الأَجَلُّ، والمجاهد الكريم، سيْر بن أبي بكر، أبو محمد اللَّمتوني، قدَّمه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على بلاد الأندلس، وبه استنزل ملوكها واستذلَّهم، وكان دخوله إشبيلية فاتحًا عام ٤٨٤هـ، وكانت له محاسن جمة، مع العدل والقسط والنجدة، توفي عام ٥٠٧هـ، أخبارُه في: البيان المغرب لابن عذاري: (٤/٥٦-٥٧)، والوافي بالوفيات: (٢٩/٧٧).

الجواب وسبَّح وهلَّل، كما عجبتُ أنا من فِقْهِهِ ومعرفته بهذه الأغراض على عُجْمَته، وكان من سادة فرقته[١].

[الاستغفارُ بالأسحار]:

وأفضلُ أوقات[٢] الاستغفار[٣] السَّحَرُ، إلَّا على ما بيَّنَّاه من نزول الرب فيه، من الإمساك إلى الإجابة، فعبَّر عنه بنزوله إلى السماء الدنيا؛ خزانة الأرزاق، ومبدأ البركة.

[استغفارُ يعقوب عليه السَّلام]:

وقد قيل في قوله تعالى مُخْبِرًا عن يعقوب[٤]: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[٥] [يوسف:٩٨]: إنَّه أخَّر لهم الاستغفار لأحد ثمانية أوجه:

الأوَّل: أنه[٦] لم يتفرَّغ للاستغفار لأجل الاستبشار[٧].

الثاني: لم يمكنهم[٨] للوهلة، لما سبق لهم من سوء الفَعْلَةِ[٩].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٦٣٣).

(٢) في (د) و(ص): الأوقات.

(٣) في (د) و(ص): للاستغفار.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): ليعقوب، وضرب عليها في (د).

(٥) لم ترد الآية في (ك) و(ب) و(ص)، وفي (د): سأستغفر.

(٦) سقط من (د).

(٧) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٧).

(٨) في (د) -أيضًا-: يجبهم.

(٩) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٧).

الثالث: أن الحق لم يكن له وحده، وإنما كان ليوسف معه، وكان غائبًا، فأراد أن يَحْضُرَ لِيَطِيبَ المحضر والمخبر، ويوسف كان الحق له، فوهبه على الفور[(١)].

الرابع: لم يعلم يعقوبُ بمغفرة يوسف.

الخامس[(٢)]: أن يوسف فتى، والفتوة أقرب إلى الانفعال من المشيخة[(٣)].

السَّادس: أنه أراد نية خالصة.

السَّابع: أنه أراد وقتًا صالحًا فأخَّرهم إلى السَّحَرِ[(٤)].

الثامن: أنه لم يكن على طهارة، وإنما يكون الاستغفار والدعاء كاملًا إذا كان الداعي والمستغفر[(٥)] مُتَطَهِّرًا[(٦)].

[فوائدُ الاستغفار]:

فوائد الاستغفار كثيرة، أمهاتها عشرة[(٧)]:

غفرانُ الذنوب؛

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٢٠٨).

(٢) الكشف والبيان: (٥/٢٥٧).

(٣) في (د) -أيضًا-: الشيخ.

(٤) تفسير الطبري: (١٦/٢٦١-شاكر).

(٥) سقط من (ك).

(٦) في (ب): متطهرين، وفي (د): متطهر.

(٧) في (ك): عشر، ومرَّضها في (د)، وفي الطرة: ثمان، وصحَّحها، وما ورد منها في نسخته كما صحَّحه، فلعلَّ القاضي جعلها كذلك في نسخته الأخيرة، ومع ذلك أثبتناها عشرًا، والله أعلم.

ستر العيوب؛

إدرار الرزق؛

سلامة الخلق؛

العصمة في الاستقبال؛

تأتِّي الأمل؛

جريان البركة في الأموال؛

قرب المنزلة؛

إجابة الدعوة؛

بذل الجنة[١].

وفي كُلٍّ واحدٍ آيةٌ وحديثٌ[٢].

[الاستغفارُ للغير]:

رُوي: أن عبد الله بن عمر قال له ابنُ عامر -أمير البصرة-: «ادع لي، فقال له[٣]: سمعتُ رسول الله يقول: لا صلاة إلا بطهور، ولا صدقة من غُلول»[٤].

---

(١) قوله: «إجابة الدعوة، بذل الجنة» لم يرد في (د).

(٢) في (ك): وفي كل واحدة آية أو حديث، وفي (ص): وفي كل واحدة آية وحديث.

(٣) سقط من (ك).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، رقم: (٢٢٤-عبد الباقي).

وقال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: «استغفر لأخي[١] أبي عامر، وقد كان استشهد بأوطاس، فتوضأ النبي ﷺ، ورفع يديه فقال: اللهم اغفر لأبي عامر»[٢].

[استغفارُ رسول الله]:

٢ [١٤١/ب]

وقد قدَّمنا أنه ﷺ[٣] قال: «إنه[٤] ليُغان على قلبي؛ فأتوب إلى الله/ في اليوم مائة مرة»[٥].

ورُوي عنه[٦]: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة[٧]»، وفي رواية: «سبعين مرة»[٨].

وكل ذلك بحسب ما كان يُرى من مواظبته، فتارة كانت أكثر؛ فيكون الاستغفار أقل، وربما كانت في بعض الأحايين[٩] أقل من[١٠] غيرها[١١] منها في أوقات، فيزيد في الاستغفار، وذلك تعليمٌ لنا، والله أعلم.

---

(١) هو عمه، وليس بأخ له.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، رقم: (٤٣٢٣-طوق).
(٣) في (ك): صلى الله عليه.
(٤) في (د): إني.
(٥) تقدَّم تخريجه.
(٦) سقطت من (ك).
(٧) سقط هذا الحديث من (ص).
(٨) سبق تخريجه.
(٩) في (ك) و(ب) و(ص): الأحاين.
(١٠) في (ك) و(ب) و(ص): في.
(١١) قوله: «من غيرها» مرَّضه في (د).

قال الإمام الحافظ[١]: وإذا سأل المغفرة فليقرن بها سؤال الرحمة، كما فعل الكليم في شأنه وشأن أخيه هارون، وكما علَّم النبي للصِّدِّيق؛ فإن المغفرة إسقاطُ الحق الواجب عليكم، والرحمة إفاضة الإحسان إليكم بجزيل الثواب وكريم المآب، ودخول الجنة، والنظر إلى وجهه الكريم.

وفي الحديث الصحيح: «إن الله خلق مائة رحمة، بثَّ منها في الخلق واحدة؛ فبها يتراحم الخلق، وبها ترفع البهيمة حافرها عن ولدها، فإذا كان في القيامة انتزعها منها وردَّها إلى التسعة والتسعين وبثَّها في الخلق»[٢].

وفي الصحيح: «إن رحمتي غلبت غضبي»[٣].

ومن الحديث الحسن: «أنَّ النبي نزل في بعض مغازيه فألفى أحدُ أصحابه وَكْرًا، فأخذ فراخه فلفَّها في كسائه، فأقبلت أمهن فاستدارت علي، فكشفتُ لها عنهن فوقعت عليهن، فجئتك بهن، فأمر النبيُّ بردها مع فراخها إلى مكانها، وقال: أترون رحمة هذه بأولادها؟ فالله أرحم من هذه بأولادها»[٤].

فإن قيل: وكيف رَدَّهَا النبيُّ ﷺ إليها وهو أَمْرٌ قد يسَّره الله لواجده؟

قلنا: أجاب الناس عن ذلك بجوابين:

أحدهما: أن الحيوان كان ممَّا لا يؤكل؛ كَذِي مِخْلَبٍ من الطير، وهذا الجواب على قول[٥] من يرى تحريمها.

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

الثـاني: أن النبـي ﷺ كـان مـع قـوم قـد غلبـت علـيهم الجفـوة، واسـتولت علـى قلـوبهم القـسوة، فـأراد النبـيُّ ﷺ أن يُكْـسِبَهم الرقـة ويُعَوِّدَهم الرحمة.

وقد ثبت عن النبي من كل طريق من الصحيح، وعند كـل فريـق مـن الحسن وغيره: أن النبي ﷺ قال: «لله[١] أفـرح بتوبـة العبـد حـين يتـوب مـن أحدكم كان بأرض فلاة على راحلته فانفلتـت منـه؛ وعليهـا طعامـه وشـرابه، فأَيِسَ منها، فأتى/ شجرة فاضطجع في ظلها، قـد أيـس مـن راحلتـه، فبينمـا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، - وفي رواية: فنام فاستيقظ[٢]؛ فإذا هو[٣] بها عند رأسه - فقال من شدة الفرح: اللهـم أنـت عبـدي وأنـا ربـك، أخطـأ من شدة الفرح»[٤].

٢ [١٤٢/أ]

وقـال ﷺ - فـي حـديث طويـل، حاكيًـا عـن ربـه عـز وجـل[٥]-: «يـا عبـادي؛ إنكـم تخطئـون بالليـل والنهـار، وأنـا أغفـر الـذنوب جميعًـا، فاستغفروني أغفر لكم»[٦].

---

(١) في (ك): الله.

(٢) في (د): ثم استيقظ.

(٣) سقط من (د).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم: (٢٧٤٧-عبد الباقي).

(٥) قوله: «حاكيًا عن ربه عز وجل» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذَرٍّ ﷺ: كتـاب البـر والـصلة والآداب، بـاب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٧٧-عبد الباقي).

وقال النبي: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسِيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب[١] مسيء[٢] الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[٣].

وقال صلى الله عليه[٤]: «إن العبد إذا اعترف ثم تابَ تاب الله عليه»[٥].

وقال ﷺ: «إنَّ عَبْدًا أذنب ذنبًا فقال: ربِّ أذنبت فاغفر[٦] لي، فقال ربه: علم[٧] عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بها، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا، فقال: رب أذنبت فاغفر[٨] لي، فقال: أعلم[٩] عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بها؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا، فقال: رب أذنبت آخَر فاغفره لي[١٠]، فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بها؟ غفرتُ لعبدي، فليعمل ما شاء»[١١].

---

(١) لم ترد في (ك).

(٢) في (ك): لمسيئ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكرَّرت الذنوب والتوبة، رقم: (٢٧٥٩-عبد الباقي).

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): ﷺ.

(٥) هو قطعة من حديث الإفك، وقد تقدَّم تخريجه.

(٦) في (ك) و(ب) و(ص): فاغفره.

(٧) في (ص): علم.

(٨) في (ك) و(ب) و(ص): فاغفره.

(٩) في (ك) و(د): أعلم.

(١٠) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(١١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم: (٢٧٥٨-عبد الباقي).

قال الإمام الحافظ[١]: ويحتمل هذا أن يكون ذلك الذنب بعينه، ويحتمل أن يكون غيره، وهو عندي أظهر في الكلام المتقدم، وأقرب إلى المراد من المغفرة.

وعن جُنْدُبٍ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله: من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألَّا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك، أو كما قال»[٢].

ومن الحديث الحسن: قال النبي ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضِيقٍ مخرجًا، ومن كل هَمٍّ فَرَجًا، ورَزَقَهُ من حيث لا يحتسب»[٣]، وهذا الحكم مُعَلَّقٌ في القرآن على التقوى، فربُّك أعلم بهذا الحديث.

وقال النبي صلوات الله عليه وسلامه[٤]: «ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة[٥]»[٦].

---

(١) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن جندب رضي الله عنه: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، رقم: (٢٦٢١-عبد الباقي).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتاب الصلاة، بابٌ في الاستغفار، رقم: (١٥١٨-شعيب)، وفيه: الحَكَمُ بن مصعب، مجهولٌ لا تعرف حاله، ينظر: بيان الوهم لابن القطَّان الفاسي: (٤/٦٥٠).

(٤) أوردتها من (ب).

(٥) لم يرد هذا الحديث في (ص).

(٦) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم: (١٥١٤-شعيب).

وقال النبي ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت؛ حتى تعلو قلبه، فذلك الرَّانُ الذي ذَكَرَ الله؛ ﴿كَلاَّ بَل رَّانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]»[١].

[١٤٢/ب] وقد ثبت عن النبي أنه قال: «الجنةُ أقرب إلى أحدكم من/ شِراك نعله[٢]، والنارُ كذلك»[٣].

والجنة دارٌ مُطَهَّرَةٌ فلا يدخلها إلَّا «طاهر».

* * * * *

(١) أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة المطففين، رقم: (٣٣٣٤-بشار).

(٢) سقط من (ك).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك، رقم: (٦٤٨٨-طوق).

الطَّاهِرُ[١]: وهو الاسمُ الثامنُ والمائة[٢]

والطهارة في العربية هي: النظافة من كل مُسْتَنْجَسٍ[٣] مُسْتَخْبَثٍ مُتَكَرَّهٍ[٤]؛ كان محسوسًا أو معقولًا.

وطهارة المحسوس والمعقول الماء، إلَّا أن المحسوس يُطَهِّرُه الماء المنزل من السماء، وطهارة المعقول تكون بالماء الذي ينزل من العين، والماء يطفئ النار؛ فلا يَحُولُ بين ابنِ[٥] آدم وبين النار شيءٌ مثل البكاء، كما قال النبي: «عينان لن تمسهما النار أبدًا؛ عين سهرت في سبيل الله، وأخرى عين بكت من خشية الله»[٦].

وكما لا يُطَهِّرُ المستخبثَ المعقولَ إلا ماءُ الدموع، كذلك لا يُطَهِّرُ المستنجسَ المستخبثَ المحسوسَ إلا ماءُ السماء، وهذا أَمْرٌ غاب على[٧]

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): التاسع والمائة، وفي (ب): الثامن والتسعون، وفي(ص): التاسع والتسعون.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): متنجس، وضعَّفها في (د)، والمثبت من طرته.

(٤) في (ب): مستكره.

(٥) في (ك): بني.

(٦) تقدَّم تخريجه.

(٧) في (ك) و(ب): عن.

أهل العراق ومن قال بقولهم؛ حين قالوا: «إن المائعات غير الماء تُطَهِّرُ»[١]، وهيهات لهم هيهات.

وإذا كان الخُبث الذي[٢] في المحل[٣] المحسوس لا يُطَهِّرُهُ الماء طهَّره التبديل، كذلك المستخبث المعقول يُطَهِّرُه التبديل، وذلك بالنار؛ حتى إذا صارت حُمَمًا وزال ما كان به من الصفات التي سَدَكَ به[٤] الخبث طُهِّرَ بماء الحياة[٥]، واستُنبت نبتة[٦] أخرى مطهَّرة[٧]، كما بيَّنَّاه في حديث الشفاعة[٨] في صدر الكتاب[٩].

فطَهِّرْ نفسك بماء التوبة، قبل أن تفوتك الإنابة والأوبة؛ فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٠].

قال أهل الزهد: «التوابين من الذنوب، المتطهرين من العيوب؛ من مخالطة شبهة، أو ملابسة غفلة»[١٠].

---

(١) الإشراف للقاضي عبد الوهاب: (١٠٨/١).

(٢) سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٣) في (د): الخل.

(٤) في (ص): بها.

(٥) في (د): طهرتها الحياة.

(٦) في (ك): بنية.

(٧) في (د) -أيضًا-: وأنشئت فيه صفة أخرى مطهرة.

(٨) سبق تخريجه في السفر الأوَّل.

(٩) في السفر الأول، المقام الثالث.

(١٠) لطائف الإشارات: (١٧٨/١).

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة:٢٣٠]، وهذه هي الطهارة المعقولة؛ فإنه ليس هنالك نجاسة، وإنما يحصل المرءُ في دَنَسٍ في الدين، وربَّما آلَ إلى دَنَسٍ معقول -أيضًا- في الدنيا؛ من التعريض للفاحشة، فيكون عِرْضُ المرء وَسِخًا غير طاهر ولا نقي، وقد بيَّنَّا ذلك في تأويل قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] قبل هذا.

وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران:١٥]، وأولئك هم المطهرات، وتلك هي الطهارة المحسوسة حقيقة، كما بيَّنَّاه في صفة الجنة، كما أنه ليس هنالك طهارة معقولة[2] حقيقة[3] إلَّا قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[4]، على ما يأتي بيانُه إن شاء الله[5].

[طهارةُ مريم عليها السَّلام]:

وقد[6] قال لمريم[7]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ [آل عمران:٤٢].

قال النبي: «مريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها[8]»[9].

---

(١) [المدثر:٤].

(٢) في (د): مقبولة.

(٣) قوله: «كما بيناه في صفة الجنة .. معقولة حقيقة» سقط من (ب).

(٤) [المدثر:٤].

(٥) قوله: «وقال تعالى: ﴿وأزواج مطهرة﴾ .. إن شاء الله» تقدَّم في (ك) و(ب) على ما أثبتنا.

(٦) سقط من (ك) و(ص).

(٧) في (ب): يا مريم.

(٨) قوله: «وخديجة سيدة نساء عالمها» سقط من (ص).

(٩) أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه عن علي ﷺ: كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ، رقم: (٣٨١٥-طوق)، ولفظه فيه: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة».

٢

[١٤٣/أ] وكان اصطفى[١] مريم بإفرادها/ عن أشكالها، واصطفاها من المعصية، واصطفاها من الخُلطة، واصطفاها بأن نَفَخَ فيها من روحه، وطهَّرها من المعاصي والفحشاء، وطهَّرها من دماء النساء؛ فخرج عيسى فَصِيلًا غَسِيلًا، دَهِينًا نَظِيفًا، ولم يكن منها ما يكون من النساء، فلم تُشْبِهْكِ امرأة، ولا تشبهك[٢] إلى يوم القيامة، وهذا هو الاصطفاء للخلق[٣]، وكان لثلاثة؛ لمُحَمَّدٍ، وإبراهيم[٤]، ومريم، وقد بيَّنَّاه في كتاب «الأنوار».

[خصائصُ عيسى عليه السَّلام]:

وقال الله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٤].

فخصَّه بأربعة:

الأولى: قَوْلُه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، واختلف الناسُ فيه؛

فمنهم من قال: «وفاة الموت»[٥]؛ وأسندوه إلى ابن عباس، ولم يصح.

ومنهم من قال: «وفاة القبض»[٦].

---

(١) في (ك) و(ب): اصطفاء.

(٢) في (د): أشبهتها.

(٣) في (ك) و(ب) و(ص): المحقق.

(٤) في (ك) و(ب) و(ص): سليمان، ومرَّضه في (د)، والمثبت من طرته.

(٥) تفسير الطبري: (٦/٤٥٧-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (٦/٤٥٥-شاكر).

والصحيح أنها وفاة قبض لا وفاة موت، حتى لقد رُوِي: «أنه توفي ثلاث ساعات من النهار فرفعه[١] الله فيها»[٢]، وهذا تحكم بغير أثر، أوقعهم فيه لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، والدليلُ على صحة ما قلناه قَوْلُ النبي ﷺ في الصحيح: «لينزلنَّ فيكم ابنُ مريم حَكَمًا مُقْسِطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويَفيض المال فلا يقبله أحد، وليُهِلَّنَّ على الروحاء حاجًّا أو مُعْتَمِرًا، أو ليُثَنِّيَنَّها[٣]، الأنبياء أولاد عَلَّاتٍ، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لم يكن بيني وبينه نبي»[٤].

ومن الحسن: «وهو خليفتي على أمتي، وإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجل مَربوع إلى الحمرة، سبط الشعر، يقطر ماء وإن لم يصبه بَلَلٌ، بين مُمَصَّرتين، يقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها، ويُهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الدجال الكذاب، وتقع في الأرض الأَمَنَةُ؛ حتى يرتع الأُسْدُ مع الإبل، والنمور مع البقر، والغنم مع الذئاب، ويلعب الغلمان بالحيَّات، تُذْهَبُ[٥] حمتها[٦]، لا يضر بعضهم بعضًا، فيلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتَوَفَّى، ويصلي المسلمون عليه ويدفنوه»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): ورفعه، وفي (ب): رفعه.

(٢) تفسير الطبري: (٦/٤٥٧-شاكر)، عن وهب بن منبه.

(٣) في (ك): ليثينها، وفي (ص): ليثينهما.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي هريرة ﷺ: (٦/٤٥٨-شاكر)، وأصله في الصحيح، أخرجه مسلم في مواضع من صحيحه: كتاب الإيمان، رقم: (١٥٥-عبد الباقي)، وكتاب الحج، رقم: (١٢٥٢-عبد الباقي).

(٥) في (ك) و(ص): وتذهب.

(٦) في (ب): حمته.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي هريرة ﷺ: (٦/٤٥٩-شاكر).

قال الطبري: «وهذا نصٌّ في أنه حيٌّ من وجوه؛ منها: قوله: «لينزلنَّ»، ولو كان مَيِّتًا لقال: «وليُحْيِيَنَّ الله عيسى»، ولكن الله لمَّا أخبر عنه أنه قبضه من الأرض أخبر عنه النبي أنه سيرجع إلى الموضع الذي رُفِعَ منه»(١).

الثاني: قوله: ﴿وَرَافِعُكَ﴾، وهذا تشريف له؛ لأنه كان يجوز أن يتوفَّاه منهم ولا/ يرفعه إليه، فشرَّفه بأن رفعه إليه مقبوضًا عنهم. ٢ [١٤٣/ب]

الثالث: قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: مُذْهِبٌ عنك ما هَمُّوا به فيك من المكروه، كما قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٦]، أي: ما قتلوه حقيقة، ولكن شُبِّهَ لهم فتنة.

وقال أهل الزهد: «أمَّا تَوَفِّيه عنهم فإنه قَبَضَهُ عن صفات البشرية، وجعل فيه خصائص القدرة؛ من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والتحديث عن الغيب»(٢).

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، يعني: إلى مكان كرامتي لأوليائي، ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾، أي: من حال الكفار في جميع الصفات والأغيار، حتى لا يكون في أحد نَقْصٌ إلَّا جعلتُ له كمالًا أعظم من كل كمال، وهو(٣):

الرابع: قَوْلُه: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

---

(١) تفسير الطبري: (٦/٤٥٨-شاكر).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٢٤٥-٢٤٦).

(٣) بعده في (ك) و(ص): الثالث، وضرب عليه في (د)، وقوله: «وهو» لم يرد في (ب).

واختلف الناس في المراد «بالذين اتبعوه» على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المؤمنون[١].

والثاني: الروم[٢].

الثالث: جاعلُ النصارى الذين آمنوا به فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيامة[٣].

فإن كان المراد به النصارى واليهود فالخَبَرُ على عمومه، ومُطْلَقُهُ صحيح صِدْقٌ؛ فإنَّ الحال كذلك، ما اجتمعت قط يهود ونصارى في بلد إلَّا والنصارى فوقهم فيه.

وكذلك إن كان المراد به الروم؛ فإنهم طائفة عيسى وأمته، كما قدَّمنا.

وإن كان المراد به مَن آمن به فيكون معناه: أنهم فوق الذين كفروا بالبرهان، كما قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٠]، المعنى: في البرهان، فإن ظهرت الكَفَرَةُ على المؤمنين في اليد فلم يظهروا عليهم في الحق؛ لأن الدليل لا ينقلب، والحق لا يُغلب، أَمَا إنه يُنْكَرُ ويُكْفَرُ.

فطهارتُه منهم - كما بيَّنَّا - بثلاثة أوجه؛ ببدايته العالية، وصفاته الهادية، وعصمته الكافية.

---

(١) تفسير الطبري: (٦/٤٦٢-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٦/٤٦٣-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٦/٤٦٣-شاكر).

وكذلك طَهَّرَ مُحَمَّدًا ﷺ.

فإن قيل: فإن كان هذا تطهيرًا[١] لعيسى؛ فكيف لم يُطَهَّرْ يحيى بن زكرياء حتَّى[٢] تمكَّن منه الأعداءُ وتحكَّموا فيه بأشد أنواع العذاب؟

قلنا: إن الله سبحانه يعصم من شاء من الخلق من الذنوب والبلاء جميعًا، فمنهم من يجمع له العِصْمَتَيْنِ، ومنهم من يعصمه من البلاء خاصَّة، ومنهم من يعصمه من الذنوب خاصَّة.

فأمَّا الأنبياء فهم معصومون من الذنوب، على ما بيَّنَّاه في مواضع من[٣] هذا الكتاب.

وأمَّا العصمة من البلاء فإن البلاء على قسمين:

منها[٤]: ما يكون من الله ابتداءً، كالأوصاب، والآفات البدنية والمالية.

ومنها: ما يكون على يَدَيِ الأعداء يُسَلِّطُهم[٥].

ولو شاء ربك[٦] لعَصَمَهُمْ، ولكنه فعَّال لما يريد، حكيم فيما يُدَبِّرُ[٧]، عَدْلٌ فيما يُنفِذ، مُتَفَضِّلٌ بما يَعْصِمُ.

---

(١) في (د): تطهير.

(٢) في (ك): حين.

(٣) سقط من (د).

(٤) في (ك): منه.

(٥) في (ك): بتسلطهم.

(٦) لم يرد في (ك).

(٧) في (د) و(ب): يريد.

وكم من نَبِيٍّ قُتِل، وكثير منهم نُصِر وظَفِر، فإذا عُصِم وظَفِر فَفَضْلٌ آتَاهُ الله، كعيسى وإبراهيم ونُظرائهما[١].

وإذا سلَّط الأعداءَ ومكَّن فحُكْمٌ أمضاه؛ كيحيى وأمثاله، وعليهم وعلينا التسليم والرضى[٢] بما ينفُذ في ذلك كله[٣] من القضاء[٤].

[تطهيرُ عامر بن فُهَيرة]:

٢ [١٤٤/أ]

وقد طهَّر الله من هذه الأمة ورَفَعَهُ إليه عامر بن فُهَيْرَةَ،/ كان في غزوة بئر معونة؛ غزوة القُرَّاء، فغدرت بهم عُصَيَّةُ وقوم معها، وقتلوهم، وطَعَنَ جبَّار بن سُلم[٥] عامر بن فُهَيرة، فقال: «فُزْتُ ورَبِّ الكعبة، قال قاتله جبَّار بن سلم[٦]: فقلتُ في نفسي: ما قوله: فزت ورب الكعبة؟ فلقيت الضحَّاك بن سفيان الكلابي فسألته، فقال: هي الجنة، وعرض عليَّ الإسلام فأسلمت، ودعاني إلى الإسلام ما رأيتُ من مقتل عامر بن فُهَيرة»[٧].

---

(١) في (ك): نظائرها.

(٢) سقط من (ك).

(٣) قوله: «في ذلك كله» سقط من (ك).

(٤) قوله: «قلنا: إن الله سبحانه يعصم .. بما في ذلك كله من القضاء» بيَّض له في (ك)، وسقط من (ص)، وأكمله في (ك) مالكُها من نسخة عتيقة جدًّا، وكذلك في (د)، بيَّض له، وتتمته بخط مخالف لخط الأصل.

(٥) في الاستيعاب لابن عبد البر (١١٨/١): سُلْمَى.

(٦) قوله: «قال قاتله جبار بن سلم» سقط من (د).

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٢١٢/٣)، وذكره ابن هشام في سيرته: (١٤٠/٣)، وقصة مقتله في الصحيح، أخرجها البخاري: كتاب المغازي، رقم: (٤٠٩٣-طوق).

ورَفَعَه إلى السماء عُلُوًّا، فقال النبي: «إن الملائكة وارت جثته، وأُنْزِلَ عِلِّيِّين[1]»[2].

قال الإمام الحافظ[3]: فهو فيها شهيد حَيٌّ يُرْزَقُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٧]، وقد تقدَّم بيانُ كيفية هذا التطهير في اسم «المصلي».

وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال:١١].

قال علماؤنا: «كانوا على جنابة وفي مَوْضِعٍ لا ماء به، وبمكان دَهْسٍ مُنهال لا تثبت فيه قدم، فأنزل الله عليهم الماء؛ فاغتسلوا من جنابتهم، وثبتت على الرمل المنهال أقدامهم، وغسل الله عن قلوبهم وساوس الشيطان، وتلك كانت الطهارة الكبرى»[4].

وكذلك نصَّ الله على الطهارة في المعقول في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٧]، وهذه طهارة المعقول ضرورة؛ فإنه أراد: هُنَّ أَحَلُّ لكم وأعدم للمكروه ممَّا نويتم[5]، وكذلك قال في صفة قوم لوط: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨١]، أراد الطهارة المعقولة؛ باجتناب الفواحش والمعاصي والدناآت، ولم يُرِدْ طهارةَ المحسوسات.

---

(١) في (د): عيسى.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٣/٢١٢).

(٣) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ب): قال الإمام ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١/٦٠٦).

(٥) في (ك): بدئتم.

[قولُه تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾]

[١٤٤/ب]

ومن «فوائد أبي سَعْدٍ الشهيد»/ وغيره: أنَّ الله تعالى قال: «﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف:١٨]، فهذا كَلْبٌ خَطَا مع الأولياء خطوات؛ ذَكَرَهُ الحق وذَكَرَهُ الخلق إلى يوم القيامة، مع نجاسته في أصله، فقد طهَّرته الصحبة، ورفعت من ذِكْرِه تلك القُربة»[١].

ومن أَجَلِّ ما أعطانا أنه قال في هؤلاء الأولياء: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢]، تشريفًا له[٢]، وقال لنا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٤]، تشريفًا لنا[٣].

وانظر إلى عَقْلِ الكلب كيف لَزِمَ مرتبته فجلس بالوصيد، فكذلك التابع ينبغي أن يلزم[٤] منزلته مع المتبوع ولا يساويه، وسَنُبَيِّنُ «التابع» بعد هذا إن شاء الله.

[قولُه تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾]

وقد قال الله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٤].

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٣٨٤/٢).

(٢) قوله: «قال في هؤلاء الأولياء: ورابعهم كلبهم، تشريفًا له» مُزَالٌ ومكشوط في (ص)، وفي الطرة: «أصلح الله المتنطعين والجهلة؛ فإنه كان هنا شيء لطيف لم يسعه فهم هذا الجاهل فكَشَطَهُ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنْعًا، أتراه كان أعلم من ابن العربي أو أنفس طباعًا منه؛ وهو مالكي ومغربي؟!».

(٣) لطائف الإشارات: (٣٨٥/٢).

(٤) في (د): يكون.

قالوا: «طَهِّرْهُ من الشِّرْكِ»[١].

وقيل: «من الأنجاس التي تُجعَل حوله»[٢].

وقيل: «من قَوْلِ الزُّورِ».

وقالت طائفة: «طَهِّرْ قلبك من الكفر والمعصية والغفلة؛ فإنه بَيْتِي»[٣].

وفي الإسرائيليات: أن الله قال لنبي: «فَرِّغْ لي بيتًا أسكنه، فقال له: وأيُّ بَيْتٍ يسعك؟ قال له: قلب عبدي المؤمن»[٤].

وهذا إن أرادوا به أنه المراد بالآية فهو كَذِبٌ على الله، وإن أرادوا به أن الآية تَدُلُّ عليه من حيث المعنى فليس ذلك بممنوع، وقد بيَّنَّا وجهَ ذلك كله في «قانون التأويل»[٥]، وفي كتاب «العواصم من القواصم»[٦].

وأَحْوَجُ ما هو العبد إلى تطهير قلبه، فإنه الأصل، كما بيَّنَّاه، وكلُّ ما سواه فرع[٧]، ونَهْرٌ، وما وراءه خُلْجَان، وعَيْنٌ، وما يكونُ عنه فسَوَاقِي[٨]،

---

(١) تفسير الطبري: (١٦/٥١٢-التركي).

(٢) الهداية: (٧/٤٨٧٣).

(٣) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٨).

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٥٣٨).

(٥) القانون: (ص٢٢٤-٢٢٦).

(٦) العواصم: (ص١٩٣-١٩٤).

(٧) في (ص): فروع.

(٨) في (ك) و(ب): فساقي.

وهو مَحَلٌّ لتوحيد الله، وبه يُعبَد الله، وفيه كتاب الله محفوظ، وبالألسنة[١] مقروء[٢]، وفي المحارب مَتْلُوٌّ.

[جوابٌ مُسْكِتٌ لمن يقول بشُرْبِ النبيذ]:

وقد قيل لبعض أشياخي: ما تقول في شُرْبِ النبيذ؟

قال للسَّائل: صُبَّه على المصحف.

قال: لا.

قال له: ففي قلبك من كلام الله محفوظًا ما في مصحفك مكتوبًا.

فطارت له في الآفاق حُسْنًا.

[قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً﴾]

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰماً وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩].

اعلموا - رحمكم[٣] الله بِعِلْمِه - أن هذه الآية من المشكلات؛ لأن المعنى الذي يُحيَى به[٤] البلد الميت وتُسقى[٥] به الأنعام لا يكون به الطهور، فلأجل ذلك ضَلَّ به قَوْمٌ فقالوا:/ [١٤٥/أ] «إنَّ ماء الطهارة ليس ما[٦] أحيى

---

(١) في (ك) و(ص): في الألسنة، وضرب على «في» في (د).

(٢) في (د): مقصد.

(٣) في (ك): وفَّقكم الله، وفي (ص): وفقكم الله تعالى لعلمه.

(٤) في (ك): به يحيى.

(٥) في (ك): يسقى.

(٦) في (ب): ماء، وفي (د): من.

البلاد وسقى الناس» ، وقد بيَّنَّا الردَّ عليهم في «القانون» مُجْمَلًا ، وفي «الأنوار» مُفَسَّرًا .

والمعنى في الآية: أن المقصود في إزالة الطهارة من الأنجاس والأدناس لإقامة العبادات ، وإحياء الموات[١] ، ورِيِّ الغليل ، ففيه الدِّينُ ؛ وهو المقدَّم ، والدنيا ؛ وهي التالية التابعة[٢] .

[طهارةُ من أقيم عليه الحَدُّ]:

ومن الطهارة: ما ثبت أن الزاني تكرَّر على النبي ﷺ يقول له: «طَهِّرْنِي»[٣] ، فرأى الصحابةُ أن الطهارة المعقولة في الدين والعِرْضِ كالمحسوسة في البدن والثوب .

وكما أن الحدود طهارة كذلك هي كفَّارة ، قال النبي ﷺ: «من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فعُوقِبَ به فهو كفَّارة له ، ومن ستره الله فأمرُه إلى الله ؛ إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه»[٤] .

وكلُّ مكروه يخالف الملائمَ دِينًا أو دنيَا فإنه تطهير ، ولذلك يقول المُعَبِّرُ لمن رأى أنه يغتسل: «إنَّه إنْ كان مهمومًا زال هَمُّه ، أو مِدْيَانًا زال دَيْنُه ، أو مريضًا زال مرضه» .

---

(١) في (ك) و(د) و(ب): النبات .

(٢) بعده في (ك) و(ص): فإن قيل ، وضرب عليها في (د) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كتاب الحدود ، باب الحدود كفَّارات لأهلها ، رقم: (١٧٠٩-عبد الباقي) .

فالطهارة[١] حِسًّا وعقلًا، يقظةً ومنامًا، دنْيا[٢] وآخرة؛ إنَّما هي عبارة عن زوال المكروهات فيها كلها.

والجنةُ دارٌ طَيِّبَةٌ لا يدخلها إلَّا «طَيِّبٌ» نَقِيٌّ مُهَذَّبٌ.

* * * * *

(١) بعده في (ك) و(ص) و(ب): عبارة، وضرب عليها في (د).
(٢) في (د): دينًا.

الطَّيِّبُ[١]: وهو الاسم التاسع والمائة[٢]

في الحديث الصحيح - كما تقدَّم - في صفة القيامة: «يُحْبَسُونَ[٣]، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُدْخِلُوا[٤] الجنة»[٥].

والشيءُ الطَّيِّبُ هو الخالص عمَّا يُكره؛ إمَّا من طريق اللذة والعادة، وإمَّا من طريق الشريعة.

فالعبد الطَّيِّبُ هو الذي تَجَرَّدَ[٦] قلبُه عن الخبائث[٧]، وقولُه عن الآفات، وجوارحُه عن المعاصي.

وبقَدْرِ خُلُوصِه يكون طيبه، وبقدر مزجه يكون خُبْثُه؛ فأمَّا إن تَخَلَّصَ[٨] لأحد الطرفين[٩] فيكون طَيِّبًا أو خبيثًا، وإمَّا يمتزج فيغلب في

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن والمائة، وفي (ص): الموفي مائة، وفي (ب): التاسع والتسعون.

(٣) في (ك) و(ص): فيحبسون.

(٤) في (ك) و(ص): دخلوا.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ك) و(ص): يُجَرِّدُ.

(٧) قوله: «إما من طريق اللذة .. عن الخبائث» سقط من (ص).

(٨) في (ك): يخلص.

(٩) قوله: «وبقدر خلوصه .. لأحد الطرفين» سقط من (ص).

الأكثر الطيبُ، أو يغلب الخبيث، فذلكم الذي يُحْبَسُ على قنطرة بين الجنة والنار ويُهَذَّبُ، كما تقدَّم في الحديث[١].

[قولُه تعالى: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾]

[١٤٥/ب] فإذا[٢] كان طَيِّبًا/ في أصله قُبِضت رُوحُه على الطَّيِّبِ، كما قال تعالى: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل:٣٢]، واختُلِفَ في تأويلها على ستة[٣] أقوال[٤]:

الأوَّل: طابت بالتوحيد[٥].

الثاني: طابت من دماء أهل القبلة.

الثالث: طيبة الأفواه من آفات اللسان.

الرابع: طيبة[٦] الأبدان من المعاصي.

الخامس: طيبة بالشهادة.

السَّادس: طيبة بقولها[٧].

---

(١) قوله: «في الحديث» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) في (ب): فإن.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): سبعة.

(٤) لم أجدها في كتب التفسير التي بين يدي، وهي الكتب التي يرجع إليها الإمام ابن العربي؛ وهي: تفسير الطبري، والهداية لمكي، والنكت والعيون للماوردي، والكشف والبيان للثعلبي، ولطائف الإشارات للقشيري، والله أعلم.

(٥) ينظر: الجامع: (١٢/٣١٩-التركي).

(٦) في (د): طيبات.

(٧) في (ك) و(ص): بعدلها.

وقال[١] أهل الزهد: «أسباب طِيبهم مختلفة؛

فمنهم[٢] من طاب وقته لأنه غُفِر ذنبُه وسُتِر عيبُه.

ومنهم من طاب قلبه لأنه سَلَّمَ عليه محبوبه[٣].

ومنهم من طاب وقته لأنه لم يَفُتْهُ مطلوبه[٤]، ولا تعذَّر عليه مرغوبه[٥].

ومنهم من طاب وقته لأنه يعود إلى أقاربه، ويصل إلى مآربه.

ومنهم من يطيب وقته لأنه أَمِنَ زوال حاله، وحَظِيَ بسلامة مآلِه.

ومنهم من طاب وقته لأنه وصل إلى أفضاله.

ومنهم من طاب وقته لأنه شاهَد شريف جماله؛ وكُشِف[٦] له عن جلاله.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[٧]، وسلَّم الله لهم مذهبهم»[٨].

قال الإمام الحافظ[٩] رضي الله عنه: هذا مرتبطٌ بالعَقْدِ الأوَّل الذي قدَّمنا؛ من عموم الطيب وخصوصه، وصفاء الحال وكدرها، وخُلوص العلم أو شَوْبِه

---

(١) قبله في (ك) و(ص) و(ب): السَّابع: قال أهل الزهد.

(٢) في (ك): منهم.

(٣) قوله: «فمنهم من طاب وقته لأنه غُفِر ذنبه وسُتِر عيبه، ومنهم من طاب قلبه لأنه سلم عليه محبوبه» سقط من (ص).

(٤) قوله: «ومنهم من طاب وقته لأنه لم يفته مطلوبه» سقط من (ب).

(٥) قوله: «ولا تعذَّر عليه مرغوبه» سقط من (ك) و(ب) و(ص).

(٦) في (ك) و(ص): بأن كشف.

(٧) [البقرة:٥٩].

(٨) لطائف الإشارات: (٢/٢٩٥).

(٩) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

بالجهالة، وسلامة الطاعات أو غشها[١] بالمعصية، والذي أعتقده في ذلك: أنَّ من غلبت حسناته على سيئاته تقبضه الملائكة على أنها نفس مطمئنة طيِّبة، مُسَلَّمٌ عليها، مُبَشَّرَةٌ بحالها، ومن غلبت سيآتُه حسناتِه -وهو في المشيئة- فلا يكون له في ذلك مدخل، وإنما أمره مُغَيَّبٌ عنَّا، فإذا طاب بالتوحيد خلص عن التخليد، وإذا طاب على الإطلاق فقد أخذ على الفوز الميثاق، وإذا اختلط[٢] حالُه فقد جُهِل مآلُه، فلا معنى لطلب ذلك فيه، ومن غُفِر ذنبه وسُتِر عيبه طاب بفضل الله حالُه[٣] لا بعمله.

وأمَّا من قال له[٤] محبوبه أو رسوله[٥]: «سلامٌ عليكم»؛ فقد طاب قلبه، وذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

فإن كان شهيدًا فالأمر على الفور، ورُوحُه تخرج من البدن إلى الجنة بغير واسطة، وإن لم يكن شهيدًا فالأمر على التراخي، ولكنها بُشْرَى يُطَمْئِنُ[٦] بها أهلُ[٧] السَّلامة النفسَ المطمئنة بالطاعة.

وأمَّا من لم يَفُتْه مطلوبه؛ فهو الذي وحَّد الله بالمعرفة، ولم يُضرَب بينه وبينه حجاب، ودون الله حُجُبٌ، وما[٨] رُفِعَتِ الحُجُبُ ولا حصلت

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): عيبها، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٢) في (ك): اختلطت.
(٣) في (ك) و(ص) و(ب): خالصًا، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٤) سقط من (ص).
(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): يقول لك، وضرب عليها في (د).
(٦) في (ك) و(ص): تطمئن.
(٧) في (ك) و(ص): على.
(٨) في (ك) و(ص): ولا.

المعرفة إلَّا لمن يقول: إنه واحد في ذاته، واحد في صفاته،/ واحد في مخلوقاته، لا يخفى عليه شيء، ولا يَشِذُّ عن قدرته شيء[١]، ولا يفعل أَحَدٌ شيئًا غيره، وأنه فعَّال لما يشاء، إن عَذَّبَ الخلق أجمعين فبِعَدْلِه، وإن رحمهم أجمعين فبِفَضْلِه، وإن نوَّعهم فبِحِكْمَتِه وحُكْمِه، وأنَّ رسوله بلَّغ وبيَّن وعلَّم، وما كَنَى ولا أبهم ولا أعجم، وأن رسله الكرام مطهرون طيِّبون، إلى غير ذلك من شروط التوحيد الذي[٢] هذه أصولها. [١٤٦/أ]

وأمَّا من طاب وقته بالعَوْدِ إلى أقاربه والوصول إلى مآربه؛ فهو الذي تخلَّى[٣] عن الخلق، فلا يرى إلَّا من هو مثله، وقَطَعَ الدنيا وعلائقها؛ فلم تبق له مَأْرُبَةٌ إلَّا بلغها، ولا مأربة أعظم من ترك الدنيا؛ فإن الحاجة الصحيحة تَرْكُ الحاجة، والغنى تَرْكُ الغنى[٤]، والمُنَى قَطْعُ المُنى.

وأمَّا الذي أَمِنَ زوالَ حاله ووَثِقَ بمآله؛ فما أعلم منهم[٥] إلَّا نحو العشرين، منهم: العشرة، وابن عمر، وابن سلَّام، وأبو ذرٍّ، وبلال، وقد عددناهم في موضعهم من «شرح الحديث» بأدلة ذلك، فليُخْرَجْ[٦] منه على القانون.

---

(١) سقط من (ك).

(٢) في (ك) و(ص): التي.

(٣) في (ك): تحلى.

(٤) في (د): العنا.

(٥) في (د): منه.

(٦) في (ك): فلتخرج.

قال الإمام الحافظ[١]: وكما يتوفَّى[٢] هؤلاء الملائكة طيِّبين فكذلك[٣] يتــوفَّى الجاحــدين ﴿الْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]، وما بين الدرجتين -كما بيَّنَّا- مجهول، ليس فيه حديث صحيح، ولا للعقل فيه مجال، وقد أراد بعضُ أشياخنا أن ينزله منازل، ويجعل له مراتب، ونَصَبَ فلم يُصِبْ.

[الطَّيِّبُ على الحقيقة هو مُحَمَّدٌ عليه السَّلام]:

والطَّيِّبُ على الحقيقة والإطلاق والأوَّليَّة واحد؛ وهو مُحَمَّدٌ ﷺ، وقد قال العباس للنبي ﷺ: «إني أريد أن أمتدحك، فقال له النبي: قل، فأنشد:

من قبلها طِبْتَ في الظلال وفي	مستودع حيث تخصفُ الوَرَقُ
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت	ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفة تركب السفين وقد	أَلْجَمَ نَسْرًا وأهله الغَرَقُ
تنقل من صالبٍ[٤] إلى رحم	إذا مضى عَالَمٌ بدا طَبَقُ
حتى استوى بيتُك المهيمن من	خندف علياء تحتها[٥] النُّطُقُ

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٢) في (ك) و(ب): تتوفى.

(٣) في (ك) و(ص): كذلك.

(٤) في (د): صلب.

(٥) في (ك) و(ص): دونه.

٢ وأنت لمَّا ولدت[١] أشرقت الـ أَرض وضاقت بنورك الأُفُقُ

[١٤٦/ب] فنحن في ذلك الضياء وفي النُّـ ـنُور وسبل الرشاد نخترقُ/

فقال له النبي: لا يَفْضُضِ الله فاك»[٢].

ولقد كان طَيِّبًا في الأصل، طَيِّبًا في النشأة، طَيِّبًا في المطعم، طَيِّبًا في المسكن، طَيِّبًا في المعيشة، طَيِّبًا في الوفاة، طَيِّبًا في المدفن[٣]، طَيِّبًا في الدنيا[٤]، طَيِّبًا في الآخرة.

فأمَّا طِيبُ أصله؛ فإنه ﷺ[٥] قال - في رواية واثلة بن الأسقع عنه -: «إن الله اصطفى كِنانة من وَلَدِ إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»[٦].

وأمَّا طِيبُ منشئه؛ فقد بيَّنَّا في غير موضع أنه ﷺ[٧] كان حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء؛ فيتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد[٨]، معتزلًا

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بعثت، وأشار إليها في (د).

(٢) أخرجه القُتَبِي في غريب الحديث: (٣٥٩/١)، وفسَّر بعضَها ابنُ العربي في العارضة: (٥٥٩/١٠-٥٦٢)، والأبيات من بحر المنسرح، في أمالي ابن الشجري: (١١٤/٣)، وأمالي الزجاجي: (ص٦٥)، وفي الزاهر لابن الأنباري: (١٥٨/١)، وغيرها، وقال ابن الذهبي في رواتها: «لا يعرفون»، سير النبلاء: (١٠٣/٢).

(٣) قوله: «طَيِّبًا في المدفن» سقط من (د) و(ب).

(٤) قوله: «طَيِّبًا في الدنيا» سقط من (ك) و(ص).

(٥) في (ك): صلى الله عليه.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، رقم: (٢٢٧٦-عبد الباقي).

(٧) في (ك): صلى الله عليه.

(٨) سبق تخريجه.

عن الخلق، مُهَيَّأً لنزول الحق، وقبل ذلك كان يرعى غنمًا لأهل مكة على قراريط معلومة[١]، يخرج صباحًا ويرجع إلى منزله مساء، لا يجالس بَشَرًا، ولا يُكَلِّمُ أحدًا.

وأمَّا طِيبُ المسكن فكان بمكَّة، ثم خرج إلى طابة؛ وهي المدينة، كما سمَّاها[٢] صلى الله عليه[٣]، وهي كما أخبر عنها: «كالكِيرِ تَنْفِي خَبَثَها، ويَنْصَعُ طَيِّبُها»[٤]، وقد أخبر أن الدجَّال لا يدخلها[٥]، وأنها ترجف ثلاث رجفات[٦]؛ فلا يبقى فيها منافق إلَّا خرج إليه[٧]، ولا يصبر على لأوائها وشِدَّتِها أحدٌ إلَّا كان له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة[٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي حُمَيْدٍ ﵁: كتاب فضائل المدينة، باب المدينة طابة، رقم: (١٨٧٢-طوق).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): ﷺ.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن جابر بن عبد الله ﵄: كتاب الجامع، ما جاء في سُكنى المدينة والخروج منها، (٢/٢٨٢)، رقم: (٢٥٤٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﵁: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٨٨٢-طوق).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ﵁: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٨٨١-طوق).

(٧) لم يرد في (د).

(٨) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر ﵄: كتاب الجامع، ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها، (٢/٢٨١)، رقم: (٢٥٤٨-المجلس العلمي الأعلى).

وأمَّا طِيبُ المطعم فلم يأكل إلَّا من كَسْبِهِ، كان قبل النبوة راعيًا، وكان بعد النبوة مجاهدًا، ولهذا[١] قال النبي: «جُعل رزقي تحت ظِلِّ رُمْحِي، وجُعلت الذِّلَّةُ[٢] والصَّغار على من خالف أمري»[٣]، وكان يعيش بين الأمرين بقِرَاضِ خديجة ومن مالها، طيِّبةً بها[٤] نفسُها.

وبذلك أَمَرَ الله جميع الخلق، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة:١٦٧]، وطيب الحلال أنه هَنِيٌّ الحال، مَرِيٌّ[٥] المآل، والحرام وَبِيٌّ[٦] المآل[٧].

وقيل: «الطَّيِّبُ: ما لم يَنْسَ فيه مكتسبُه حقَّ الله»[٨].

وقال للذين آمنوا: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧١]، فالحلال ما لا تَبِعَةَ عليه، والطَّيِّبُ ليس للمخلوق فيه مِنَّةٌ[٩].

وقال للرُّسُلِ[١٠]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المومنون:٥٢]، وهي آية غريبة، بديعة التفسير.

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك) و(ص): جعل الذل.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): به.

(٥) في (ب): مريئ.

(٦) في (ص): وبيئ.

(٧) لطائف الإشارات: (١/١٤٦).

(٨) لطائف الإشارات: (١/١٤٦).

(٩) لطائف الإشارات: (١/١٤٧).

(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): وقال للرسل: ﴿كلوا﴾.

قال المفسرون: معناه: «كُلُوا من الحلال، واعملوا ما أمرتكم به»[١].

ومن حديث أبي هريرة الصحيح ما خرَّجه الترمذي عن النبي: «إن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلَّا طَيِّبًا، وإن الله أَمَرَ المؤمنين بما أَمَرَ به المرسلين، فقال للرسل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، / وقال للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾»[٢]، وذكر الحديث. ٢ [١٤٧/أ]

وهذا كلام من لم يفهم مقطع الآية[٣].

وقال الأَحْبَارُ: المعنى: «﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ يأكل كل أحد ما كان حلالًا وَقْتَه[٤]، مباحًا في شريعته، ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾؛ يعمل كل أحد بما كان موافقًا لأمر الله في زمانه، مُوَظَّفًا عليه في شريعته»[٥].

فالخطاب للرُّسُلِ مُشْتَرَكُ اللفظ منفصلُ المعنى؛ لانفصال أحوالهم في مللهم، والخطابُ للمؤمنين مشتركُ اللفظ مشترك المعنى؛ لاستواء أحوالهم في جملتهم وتفصيلهم، واجتماعهم وافتراقهم.

وأمَّا طيب المعيشة؛ فإن طيب العيش في قول العلماء لا يُعْرَفُ بالنُّطْقِ، وإنما يُعْرَفُ بالذوق، وذلك الطيب من لذة المناجاة، وحلاوة

---

(١) تفسير الطبري: (١٧/٥٩-التركي).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة البقرة، رقم: (٢٩٨٩-بشار).

(٣) يقصد كلام المفسرين الذي ذَكَره قبلُ.

(٤) في (ص): في وقته.

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٧٧).

الطاعة، وهِمَّةِ اليقين[١]، وروح القناعة، والرضى عن الله، والمعرفة بحُسْنِ العاقبة[٢]، وبذلك طابت المعيشة.

وقيل: «طيب العيش اليأس عن الدنيا، والقيام بحق المولى».

وذلك على التمام للنبي ﷺ.

وإذا شبع من الحلال ونال منه ما اشتهى فهو طَيِّبٌ مُمَدَّحٌ مهما أعقبته طاعة.

قال رسول الله ﷺ: «الصحةُ لمن اتقى خَيْرٌ من الغنى»[٣].

وطيب النفس من النعيم؛ وتَفَرُّغُ[٤] بَالِه لعبادة المولى، وفي خِلَافِه[٥] المعيشةُ الضنْك؛ وهي قبض القلب عن المعرفة، واستيلاء الوحشة من الله، والركون إلى البطالة، والخلود إلى الشهوات والراحة.

وأمَّا طيب الوفاة فإنه خُيِّرَ فاختار الرفيق الأعلى كما تقدَّم، وجاءه أبو بكر فكشف عنه ثم قبَّله، وقال: «بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا ومَيِّتًا»[٦]، وفي الأثر: «أنهم لمَّا غسَّلوه لم يخرج منه شيء ممَّا يخرج من الميت»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): النفس، وأشار إليها في (د).

(٢) في (ص): العافية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن خُبَيب ﷺ: (٢٢٨/٣٨)، رقم: (٢٣١٥٨- شعيب).

(٤) في (ك) و(ص): يُفَرِّغُ بالَه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): خلافه له.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) سيرة ابن هشام: (٣١٣/٤).

وكذلك كان طَيِّبًا في الحياة أيضًا، ففي حديث جابر بن عبد الله أنه قال: «رأيتُ من النبي ثلاثًا؛ لو لم يأت بالقرآن لآمنتُ به، خرجنا سفرًا فمررنا بحي من العرب، فخرجت إلينا جارية كأنها فِلْقَةُ قَمَرٍ، قالوا: إنها مجنونة، فقال له النبي ﷺ: يا عدو الله، اخرج عنها، قال: فغطَّت وجهها في الحال، واستحيت وانصرفت، وبَيْنَا نحن نسيرُ إذ عرض لنا ثعبان عظيم، فخرج إليه النبي ﷺ فأعطاه أُذنه، فناجاه مَلِيًّا، فلمَّا رجع النبي قلنا: ما هذا يا رسول الله؟ قال: ذلك رسول الجن؛ نَسُوا سورة فجاء يَسْتَذْكِرُنِيهَا، ونزلنا منزلًا فقال لي: يا جابر؛ اذهب/ إلى تينك الشجرتين فاقرأهما منِّي السَّلام، ومُرْهما أن يسيرا إلي، ويثبتا[١] علي ويستران حتى أقضي حاجتي، فذهبت فبلَّغت كلامه، فأقبلتا تخرقان[٢] الأرض، حتى التقيا[٣] عليه، فلمَّا قضى حاجته رجعتا[٤] إلى مكانهما، فجئت لأتبلع[٥] ما يخرج[٦] منه فلم أجده، فأخبرته فقال: أما علمت يا جابر أنَّا معشر الأنبياء تواري الأرض ما يخرج منا»[٧].

٢ [١٤٧/ب]

وأمَّا طيب مدفنه فإن أبا بكر الصديق لمَّا جاءه فقبَّله وقال: «بأبي أنت وأمي، طبتَ حيًّا وميتًا، قال الناس له: كذا، قالوا له: كذا، قال: أله

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وينثنيَا.

(٢) في (ك) و(ص): تخترقان، وفي (ب): تحرثان.

(٣) في (ك): التقتا.

(٤) في (د): التقيا عليه ورجعتا.

(٥) في (ك) و(ص): لأبتلع.

(٦) في (ك) و(ص): خرج.

(٧) أخرجه الخطيب في رواة مالك، ينظر: سبل الهدى والرشاد: (١١/٣٧٧).

كذا[١]؟ وذكر الترمذي حديثًا طويلًا، قال في آخره: فقالوا له[٢]: أين يدفن؟ قال أبو بكر: في المكان الذي قُبض فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلَّا في مكان طيب، فعلموا أن قد صدق»[٣].

قال الإمام الحافظ[٤]: ويعضد هذا ما جاء في الحديث الصحيح؛ قال ابن مسعود: «حدَّثنا رسول الله - وهو الصادق المصدوق -: إنَّ أحدكم يُجمع خَلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله[٥] الملك، ثم ينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»[٦].

قال - في الحديث الحسن -: «ثم يكون مُضْغَةً، ثم يأمر الله الملك فيأخذ قبضة من تراب الأرض، فيخلطها بها، ثم يُصَوِّرُه، فإذا جاء أجلُه الذي كَتَبَ الله له لم يُدْفَنْ إلَّا من حيث أُخِذَتِ التربة الأولى، وذلك قولُه سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]».

---

(١) قوله: «قال: أله كذا؟» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) سقط من (ك).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام ﷺ.

(٥) لم يرد في (ك) و(ص).

(٦) سلف تخريجه.

وأمَّا طيبه في الآخرة فأَجَلُّ معنى[1] الطيب وهو الشرف، وشَرَفُه بكل معاني الطيب في العربية، يقال: كذا طَيِّبٌ، أي: لا مكروه فيه ولا آفة، وكذا طيب، أي: ملائم موافق، ومنه الأطيبان؛ الأكل والنكاح.

[عمَّار الطَّيِّبُ المُطَيَّبُ]:

وقال النبي ﷺ حين رأى عَمَّارًا: «مرحبًا بالطيِّب المُطَيَّبِ»[2]، إشارة إلى تطهيره عن تَكَلُّمِه بالكُفْرِ عند تعذيب أبي جهل له؛ إذ لا يتدنَّس الإنسان من الدناآت إلَّا بما يأتيها مختارًا، وإشارة إلى تَطَهُّرِه[3] أُخْرَى عن الدخول فيما لا ينبغي، والتورُّع عمَّا يكره، وإن كان مع عَلِيٍّ؛ فإنه كان مع الحق، ولو كنتُ في القوم لاتَّبعت عَلِيًّا دون سواه.

وقد قال الله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦]، فطِيبُ الكلمة شرفها، وهي: لا إله إلا الله، وطيب الشجرة أنها نَفْعٌ كلها، وقد بيَّنَّاه في «شرح النيِّرين» بغاية الإيضاح، فلينظر هنالك، وليُورَدْ[4] على القانون.

٢ [١٤٨/أ]

قال الإمام الحافظ[5]: /ويلحق باسم «التوَّاب» ثلاثة أسماء، وهي:

---

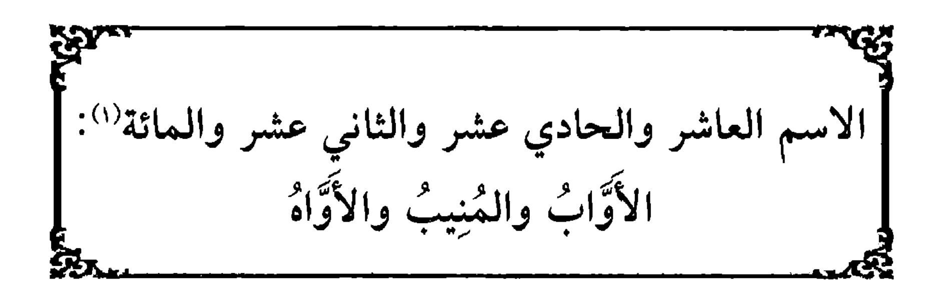
(١) في (ك) و(ص): بمعنى.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عمار بن ياسر، رقم: (٣٧٩٨-بشار).

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): تطهيره.

(٤) في (ص): ليُورِدْه.

(٥) في (ك) و(ب): قال الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.



الاسم العاشر والحادي عشر والثاني عشر والمائة[(١)]: الأَوَّابُ والمُنِيبُ والأَوَّاهُ

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٤].

فأمَّا «الحليمُ»[(٢)] فقد سَبَقَ الكلامُ عليه.

[معاني الأوَّاه]:

وأمَّا «الأَوَّاهُ» فذكره المُفَسِّرُونَ على عشرة أوجه:

الأوَّل: الكثير الدعاء[(٣)].

الثاني: الرحيم[(٤)].

الثالث: المؤمن[(٥)].

الرابع: المُسَبِّحُ[(٦)].

---

(١) في (ك): التاسع، والعاشر، والحادي عشر، وفي (ص): الحادي ومائة، والثاني ومائة، والثالث ومائة، وفي (ب): الأوَّاب: وهو الاسم المُوَفِّي مائة، المُنِيب: وهو الاسم الحادي ومائة، الأوَّاه: وهو الاسم الثاني ومائة.

(٢) في السفر الثالث.

(٣) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٣-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٤-شاكر).

(٥) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٩-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (١٤/٥٢٩-شاكر).

الخامس: التالي للكتاب[١].

السَّادس: المتأوه على زَلَلِه[٢].

السَّابع: الفقيه[٣].

الثامن: الخاشع[٤].

التاسع: المتواضع[٥].

العاشر: المصلي.

فصعَّدوا وصوَّبوا فما عرفوا، ورمَوا فصافوا وما أصابوا.

والصحيح: أن بناء «أوْه» للصَّوْتِ الذي يدل على أَلَمٍ يكون بالنفس من مكروه ينزل؛ من[٦] مرض أو هَمٍّ.

قال المُثَقِّبُ العبدي[٧] يصف ناقته[٨]:

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بليلٍ   تَأَوَّهُ آهَةَ الرجل الحزينِ[٩]

---

(١) تفسير الطبري: (١٤/٥٣٠-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (١٤/٥٣٠-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (١٤/٥٣١-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (١٤/٥٣١-شاكر).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): المتوجع.

(٦) سقط من (ك) و(ص)، وفي (ب): أو.

(٧) سقط من (ك) و(ص) و(ب)، وفي (د): العَنبري، وهو تصحيف.

(٨) في (د): ناقة.

(٩) من الوافر، وهو للمثقب العبدي من قصيدة في المفضليات: (ص٢٩١)، وفي طبقات فحول الشعراء: (١/٢٧٣)، وديوانه: (ص١٩٤)، وتفسير الطبري: (١٤/٥٣٤-شاكر).

وكلمة الحزين أو المريض[١]: أوَّه، وأوْهِ، ويقال: أُوه[٢]، ويقال: آوْه[٣]، فإذا سُمع ذلك منه قيل: تأوَّه الرجل، وأوَّه، أي: تفجَّع[٤]، كذلك قرأتُه، وجاء لفظُ «آهَةَ» على «أوَّه» دليلًا.

فأمَّا من قال: إنه الدعَّاء؛ فالدعَّاء من ثمرات الحزن.

وأمَّا من قال: إنه الرحيم؛ فالرحمة رِقَّةٌ، والحُزْنُ رقة تبعث عليها، وليس بها.

وأمَّا من قال: إنه مؤمن؛ فالإيمان أصل لأهلية الحزن، وليس به، كالمؤمن أصل لأهلية العبادة؛ من صلاة وصوم وصدقة، وليس بها.

وأمَّا من قال: إنه المُسَبِّحُ؛ فقد يُسَبِّحُ[٥] عن القُرْبَةِ[٦]، ولا يصحُّ إسناده إلى من نُسِبَ إليه.

وأمَّا من قال: إنه التالي لكتاب الله؛ فالتأوُّه صفة للتلاوة، وليس بها، أو ثمرة للحزن وليس به.

وأما من قال: إنه الفقيه؛ فإنه تسمية الشيء باسم ثمرته.

وأمَّا من قال: إنه الكثير التأوه؛ ففسَّر قوله: فعَّال؛ بناء التكثير، وليس بتفسير.

---

(١) بعده في (د): أوه، وضبطها بوجهين: أَوَّهُ، وأَوْهِ، وفي (ك): أَوْهُ، أوهٍ.

(٢) في (ك): آوه، وفي (د): أَوْهِ.

(٣) لم ترد في (ك) و(د) و(ب).

(٤) في (د): تفتَّح.

(٥) في (ك) و(ص) و(د): سبَّح.

(٦) في (ك) و(ص) و(د): المعرفة، ومرَّضها في (د)، وكتب في طرته: العربية.

وأمَّا من قال: إنه الخاشع؛ فقد قَرُبَ أكثر من غيره من معناه، فإن الخشوع لَزِيمُ الحزن، أو من ثمراته.

[حُزْنُ إبراهيم عليه السَّلام]:

وكيف لا يكون إبراهيمُ حزينًا ولم يكن في الأرض مؤمن غيره، وغير زوجه سارة، وهو خليل الرحمن، والدنيا طافحة بالكفَّار، ليس فيها من يقول: الله، ولا من يعرفه، وفي آخر الأمر آمَنَ له[1] لوط وحده، وبعثه الله رسولًا معه، عَضُدًا لإبراهيم وقوَّة له، كما عَضَدَ موسى بهارون أخيه، والأصنام تُعبد، والرب يُجحد، والدين يُعَاثُ[2] فيه ويلحد، والحق يُلوى،/ والعيش ينكد، وليس في الأرض عن ذلك ملتحد، أينما خرج مهاجرًا لقي فاجرًا؛ إمَّا يعترضه في أهله، أو يعارضه في ربه، وهو على ذلك صابر مُتَحَزِّنٌ مُتَأَوِّهٌ، وليس أحد من الأنبياء إلَّا كذلك، ولكن الفضل للمتقدم؛ إمَّا في السَّابقة كإبراهيم، وإمَّا في الصفة كمُحَمَّدٍ، فإنه كان ينتهي من حُزْنِهِ أنه يَوَدُّ قَتْلَ نفسِه أَسَفًا على كفرهم.

٢ [١٤٨/ب]

[أسبابُ الحُزْنِ]:

والحُزْنُ إمَّا[3] أن يكون على عدم الحق، وإمَّا أن يكون على جهل المرء بخاتمته، فلا يُرى مسرورًا؛ إلَّا بحق يظهر، أو خاتمة[4] تُعلَم، وقد جُهِلت الخاتمة حديثًا وقديمًا، فوجب أن يكون الحزنُ لَزِيمًا، وقد تُرِكَ الحق فلا ينبغي لأحد أن يُرَى[5] مسرورًا.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) صورتها في (ك): يعاف، كذلك قرأتها.

(٣) في (ك): إنما يكون.

(٤) في (ك) و(ص): حالة.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): تراه.

وقد رُوي[١] أن عمر[٢] - واللفظ لابن حنبل -: قال جابر بن عبد الله: «سمعت عمر بن الخطاب يقول[٣] لطلحة بن عبيد الله: مالي أراك قد شعثت واغبررت[٤] منذ[٥] توفي رسول الله ﷺ؟ لعلك إنما بك يا طلحة إمارةُ ابن عمك، قال: معاذ الله؛ إني لأقدركم[٦] أن لا أفعل ذلك منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضره الموت إلَّا وجد رُوحه لها رَوْحًا حتى تخرج من جسده، وكانت له نُورًا يوم القيامة، فلم أسأل رسول الله عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمر: فأنا أعلمها، قال: فلله الحمد، ما هي؟ قال: التي قالها لعمه؛ لا إله إلا الله، فقال طلحة: صدقت»[٧].

وروى قتادة: «أن النبي لمَّا رأى ما يُصاب[٨] به أمته من بعده ما رُئِيَ ضاحكًا مستنشطًا حتى قبضه الله»[٩].

وذلك موجود في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف:٤٠]، وقد قال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١٠] [الأنفال:٣٣].

---

(١) سقط هذا الحديث من (ب).
(٢) كذا في الأصل، وفي (د): عثمان.
(٣) في (د): قال.
(٤) في (ك) و(د): اغبرت.
(٥) في (ك) و(ص): مذ.
(٦) في (ك) و(ص): لأجدركم.
(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٣١٩/١)، رقم: (١٨٧-شعيب).
(٨) في (ك): تصاب.
(٩) تفسير الطبري: (٦٠٠/٢٠-التركي)، وهو مرسل.
(١٠) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿وما كان الله معذبهم وهم مستغفرون﴾.

وأخبرنا[١] القاضي أبو المُطَهَّرِ الأصفهاني ببغداد: أنا أبو نُعَيم الحافظ بأصبهان قال[٢]: حدَّثنا[٣] أبو محمد بن حيَّان[٤]: حدَّثنا الحسن بن سفيان: حدَّثنا جُبارة[٥] بن مُغَلِّس: حدَّثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حَوْشَب عن عبد الرحمن بن غَنْم عن معاذ بن جبل قال: «خرجتُ مع رسول الله في غزوة تبوك، فلما رأيتُ بِشْرَه وخلوته قلت: يا رسول الله، أتأذن لي أن أسألك عن مسألة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني؟ فقال معاذ: يا رسول الله، دُلَّنِي على عمل يدخلني الجنة، لا أسألك عن شيء غيره، فقال رسول الله: بَخٍ بَخٍ، لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليَسِيرٌ على من أراد الله به الخير، ثَلَاثًا، قال: تؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتعبد الله لا تشرك به، حتى تموت وأنت على ذلك، قال: فلم أَزَلْ أسأله/ حتى قلت: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟»[٦]، وذَكَرَ الحديث.

٢ [١٤٩/أ]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): أخبرنا.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (ك) و(ص): أخبرنا.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): أبو عمرو بن حمدان، وابن حيان هو الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصفهاني.

(٥) في (ك) و(ص): جنادة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٤٣٣/٣٦)، رقم: (٢٢١٢٢-شعيب)، وفيه شهر بن حوشب، مختلف فيه، وقَصْدُ ابنِ العربي من إيراده لهذا الحديث بإسناده الدلالة على الكتاب الذي يرويه، ولعله أحدُ كُتبِ أبي الشيخ الأصفهاني، والله أعلم.

ومع لُزُومِ الحُزْنِ للمؤمن فإنه قد تأتيه[١] وجوهٌ من السرور، يظهر عليه أثرُه كما يظهر عليه أثر الحزن، وقد يأتي عليه معاني من الحزن فيُسْلِيانه عنها الثقة بالله، والقطع على الوفاء بوعده، ألا ترى إلى[٢] قول[٣] النبي ﷺ[٤] لأبي بكر في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

[من فوائد أبي سَعْدٍ الشَّهِيد في قَوْلِه تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾]:

من[٥] «فوائد أبي سعد الشَّهِيد»[٦]: «أنَّ في الغار غرائب؛ منها: أن النبي كان أمانًا لأهل الأرض، قال الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦]، وكان أمانًا لأصحابه، كما أخبر عن نفسه حين قال: «أنا أمان لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون»[٧]، وإنَّ الله جعله في أَمَانِ حَمَام وعنكبوت، لمَّا وصلت الأعداء إلى فم[٨] الغار نَسَجَ العنكبوتُ على الغار بيتَه، وبنى الحمامُ عليه وَكْرَه، وصار ذلك الغار مأوًى ومنجًى للأفاضل والأخيار، وللبقاع دُوَلٌ، وللأماكن مكانات، وللجبال جلال»[٩].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فإنه ستأتيه، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في (ك) و(ص): قوله، وفي (ب): قول رسول الله.

(٤) في (ك): صلى الله عليه.

(٥) في (ب): ومن.

(٦) في (د): الشهيد أبي سعد.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمانٌ لأصحابه، رقم: (٢٥٣١-عبد الباقي).

(٨) في (ك): لَقَم.

(٩) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٢٧).

قال بعضهم:

أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وأخرى تَـثَجَّمُ[١] منها التي رُزِقَتَ وأخرى تُحْرَمُ

وإذا تأمَّلتَ البلاد وجدتها تُثْرِي كما يُثْرِي الرجال وتُعْدِمُ[٢]

[نَفْيُ الجهة عن الله تعالى]:

وهو سبحانه يختص بتفضيله ما يشاء، كما يختص برحمته من يشاء، والغِيرَانُ وإن كانت مأوى الحيَّات فإنها مأوى المَكْرُمَاتِ، ويا شرف الغار إذ قيل فيه عن العزيز الجبار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وهما في الغار، فتَعِسَ أصحابُ الجهة الذين يطلبون الله في العرش، وهو مع النبي في الغار، وبين الناس وبين رؤوس رحالهم إذا ركبوا في الغزو ودَعَوا، وهو المُتَقَدِّسُ عن النسبة إلى مكان؛ من العَرْشِ إلى الفَرْشِ، بل هو بعد خلق العرش والمخلوقات كما كان قبل ذلك؛ لم يتغيَّر بمخلوقاته، وإنما يُقَرِّبُه[٣] النجوى والقُرَبُ، وتُبَاعِدُه الذنوبُ والرِّيَبُ.

[من مناقبِ أبي بكر الصدِّيق]:

فصار أبو بكر ثانيه في الإيمان، ثانيه في الغار، ثانيه في الولاية، ثانيه في المدفن، ثانيه في الجنة كما أخبر، أنزل الله سكينته على المؤمنين عمومًا بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]، / [١٤٩/ب] وخَصَّ بها أبا بكر وحده، فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ

---

(١) في (ب): تُنْجَم.

(٢) البيتان من الكامل لأبي تمام، من قصيدته وهي في ديوانه: (١/٥٤٤).

(٣) في (ك): تقربه.

لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠]، من الملائكة والحيوانات، والصِّدِّيقُ ذلك اليوم لم يحزن لنفسه؛ إنَّما حزن لأجل خوفه على النبي ﷺ[١].

[حُزْنُ رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم]:

وقد يحزن العبدُ رِقَّةَ قلبٍ ورحمة، وله في ذلك خير قدوة وأفضل أسوة؛ قال أنس: «دخلنا مع النبي على ابنه إبراهيم وهو يَجُودُ بنفسه، فجعلتْ عَيْنَا رسول الله تذرفان بالدمع، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أَتْبَعَها بأخرى، فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٢].

[بكاءُ رسول الله على سعد بن عبادة]:

وقال ﷺ[٣] حين دخل على سعد بن عبادة فوجده في غاشية، فبكى النبي وبكى القوم، فقال النبي: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعَذِّبُ بدمع العين، ولا بحُزْنِ القلب، ولكن يعذب بهذا؛ وأشار إلى لسانه، أو يرحم»[٤].

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٢٧-٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، رقم: (١٣٠٣-طوق).

(٣) في (ك): صلى الله عليه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم: (١٣٠٤-طوق).

[حُزْنُ يعقوب عليه السَّلام]:

وقد قال الله سبحانه مُخْبِرًا عن يعقوب: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف:٨٤]، ولكنه لم يَقُلْ شكوى، وإن عظمت البلوى، ولمَّا تَوَارَدَ القَرْحُ على القرح فأوجعه مَسُّه قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾.

وبُكَاءُ داود كان أعظم، ولم يذهب بصره، وذلك بمشيئة الله تعالى وقَدَرِه.

وقال بعضهم: «بكاءُ داود كان[1] خوفًا من ربه فأمسك الله بصره، ويعقوبُ بكى على يوسف؛ وليس في قدرة يوسف إمساك بصر ولا رده»[2].

ويحتمل أن يكون يعقوب[3] بكى مدَّة طويلة فأثَّر في بصره، وبكى داود مدَّة[4] قصيرة فلم يُؤَثِّرْ.

[حُزْنُ لوط عليه السَّلام]:

وقد قالت الملائكة للُوطٍ لمَّا رأوا ضيق ذَرْعِه بقومه وغَلَبَةَ حزنه بما هَمُّوا به في أضيافه: ﴿لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت:٣٣]، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود:٨٠]، ولم يقولوا: «إلينا»؛ لأن قُدَرَهم لا تتعلق

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) لطائف الإشارات: (٢/١٩٩-٢٠٠).

(٣) في (ك): بكى يعقوب، وفي (ص): بكاء يعقوب.

(٤) سقط من (ك) و(ب).

بالملائكة عادةً، وإنما تتعلق بالآدَمِيِّينَ، فلمَّا أخبرت[١] الملائكة لُوطًا أنَّ ما جرت به العادة من تسليط الأعداء على الأنبياء والأولياء قد أمَّنك الله منه، فنحن رُسُلُ ربك لإنجائك وإهلاكهم، فحينئذ اتَّسع صدره وانشرح، وأَمِنَ أن يفضح، وأيقن أنه قد أنجح، وتحقَّق أنه قد أفلح، وأقرب ما يكون العبد من الفرج إذا اشتدَّ البلاء.

[الفَرَجُ بعد الشدة]:

٢ [١٥٠/أ]

ومن الأمثال المشهورة[٢]:/ «اشتدِّي أزمة تنفرجي».

قال علماؤنا: «وإنما كان الفرج عند شدة البلاء لأنه يكون مُضْطَرًّا، والباري سبحانه وعد المضطر بالإجابة وكشف السوء[٣]، ووعد الداعي مطلقًا بالإجابة».

وقد يكون بثلاثة[٤] أوجه كما بيَّنَّاه في اسم «الداعي»، والمضطر إنما يكون بكشف السوء، وقد بيَّنَّا ذلك فيما سبق من كلامنا، ما لم يَرُدَّ الدعاءَ قَدَرٌ، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه صلَّى صلاة أطال[٥] فيها، فلمَّا سلَّم قال له أصحابه: «يا رسول الله، صلَّيت صلاةً لم تكن تصليها، قال: أجل، إنها صلاة رغبة ورهبة، إنِّي سألت ربي فيها ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته ألَّا يهلك أمَّتي بسنة عامَّة فأعطانيها[٦]، وسألته ألَّا يُسَلِّطَ

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): فأخبرت.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سقط من (ص).

(٤) في (ك): لثلاثة.

(٥) في (ك) و(ص): فأطال.

(٦) في (د): فأعطانيه.

عليهم عَدُوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها[١]»[٢].

ونحن مضطرُّون إلى أن لا يكون بأسُنا بيننا، ولكنه أَمْرٌ لم يُمَكَّنْ منه، والله المستعان عليه.

وقد نفى الله الحُزْنَ عمَّن آمن واتَّقى[٣].

فقيل: أراد في الآخرة[٤].

وقيل: لا حزن عليه بمقتضى الحق.

ولكن الحزن نراه[٥] غالبًا على الخلق بفَوْتِ الشهوات، وذلك ممَّا لم يضمن الله نفيَه، بل يضاعفه لمن لم يُرِدْ به خيرًا، فلذلك لا ينبغي الحزن على شيء من الدنيا إلَّا من جهة الرحمة في رقَّة الجنسية، وزوال الأُلفة، أو ذهاب المُعِين على الطاعة، أو فوات الحسنة في بقاء الولد بعد الوفاة.

وانظر إلى الأوَّاه إبراهيم كيف جاء الله في صفته بأبدع بيانٍ، أثبت له فيه أشرفَ منزلةٍ، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٦]، يعني: حزين.

---

(١) بعده في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه عن خباب بن الأرت رضي الله عنه: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته، رقم: (٢١٧٥-بشار).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

(٤) لطائف الإشارات: (١٠٥/٢).

(٥) في (ك) و(ص): تراه، وفي (ب): تارة.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾.

أَمَّا حُزْنُه فلِمَا فَاتَه[١].

وأمَّا حِلْمُه فصبرُه عن[٢] الحزن في موضع الحزن؛ حين أُمر بذَبْحِ ولده فصبر[٣] عليه، وغلَّب الطاعة على المَحْزَنَةِ[٤].

وكذلك وصف ولده بالحلم؛ لأنه قال له[٥] في نفسه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، أي: عزيمتي الآن الصبرُ على إنفاذ أمر الله، فإن شاء الله أن يُديم هذه العزيمة أدامها، وإن شاء أن يُذهبها أذهبها، فجمع بين سعة العلم وحسن الطاعة، والإقرار بالتوحيد لله والمشيئة لله.

وأمَّا وصفه بأنه مُنِيبٌ فمعناه[٦] راجع إلى الله، وكذلك فَعَلَ في كل أحواله؛ بما أتاه الله من رُشْدِهِ في مبدئه ومآلِه.

[مَرَاجِعُ إبراهيم عليه السَّلام]:

ومَرَاجِعُه/ سِتَّةٌ: [١٥٠/ب]

المرجع الأوَّل:

فإنه رجع إلى الله عن الكواكب، فقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٩]، ولم يعتقد قط في أن واحدًا من الأنوار ربُّه، ولا شَكَّ في ذلك ولا استراب به، وإنَّما كان ذلك حجة على قومه.

---

(١) مرَّضها في (د).

(٢) في (ك) و(ص): على.

(٣) في (ك) و(ص): صرم.

(٤) مرَّضها في (د).

(٥) سقطت من (ك) و(ص).

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): فمعنى، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

وقد جهل المفسرون ذلك، وقد بيَّنه النبي ﷺ في الحديث الصحيح فقال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، كلها مَاحَلَ بها عن دين الله، قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧]، وقوله في سارة: هذه أختي، وقوله في الأوثان: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]»[١].

فالصادق يقول: إنها كلها - ثلاثتها - حجة ناضل بها عن الحق.

وكلهم من أهل التفسير والتقصير يقولون: «اعتقد ذلك حتى يتبيَّن[٢] له خلافه»[٣].

والمُسْرِفُ منهم في الجهل على نفسه[٤] يقول فيه[٥]: «كان صغيرًا»[٦]، فلمَّا خرج من الغار ورآه شكَّ فيه.

فكذب على إبراهيم وكفَّره، واعتذر عنه بأنه كان صغيرًا، فسبحان الذي شاء هذه الجهالات، وقدَّر بنشر هذه المقالات، ولو أن هؤلاء الذين[٧] ظلموا أنفسهم بقراءة «كُتُبِ التفسير» تطَّلبوا في القرآن والحديث

---

(١) سبق تخريجه، وينظر: أحكام القرآن: (١٢٦٥/٣)، والعواصم: (ص٢٠٢-٢٠٧).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): تبيَّن.

(٣) تفسير الطبري: (٤٨٠/١١ -شاكر).

(٤) في (ك) و(ص): على نفسه في الجهل.

(٥) سقط من (ك) و(د) و(ب).

(٦) تفسير الطبري: (٤٨٤/١١ -شاكر).

(٧) في (د): الذي.

المعـاني؛ حتَّـى يفـسروا كتـاب الله بكـلام رسـول الله لا بـآرائهم الفاسـدة المُرَكَّبَةِ على عقولهم الناقصة؛ لسَلِمُوا من العثرة التى لا لعًا[١] لها[٢].

المرجع الثاني:

لمَّـا رأى أن قومـه معانـدون لـه مكـابرون، عاصـون لـه منكـرون، متربصون به الدوائر معذِّبون[٣]، حتَّى أنَّ أباه معهم؛ خرج إلى ربـه مهـاجرًا، ورجع إليه معتزلًا منفردًا، فأقام ببيت رامة[٤] على فرسخ من مولـده، مُتَعَبِّدًا في محرابه لا يبرح منه.

[مُقَامُ ابنِ العربي ببيت رامة عاكفًا وعابدًا وذاكرًا]:

وقد دخلناه ليلًا ونهارًا، وذكرنا الله فيه سِرًّا وجِهارًا، واعتكفنا وقرأنـا وصلَّينا أطوارًا، شهورًا وسِنِين، على سَنَنٍ من الهدى مُسْتَبِين، وفـي أطيـب حياة، في مـسيرة أشـهر - لا ليـالي - آمنين، ثـم جاء القَـدَرُ بفُرْقَـةٍ غَـشَتِ القلـوب حُرْقَـةً، فلَـبِسَ[٥] ثـوبَ الحـزن بقيَّـة الـدهر حـين فَقَـدَ أولئـك الأصـحاب، وحـال القَـدَرُ بينـه وبـين أولئـك الأحبـاب، اسـتبدل الأُنْـسَ بالوحشة، والعلماء بالجهَّال، والأولياء بالأعداء، والمعين بالقـاطع، وأَخَـذَ

---

(١) أي: لا انتعاش بعدها، ويقال: لا لعًـا لفـلان، أي: لا أقامـه الله، تـاج العـروس: (٣٩/٤٦١).

(٢) في (د) و(ب): حتى يفسروا كتاب الله بكلام رسول الله لسلموا من العثرة التي لا لعًا لها، لا بآرائهم الفاسدة المركبة على عقولهم الناقصة.

(٣) في (ب): مقدمون.

(٤) قال ياقوت المستعصمي في معجمه: «قريـة مـشهورة بـين غـور الأردن والبلقـاء» (١/٥٢٠).

(٥) أي: ابن العربي.

٢ الضارَّ بدلًا من النافع، وجَالَسَ الزاهد في العلم عِوَضًا من الراغب، وخَالَطَ الأَبِيَّ عن الطريق، النَّافِرَ عن الشريعة؛ بعد المُرِيدِ[١] للعبادة، السَّالك/ [١٥١/أ] سبيل الإرادة، وثافن الحاسد، فصار:

غريبًا عن الأمثال في كل بلدة إذا عظم المطلوب قَلَّ المساعد[٢]

فإنَّا وإيَّاهم كما قلتُ[٣].

المرجع الثالث:

لمَّا تمادى إبراهيم على عَيْبِ الآلهة ورأى أنهم لا يرجعون اعتمد سبيلًا[٤] من[٥] الحيلة في الحُجَّةِ لعلهم يهتدون، فرَصَدَ يوم فِصْحِهم[٦] وخروج جماعتهم إلى مجتمعهم، فخالفهم[٧] إلى الآلهة فكسرها بالفأس، إلَّا أكبرها جِزْمًا، وعلَّق الفأس على الأكبر الباقي، فلمَّا قَضَوا شِرْكَهم -لا نُسُكَهم- وانصرفوا إلى أصنامهم وجدوها حَطَبًا، فأفنَوا الوقت والقول والفعل عَجَبًا، ورَمَوا بالخواطر؛ مَن عسى أن يكون لهذا الخطب فاعلًا؟ فقال قائلهم: ﴿سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، فيحتمل أن يكون[٨] هذا من فِعْلِه، فأُحضر إبراهيم، فقيل له: ﴿ءَآنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا

---

(١) في (د): المريد المريد.

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي في ديوانه: (٣٠٦/١)، وهو من بحر الطويل.

(٣) بعده في (د) -وبخط مغاير-: غريب، وهو نفس البيت الذي تقدَّم.

(٤) بعده في (د) علامة اللحق، وفي موضعه من الحاشية طمس.

(٥) بعده في (د) علامة اللحق، وفي موضعه من الحاشية طمس.

(٦) أي: يوم عيدهم، تاج العروس: (١٩/٧).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): خالفهم.

(٨) في (ك) و(ص): هذا أن يكون.

بِـَٔالِهَتِنَا﴾؟ فلم يُصَرِّحْ بالإنكار؛ لأنه لم تكن[١] في ذلك حجة لله ولا انتصار، وكان يكون كذبًا، فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، وهو كذب في الظاهر كما أخبر عنه مُحَمَّدٌ؛ الصادقان[٢] هو[٣] وإبراهيم صلى الله عليهما، ولكنه على التقرير في معرض الحجة والدليل.

والكذب: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، ولم يكن حرامًا لعينه كما قال الأدباء والقدرية، وإنما هو حرام إذا ضَرَّ، وجائز إذا نفع، وفَرْضٌ إذا دفع مكروهًا عن أحد.

قال لهم إبراهيم: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ مُتَبَيِّنِينَ للحجة عالمين، ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٤]، إقرارًا بوجه الدلالة، ثم غلبتهم سابق[٥] الأَنَفَة، واستولت عليهم الألفة بسابق المقادير، فنُكِسُوا على رؤوسهم، ومشوا في المقال مُكِبِّينَ على وجوههم، فقالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥]، قال لهم مُصَرِّحًا عن الرُّغْوَةِ، متدانيًا إليهم عن غَلْوَة[٦]، سابقًا في ذلك جميع الخلق لأقصى[٧] رُتْوَة: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ

(١) في (ك): يكن.

(٢) في (د): الصادق إن.

(٣) في (ك): وهو.

(٤) في النسخ: وقالوا.

(٥) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) في (د): مترانًا باللم.

(٧) في (ك) و(ص) و(ب): بأقصى.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[(١)] [الأنبياء:٦٦]، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٧]، فعرَّضوه لأعظم بلاء الله، وهو الحرق بالنار، وقصدوا/ الأُشنوعة به[(٢)]، فبَنَوا له بنيانًا، وأضرموا النار أيَّامًا، وتواعدوا له، ثم رَمَوْهُ بالمنجنيق فيها؛ لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يَدْنُوَ أَحَدٌ منها لعِظَمِها، فلمَّا ألقوه فيه[(٣)] قال الله لها[(٤)]: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ ليَعْلُوا به عليه، فجعلهم[(٥)] الأسفلين تحته، وليربحوا الراحة بفَقْدِه[(٦)]، فجعلهم ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ بأن أظهره وأخفاهم، وأَقْدَرَهُ وعجَّزهم[(٧)].

٢ [١٥١/ب]

[اعتكافُ ابن العربي وشيخه برابطة المنجنيق]:

كنَّا نخرج مع شيخنا أبي بكر الفِهْرِي على «باب أَرِيحَا» إلى «عين لِفْتَة»[(٨)]، ونركب الطريق في منزل بعد منزل؛ أربعة بُرُدٍ إلى ثلاثة بُرُدٍ، إلى «نَابُلس»؛ خَيْفَيْنِ[(٩)] بين جبلين، يخرج من أحد الجبلين عين كبيرة،

---

(١) في النسخ: أتعبدون.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (ك) و(ص): فيها.

(٤) سقطت من (ك).

(٥) في (ك): فجعلناهم.

(٦) في (ك) و(ص): لفقده.

(٧) في (ص): أعجزهم.

(٨) عين لفتة: ماء عين باردة تتوسط قرية لفتة، والقرية مجاورة لبيت المقدس، تبعد عنها بحوالي مِيلَيْنِ، وبها بعض المعالم التاريخية.

(٩) في (د): حفين، وقد تكون: حَافِين.

وباقيهما[١] عيون تسقي الأخياف، وينحدر[٢] إلى الوادي فيسيل لبساتين، فيها من كل فاكهة زوجان، ونخل ورمَّان، وما تشتهي من ثمار الدنيا نَفْسُ الإنسان، وفي أعلى الجبل الأدنى إلى بيت المقدس البُنيان الذي كان فيه المنجنيق، وقد اتخذه الناس رابطة، فنُقِيم هنالك معتكفين مُتَدَرِّسِينَ للعلم أيَّامًا مُتَنَعِّمِين، وبجنبها في بطن الوادي مُسْتَوْقَدُ النار، رمادًا مُتَّصِلًا في باطن الأرض إلى الماء.

[سببُ تسمية نابلس بهذا الاسم]:

فسألتُ قاضيها ابن خالد[٣] ورئيسها ابن مزهر[٤] عن معنى تسميتها «نَابُلس»، فقالوا لنا بأجمعهم: إن هذا الوادي كانت به حيَّة يقال لها: «لُس»، وكان[٥] قد حَمَتْ غِياضه وحرَّمت مياهه، حتى قُتلت بحكاية طويلة، ثم عُلِّقَ نابُها لِعِظَمِه على باب المدينة، آية وعبرة، فقال الناس: «نَابُ لُسَّ»، وكتبوها مُتَّصِلَةً لكثرة الاستعمال.

[عِفَّةُ نساء نابلس]:

وهي بلدة مشحونة بالزهَّاد والعلماء والأخيار، وما رأيتُ أعفَّ من نسائها، ولا حَيَاءَ مُخَدَّرَةٍ؛ تمشي عمرك في الطريق لا يقع[٦] عينك فيها على امرأة إلَّا يوم الجمعة؛ فإن النساء في المسجد أكثر من الرجال، فإذا

---

(١) في (ك) و(ص): باقيها.

(٢) في (ك) و(ص): تنحدر.

(٣) لم أقف له على ترجمة، هو والذي بعده.

(٤) في (ك) و(ص): مزهد.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): كانت.

(٦) في (ك) و(ب): تقع.

صلَّين ركعتين(١) رجعن(٢)، فلا تقع عَيْنٌ على امرأة إلى الجمعة الأخرى(٣).

[مناظرةُ ابن العربي ليهود نابلس]:

وهي في الأصل بلد «السَّمَرَة(٤)»(٥)، لهم كانت، وفيها كنَّا نجتمع معهم للمناظرة، ونُفاوض أحبارهم في الحجاج والأدلة، وهم في اليهود كالمُشَبِّهَةِ والحَشَوِيَّة في الإسلام.

[نصرُ بن إبراهيم النابلسي]:

وهذه البلدة(٦) هي مولد شيخنا أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي؛ إمام الشام في العلم والتعرف(٧)، وزاهده في العمل والتصرف(٨).

[١٥٢/أ] **قال الإمام الحافظ**(٩): فرجع إبراهيمُ حينئذ إلى الله/ مُصَرِّحًا بالدلالة، كاشفًا لوجه الحجة، مجاهرًا بالحق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كائنًا في ذلك ما كان، وأَعْرَضَ عن الخلق ونَبَذَ التقيَّة، فلو شاء ربنا لعصمه

---

(١) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) سقطت من (د).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (٣/١٥٣٥).

(٤) في (ب): السَّحرة، ومرَّضها، وفي الطرة: السَّامرة، بخط مغاير لخط الأصل.

(٥) السَّمرة: فرقة من اليهود، ما تزال إلى يومنا هذا بنابلس، ينظر: العواصم: (ص٤٥).

(٦) في (ك) و(ص): البلد.

(٧) في (ك) و(ص): التصرف.

(٨) في (ك) و(ص): التصوف.

(٩) في (ك): قال الإمام الحافظ ﷺ، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

من يد نُمروذ ولم يُمَكِّنْ منه إلى المنجنيق، وكان في الظاهر أقرب إلى النصرة[١]، ولكنْ حِفْظُه في النار من أن يمسَّه أَلَمُها[٢] أَتَمُّ في باب النصرة، وأَبْيَنُ في الحجة، وأثبت للمعجزة، ولولا أن النار قيل لها: ﴿وَسَلَمًا﴾؛ لقتله البَرْدُ كما كان يقتله الحَرُّ، ولكن الباري قَلَبَ لهم نارهم إلى الضِّدِّ في البرد من الحر، وسَلَّمَ وَلِيَّهُ، فكانت آيَتَيْنِ في آية.

وقال[٣] أهلُ الإسرائيليات: «إنه لمَّا صار في المنجنيق تعرَّض له جبريل، فقال له[٤]: ألك حاجة؟ فقال له: أمَّا إليك فلا، زاد بعضهم: فقال له الله: إن قال لك: «نعم»؛ فاتركه، وإن قال لك: «لا»؛ فامْرُرْ بجناحك على النار؛ حتى يكون[٥] عليه بَرْدًا وسلامًا»[٦]، وذلك كله ممكن، فربك[٧] أعلم بما كان.

المرجع الرابع:

إنَّه لمَّا سار بزوجه سَارَةَ في أثناء الهجرة نزل بمصر[٨]، فتحدَّث الناس بجمال سارة، فأرسل إليه مَلِكُها[٩] أن يبعث بها إليه، فسلَّمها ورجع

(١) في (ص): المضرة.
(٢) في (د): تمتد إليه.
(٣) في (ك): قال.
(٤) قوله: «فقال له» سقط من (د) و(ب).
(٥) في (ك) و(ب): تكون.
(٦) لطائف الإشارات: (٢/٥٠٩).
(٧) في (ك) و(ص): ربكم.
(٨) في (د): في مصر.
(٩) سقط من (ك)، وفي (ص): جبَّارها، وفي (ب): الملك.

إلى الله فيها، ونصب قَدَمَيْهِ يصلي، فغطَّ الكافر عنها ثلاث مرات، وقال للذي جاءه بها: «لم تأتني بإنسان، وإنما جئتني بشيطان»[(١)]، وصرفها وأخدمها هاجر، وكان قال لها[(٢)]: «إن سألك فقولي له: إنك أختي؛ فإنه ليس على الأرض مسلم غيري وغيرك»[(٣)]، ولو شاء لقال لها: قولي: إنَّك[(٤)] زوجتي[(٥)]، ولكنَّه عَدَلَ إلى الأخوَّة عن الزوجية لفائدتين عظيمتين، بيَّنَّاهما في «كتاب النَّيِّرَيْنِ في شرح الصحيحين».

وقد قال النبي ﷺ في بعض الروايات: «ثِنْتَيْنِ منها في ذات الله، قوله: ﴿هَـٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]»[(٦)].

المرجع الخامس:

مبادرته إلى الامتثال بذَبْحِ[(٧)] ولده إسماعيل، واعجبوا لصبر إبراهيم على ذبح ولده، ولصبر إسماعيل لذبح نفسه، حتَّى لقد تكلم الناس في أيِّ الصبرين كان أعظم؟ وأيِّ البلاءين كان أشد؟

فقيل: «بلاءُ إسماعيل أشد؛ لأنه جاءه الذبح من يد المُرَبِّي، والهلاك من سبب العيش، والإتلاف من طريق الإيجاد، فلمَّا جاءه الأمر من حيث

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) في (ك) و(ص): وقال: إن سألك.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): زوجه.
(٦) سبق تخريجه، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٤/٢٢٣-التركي).
(٧) في (ك) و(ص): لذبح.

لـم يحتـسب كـان بـلاؤه أشـد، وكانـت إنابتـه ورجوعـه عـن نفـسه إلـى ربـه أعظم»[١].

وقيل: «بل بلاءُ إبراهيم كان أشد، ورجوعه إلى الله كان أعظـم؛ لأنـه كُلِّف أن يذبح/ ولدًا ربَّاه، ورجاءه في حياتـه ومماتـه، فـابتُلِيَ بفَقْـدِه، وأن يعيش من بَعْدِه»[٢]. ٢ [١٥٢/ب]

وقال إبراهيم: ﴿يَـٰبُنَيَّ﴾، وهذه غايـة اللَّطافـة، ثـم عقَّبـه بقولـه: ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾، وهذه نهاية الغلظة، فكيف يجتمعان[٣]؟

المعنى: ﴿يَـٰبُنَيَّ﴾؛ على لُطْفِكَ في قلبي لا بـد أن أُطيـع فيـك ربـي، قال له ابنُه – وكان مثله –: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ [الصافات:١٠٢].

قال العلماء: «اتخذ الله إبراهيم خليلًا؛ فكان قلبـه كلـه لـه، فلمَّـا وُلِـدَ إسماعيل صار له من فؤاده جزءًا[٤]، فابتلاه الله بذبحه حتـى تفـرَّغ عـن قلبـه حبـه[٥]، ويبقـى لله صَـفِيًّا[٦] فـي الحقيقـة والجلالـة[٧]، ويـتمكَّن فـي التَّـامُورِ والجُلْجُـلَانِ[٨]، ولا يبقـى لإسـماعيل هنالـك مكـان، وحتـى يكـون حـبُّ

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٢٣٩).

(٢) لطائف الإشارات: (٣/٢٣٩).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٢٣٩).

(٤) في (ك) و(ص): جزء.

(٥) في (ك) و(ص): يفرغ قلبه عن حبه، وفي ب: يفرغ عن حبه.

(٦) في (ب): صافيًا.

(٧) في (ك) و(ص): الخلالة.

(٨) التامور والتأمور، بهمز وبدونه، يطلق ويقصد به القلب نفسه، وحبَّتـه، وحياتـه، ودمه، وعُلْقَته، وكذلك الجُلجلان، تاج العروس: (١٠/٧٨).

إسماعيل عَوَّامًا على صفحة الفؤاد، خارجًا عن موضع الاعتماد والاعتداد؛ وهي السُّوَيداء التي تعرف بالسواد، وليست عَلقة الدم التي هي حَظُّ الشيطان، ولكنها التي ينشأ الفؤاد عنها، وهي أدهم بقعة فيه وأخضرها».

فلَعَمْرُ إلهكم لقد كان كذلك، ولقد ظهر[1] من فراغ دخيل قلب إبراهيم من إسماعيل بحيث بادر إلى ذبحه واستهلاكه في أمر الله، ويرجع بعده إلى الله.

المرجع السَّادس:

بَدَنُه؛ أمر فيه بثلاثين خصلة، قد بيَّنَّاها مشروحة في «التفسير»[2]، فانقلوها منه، واسردوها إن احتجتم إليها على الترتيب القانوني.

فرجع إبراهيم عن نفسه إلى ربه، ووفَّى بجميع ما ابتلي به وفيه[3]؛ من صبوته إلى مَشِيخَتِه، دون ضلالٍ عن رُشْدٍ، ولا غفلةٍ عن ذِكْرٍ، ولا إسقاطٍ لحق، ولا إخلالٍ بقَدْرٍ.

فرأيتُ[4] لبعض العارفين[5] في ذلك كلامًا بديعًا، قال: «وفَّى بأربع؛ بمَالِه للضِّيفان، وبدنه للنِّيران، وولده للقُربان، وقلبه للرَّحمن».

وقد قال النبي[6] ﷺ: «عشر من الفطرة»، فذكر المهم من خصال الفطرة، ولم يذكر في الصحيح باقيها، فربكم أعلم بها، والعَشْرُ[7] هي ما

---

(١) في (د): طهر.
(٢) ينظر: أحكام القرآن: (١١٨٤/٣).
(٣) في (ك) و(ص): فيه وبه.
(٤) في (ك) و(ص): قرأت.
(٥) في (ب): الناس.
(٦) في (ص): مُحَمَّدٌ.
(٧) في (ك): العاشر.

خرَّج مُسْلِمٌ عن عائشة: «عشر من الفطرة؛ قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»[١].

قال مصعب بن شيبة - راويه[٢]-: «ونسيتُ[٣] العاشرة، إلَّا أن تكون المضمضة»[٤]، ولم يروه غير هذا الناسي، وقد تكلَّموا فيه.

وقد قال الله تعالى لنا: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ [الروم:٣٠].

يعني: راجعين إليه بالاعتقاد والأقوال والأعمال.

٢ [١٥٣/أ]

وقال تعالى لنبيه ﷺ:/ ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٤].

قال أهل الزهد: «المُنِيبُ هو الراجع إليه حقًّا، من غير أن تبقى له بقيَّة في نفس».

وكذلك كان النبي؛ فقد امتثله على الإطلاق، واهتدى بهديه وحقَّق الاقتداء بأبيه إبراهيم فيه، وبذلك مع ما زاد من فضل الله عليه سبقه ولسائر الأنبياء في المنزلة.

وقال لنا: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥١].

قال لنا أبو الفضائل بن طَوْقٍ: قال الأستاذ أبو القاسم القُشَيري: «الفرق بين التوبة والإنابة؛ أن التوبة هي الرجوع خوف العقوبة، والإنابة الرجوع حياءً من كَرَمِه»[٥].

---

(١) تخريجه في الذي بعده.

(٢) في (د): رواية.

(٣) في (ك) و(ص): نسيت.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم: (٢٦١- عبد الباقي).

(٥) لطائف الإشارات: (٢٨٨/٣).

وقال: «التوبةُ الرجوع عن المعاصي والذنوب، والإنابة الرجوع بكل شيء».

ويحتمل أن يقال: التوبة الرجوع عن ذنب إلى طاعة، والإنابة الرجوع إليه من الرأيين.

فلَعَمْرُ إلهكم لقد فعلتْ ذلك هذه الأمة، فلذلك سبقت مع رسولها، وفي حُرمته سائر الأمم، فقال النبي ﷺ: «نحن الآخرون السَّابقون»[1]، وجاء من هذا أن «المُنِيبَ» هو «المُطِيعُ».

* * * * *

---

(١) سلف تخريجه.

المُطِيعُ[١]: وهو الاسمُ الثالث عشر ومائة[٢]

وهو اسمٌ عظيمٌ، انفرد به أهلُ السُّنَّةِ، ليس للمبتدعة - وخصوصًا القدرية - فيه حَظٌّ، وقد أحكمنا فيه الكلام - بفضل الله - في «المتوسط»[٣] و«التمحيص»، فلينظر فيها[٤] إن شاء الله.

وحقيقةُ الطاعة عندنا: هو الفعل الواقع على مقتضى الأمر والنهي.

وحقيقةُ الطاعة عندهم: وقوع الأمر على مقتضى المراد.

بناءً على أصلهم الفاسد وعَقْدِهم الحائد في أن الله لا يريد المعاصي ولا يُقَدِّرُها، وقد بيَّنَّا فساد ذلك في موضعه، فتعالى أن يكون في مُلْكِه ما لا يريد، ولو أن شيخ قرية يكون فيها ما لا يريد لنُسِبَ إلى العجز[٥] والوهن، فكيف[٦] يكون في مُلْكِ رَبِّ العالمين ما لا يريد؟

والطاعة عندنا أعمُّ من القُرْبَةِ؛ فإن النظر الأول يقع طاعة، ولا يصح أن يقع قربة للجهل بالمتقرَّب إليه، حسب ما بيَّنَّاه من قول العلماء، وأوضحناه في حقيقته في «كتب الأصول».

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثاني عشر والمائة، وفي (ص): الرابع ومائة، وفي (ب): الثالث والمائة.

(٣) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٤٤٨-٤٤٩).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): فيه.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): للعجز.

(٦) في (ك): وكيف.

وقالت الصوفية: «إن الطاعة موافقة المحبوب على ما يحب[١]».

وهذا لا يصح؛ فإن موافقة المحبوب على ما يريد أوقع، ولكنه لا يصح أن تُعَلَّقَ به الطاعة.

وهذه كلها أقوال غير محققة؛

أمَّا مِن المبتدعة فقَصْدُ الفتنة وإضلال الخلق؛

٢ وأمَّا من الصوفية فمُسَامَحَةٌ في الألفاظ من غير فساد عقيدة، [١٥٣/ب] والحقائق/ لا تحتمل مسامحة الألفاظ.

قال الإمام الحافظ[٢]: وحيثما وقعت الطاعة في القرآن فإن المراد بها ما قدَّمناه آنِفًا في حقيقتها؛ وهي موافقة الفعل للقول المتوجه عليه، وكذلك هو في كتاب الله وفي حديث رسول الله، إلَّا أن المبتدعة تحيَّلُوا[٣] فخَيَّلُوا على الضعفاء في أن الأمر هو الإرادة، فلم يتم لهم ذلك إلَّا على ضعيف.

وقد قال الله مُخْبِرًا عنَّا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٤]، فمن قالها فله ما قال في الحديث: «نَعَمْ نَعَمْ، نَعَمْ نَعَمْ»، فأُعْطُوا الإجابة في الخصال الأربعة لمَّا قالوا فيها[٤]: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

---

(١) في (د): يجب.

(٢) في (ك) و(ب): الإمام الحافظ رضي الله عنه، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه.

(٣) في (ص): تخيلوا.

(٤) سقطت من (ك).

وجعل طاعة رسوله من طاعته فقال: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾[١] [آل عمران:٣٢]، وجعل النبي طاعة أميره من طاعته فقال: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله»[٢]، وقد تقدَّم بيانُ ذلك كله في اسم «الأمير[٣]»[٤].

ونصَّ في موضع آخر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٨].

فقال الناس: هم الأمراء[٥].

وقال قوم: هم العلماء[٦].

وإنَّما أوقع الناسَ في هذا أنهم رَأَوُا الأمراء جُهَّالًا، والحَقُّ ألَّا يكون العامل إلَّا عالمًا، إلَّا لضرورة وحاجة تدعو إلى ذلك.

وتلزم طاعة الأمير فيما أَمَرَ وحَكَمَ، وطاعةُ العالم فيما أفتى وأخبر، وكلَّما تأكَّد الأمر تأكَّد الأمر[٧] فيه بالطاعة، ألا ترى أنَّ الخمر لما قيل فيها: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩٣]، وهذا وعيد عظيم، فَهِمَه عُمَرُ وأمثاله، ثم

---

(١) في (د): ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وفي (ص): ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وفي (ب): ﴿أطيعوا الله والرسول﴾.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (د): الأمراء.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): والخليفة، وضرب عليه في (د).

(٥) تفسير الطبري: (٨/٤٩٧-شاكر).

(٦) تفسير الطبري: (٨/٥٠٠-شاكر).

(٧) قوله: «تأكد الأمر» ضرب عليها في (د)، ظنَّها مكررة.

أكــدَّه فقــال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٤]، فمــن انصرف عن الطاعة وتمادى على المخالفة لم يلحق للرسول من ذلك وَصْمٌ؛ لأنه قد أدَّى ما عليه.

وفي البخاري عن أبي هريرة: قال النبي: «كل أمتي يدخل الجنة إلَّا من أبى، قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة»[1].

والطاعة موجودة صورة في كل مخلوق، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَٰلُهُم﴾ [الرعد:١٦]، واختلف الناسُ في هذه الطواعية؛ هل هي مقرونة بإرادة، أم هي عبارة عن تصورها بالفعل المأمور به؟ وقد بيَّنَّا حقيقة ذلك في «المشكلين» و«التفسير» وغيره.

وقد ذَمَّ الله من سمع فلم يُطع، وعصى ولم يمتثل، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء:٤٥]، وهذا يدخل/ فيه كُلُّ من ترك الطاعة وخالف الشريعة. ٣ [١٥٤/أ]

[التحذيرُ من رواية الإسرائيليات]:

وقال لنا: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠]، وهذه آية عظيمة، مُنَبِّهَةٌ من الشريعة على منزلة كريمة، وقد تركها قوم فقبلوا من أهل الكتاب وأطاعوهم ورَوَوا عنهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٧٢٨٠-طوق).

ما لا يجوز على الله، ولا يصح في دين الله، كقولهم: «إن الله كلَّم موسى بكل لسان، وأنه كلَّمه بالبربرية، وسمَّى له نفسه بها»[١]، وهذا كذب بواح[٢]، وكُفر صُراح، الباري كلَّم موسى دون واسطة، وليس لكلامه كيفية؛ لا عربية، ولا عجمية، ولا مِثْلَ لذاته، ولا لصفاته، ولا لكلامه، فكَفروا من حيث لا يشعرون، وباؤوا بغضب على غضب من حيث لا يعلمون.

أمَّا ربنا فأَسْمَعَ موسى كلامه الذي ليس له كيفية، على الوجه الذي بيَّنَّاه في «كتب الأصول»[٣].

وأمَّا ما أَنْزَلَ عليه وكَتَبه له من التوراة وفي الألواح من قولهم: «يوشاف»[٤]؛ فإنما كتبه له[٥] بالعبرانية؛ «هبرئى أُوثُوا هِفرْيَثى أوثوا هُوَّذْ لِأَذُو نَاْي»، وشِبهه من قولهم: «يوشاف أَذُونَايْ يَانَ أَحَارْ»، فيما ذَكَرَ له من الفضلاء، وسمَّى[٦] له من الأنبياء.

[جوازُ التكلم بغير اللسان العربي]:

وقد تكلَّم النبي بالعبرانية فقال[٧]: «بَالَام[٨]»، وتكلَّم بالفارسية فقال

---

(١) تفسير الطبري: (٩/٤٠٦ -شاكر).

(٢) في (د): براح.

(٣) المتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٢١٨-٢٢١).

(٤) قوله: «من قولهم: يوشاف» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) سقط من (د).

(٦) في (د): قد سمى.

(٧) في (ك): وقال.

(٨) في (ك): يالاو، وفي (ب): يَالَا.

لسلمان: «اشكفه دَرْد[١]»، وتكلَّم بالاصطلاحية[٢] مع العجم من الصبيان وأمثالهم من البهائم، فقال للحسن: «كَخْ كَخْ»[٣]؛ يأمره[٤] بطرح التمرة الصَّدَقِيَّة مِن فِيهِ، كما يُحَذَّرُ الصبيان، وكما يقال للدابة: «بَسْ بَسْ[٥]»، و«حَلْ حَلْ[٦]» للعِجل، و«أَرْ أَرْ[٧]».

وقال البخاري[٨]: «بابُ ما يجوز من الكلام بالفارسية»[٩].

وذكر بعضُ أصحابنا أنه لا يجوز التكلم بالعجمية، وزاد آخرون فقالوا: «إنَّ من فعل ذلك أَثِمَ».

وتحقيق القول فيه أنَّ لكل أمة لسانهم، كذلك أُنزلت عليهم الكتب، وأرسلت عليهم الرسل، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥]، ولو أنَّ الله يكلم أحدًا بكل لسان لكان مُحَمَّدٌ ﷺ بذلك أولى؛ لعظيم منزلته على الخلق، لكن إذا كان الناس في جماعة وكلهم من صِنْفٍ واحد فليتكلَّموا بلسان واحد، وإن كانوا صِنْفَيْنِ فليتكلَّم العربي بعربيَّته، فإن كان فيهم أعجميون لا يعلمون غير لسانهم فلهم أن يتكلموا به، فإن

---

(١) في (ك): اشْكَمْبِ، وفي (ب): اشكنذرد.

(٢) في (ص): الاصطلامية.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، رقم: (٣٠٧٢-طوق).

(٤) في (ك) و(ص): فأمره.

(٥) فوقها في (د): زَجْر.

(٦) فوقها في (د): قُمْ.

(٧) فوقها في (د): امش.

(٨) بعده في (ك): في.

(٩) الجامع الصحيح: (٥/٧٣-طوق).

علموا العربية فلا يتكلَّموا بحضرة العرب إلَّا بلسانها؛ لأنَّهم إن خرجوا إلى لسانهم كان من باب المناجاة المنهي/ عنها، ولا ينعكس هذا في العرب، لأنَّ لسانهم الأصل في الشريعة، والفَرْعُ يُرَدُّ إلى أصله. ٢ [١٥٤/ب]

وقد روى مالك في «الموطأ»: «أن عمر رأى بيد كَعْبٍ مُصْحَفًا قد تَشَرَّمَتْ حواشيه، فقال له: ما هذا؟ قال له كعب: التوراة، فقال له عمر: إن كنت تعلم أنها التوراة التي أُنزلت على موسى يوم طُورِ سيناء فاقرأها»(١).

وهذا نهيٌ عنها له، وتحذيرٌ من التعلق بما لا أصل له.

[من شروط رواية الإسرائيليات]:

ولا ينبغي أن يُحكى عنهم إلَّا ما يشهد القرآن بصحته، فإذا قالوا هم أمرًا جائزًا لم يكن له عندنا أصل لم نُصدِّقهم ولم نكذبهم، وإن قالوا ما يَرُدُّه العقل رددناه عليهم، ولم يَحِلَّ لنا أن نسمعه، فكيف أن نرويه؟

[من شروط الطاعة]:

ولا تتحقَّق الطاعة للعبد إلَّا إذا كان دائرًا مع الأوامر والمندوبات، والنواهي والمكروهات، ومع الذكرى دون الغفلات، والحذر من المعاقبات، ففي الصحيح - واللفظ للبخاري -: قال العلاء بن المسيب: «لقيت البراء، فقلت: طوبى لك؛ لقيتَ رسول الله، وبايعته تحت الشجرة، قال: يا(٢) ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»(٣).

---

(١) تقدَّم تخريجه في السِّفْرِ الأوَّل.

(٢) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم: (٤١٧٠-طوق).

وإلَّا فبذلك المقدار ينقص من طاعته، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة وعنه كانت العبارة بالحديث الصحيح: «بايعتُ رسول الله على السمع والطاعة، والنصح لكل مسلم»[(١)].

وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[(٢)].

وفي الحديث الصحيح: «الطاعة في المعروف»[(٣)].

وطاعة الأب متعينة كبِرِّه، وطاعة المتعلم لمُعَلِّمِه، وطاعة الصغير للكبير في تصريفه، وفي كل واحد خَبَرٌ وسُنَّةٌ، بيانُها في «أنوار الفجر».

نكتة:

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه[(٤)]: كل آية فيها ذِكْرُ السمع والطاعة مُعَقَّبَةً[(٥)] بقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [المائدة:١٠١]، فإن الأمر بالسمع والطاعة مُحْكَمٌ، وقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ منسوخ.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن جرير رضي الله عنه: كتاب الأدب، بابٌ في النصيحة، رقم: (٤٩٤٥-شعيب).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم: (٧١٤٤-طوق).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، رقم: (٧٢٥٧-طوق).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): معقبًا.

مغالطة:

وقد غالط بعضُ الناس بأن قال: «إن الطاعة إنما هي موافقة المحبوب»، كما قدَّمنا، قالوا: وفي الحديث الصحيح: إن النبي قال: «المرء مع من أحب»[١]، ولا يطاع إلا المحبوب، ولا يحب إلَّا المطاع.

٢ [١٥٥/أ]

قلنا: قد[٢] بيَّنَّا فيما سلف أنَّ محبة الله فرض، وبيَّنَّا معنى/ محبَّته، وكما أن محبته فرضٌ فطاعته فرضٌ، وليس أحدُ الفَرْضَيْنِ مُوجِبًا للآخر، وإنما فَرَضَ[٣] الله كل واحد منهما، وإن وجد الإنسانُ في نفسه طاعةَ المحب وحُبَّ المطاع فإنما ذلك لما له فيها من الأغراض الدنياوية، ويتوكَّف[٤] عليها من الأعواض[٥]، وتقاضي الآمال، وانكفاف الأذى، وطاعةُ الله إنما مُتَعَلَّقُها الأمر والنهي، والثواب والعقاب؛ إقْدامًا وكَفًّا، وقد سبق تحقيقُ ذلك كله.

[بعضُ معاني الودود]:

أَمَا إنَّ الناس قد تكلَّموا في اسم «الودود»، وذكروا - كما بيَّنَّا في «الأمد الأقصى»[٦]- أنه قد يكون ودود بمعنى أنه يَوَدُّ غيره، ويكون بمعنى أنه يودُّه غيرُه، وإن الباري سبحانه لودود ومودود[٧]، ولكنْ لأهل ولايته،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سقط من (ك).

(٣) في (د): فرضه لله.

(٤) في (ب): يتركب.

(٥) في (ب): الأغراض.

(٦) الأمد الأقصى - بتحقيقنا -: (١٠١/٢).

(٧) في (ك) و(ص): مودود.

وأرباب طاعته، وأصحاب خِدمته، وقد يكون «الودود» من أسماء العبد، وهو الاسم الذي تقدَّم بيانه، وتمامه هاهنا، ويكون معناه: أنه يَوَدُّ الله ورسوله وأصحابه، والعلماء والأخيار، والخير كله في الدنيا والآخرة.

والعَبْدُ لا يَوَدُّ في الدنيا إلا العافية، دخل النبي على مريض يعوده وهو مثل الفرخ، فقال له: «ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت مُعَاقِبِي به في الآخرة فعَجِّلْه لي في الدنيا، قال: إنك لن تطيقه، قل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٩٩]»[١]، فتكون حسنة الدنيا في هذه الآية: العافية.

قال القاضي أبو بكر[٢]: وقد تكلَّمنا عليها في صدر الكتاب؛ في اسم «الحاجِّ»[٣].

وقد يدخل «الودود» مدخل «المتمني»، في الترمذي: قال النبي ﷺ: «يودُّ أهل العافية في القيامة حين يُعْطَى أهلُ البلاء الثوابَ لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ في الدنيا بالمقاريض»[٤].

وفي مقابلة قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، إذا رأى المشركون أن المسلمين قد دخلوا الجنة وقد غفر لهم، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، فيسألون الرَّجْعَةَ ليستدركوا العمل، فلا

---

(١) سبق تخريجه في السِّفْرِ الثاني.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): قال.

(٣) في السِّفْرِ الثاني.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر رضي الله عنه: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٠٢-بشار)، وضعَّفه.

يُرَاجَعُونَ، فينكرون أنهم كانوا مشركين، فتنطق الجوارح شاهدةً عليهم، فيسقط ما بأيديهم.

قال أهل التفسير: «كلمة ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ للتقليل، وهي هاهنا للتكثير»[١].

٢
وهذا كلام/ من لم يفهم القرآن[٢]، بل هي على بابها للتقليل، [١٥٥/ب] والمراد بذلك: أن وُدَّهم يكون مرة واحدة في ساعة واحدة، وآمَالُهم ووُدُّهم كان مرارًا في أزمنة متعددة، فـ«ربَّما» على بابها، والحمد لله.

[مَوَدَّةُ قرابة رسول الله ﷺ]:

ولا يكون العبدُ وَدُودًا حتى يَوَدَّ قرابة رسول الله؛ فإن ذلك أجرُه في تبليغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ من مال الدنيا، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢١]، والناس في تأويل ذلك على أربعة أقوال:

أحدها: ألا تؤذوني في نفسي لقرابتي منكم[٣].

الثاني: أن تَوَدُّوا قرابتي[٤].

الثالث: أن تَوَدُّوا الطاعة التي يُتقرَّب بها إلى الله[٥].

الرابع: ألَّا تؤذوا قرابتكم وتقطعوا أرحامكم[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجَّاج: (١٧٣/٣)، وأبطله بمثل ما أبطله به ابن العربي هنا.
(٢) في (ك) و(ص) و(ب): القول، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.
(٣) تفسير الطبري: (٢٠/٤٩٥-التركي)، وفيه: تودوني.
(٤) تفسير الطبري: (٢٠/٤٩٩-التركي).
(٥) تفسير الطبري: (٢٠/٥٠٠-التركي).
(٦) تفسير الطبري: (٢٠/٢٠١-التركي).

والذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس: قال طاوس: «سئل ابن عباس عن قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد: قُرْبَى آل محمد، فقال ابن عباس: أُعْجِلْتَ؛ إن رسول الله لم يكن بَطْنٌ من قريش إلَّا له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم من القرابة»[١].

والذي تقتضيه الآية بظاهرها أن الله لا يطلب من العباد أجرًا؛ لأنه يتقدَّس عن ذلك[٢]، وقال[٣] لرسول الله تشريفًا له[٤]: لا تطلب عليه أجرًا لأنك شفيع وكريم، فلا تأخذ عليه عِوَضًا، فذلك تمامُ الشرف والكرم الذي بلَّغناك إليه، إلَّا أنَّ عليكم أن تَوَدُّوا قرابتي فَرْضًا مُتَعَيِّنًا، فالخطابُ يتناول جميع الأمم، فحَظُّ آل هاشم يختصُّ بقريش، وحظٌّ قريش يختص بالعرب، وحظ العرب يختص بالأمم، وهذا نفيس لمن تأمَّله، لم أُسبق إليه، ولم أُزْحَمْ عليه، والله ينفع به.

قال النبي ﷺ: «اللهم أَذَقْتَ أَوَّلَ قريش نَكَالًا، فأذق آخِرَهم نَوَالًا»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، ﴿حم عسق﴾، رقم: (٤٨١٨-طوق).

(٢) قوله: «عن ذلك» سقط من (ك) و(ب).

(٣) في (ك): قالوا.

(٤) قوله: «تشريفًا له» سقط من (ك).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس ﵄: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل الأنصار وقريش، رقم: (٣٩٠٨-بشار).

ورُوِي عن النبي أنه قال: «الناس تَبَعٌ لقريش؛ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لمُسْلِمِهِمْ، وكافرُهم تَبَعٌ لكافرهم»[١].

وفي الصحيح - أيضًا -: أنَّ معاوية قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش؛ لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»[٢].

وفيه -أيضًا-: «قريش والأنصار وجُهَينة ومُزَينة وأَسْلَم وأَشْجَع وغِفار موالي، ليس لهم مولى دون الله ودون رسوله»[٣].

ورُوي عنه أنه قال: «إنَّ[٤] سَامَ أبو العرب، ويافثَ أبو الروم، وحامَ أبو الحبشة»[٥].

ورُوي أن النبي/ قال لسلمان: «لا تبغضني فتفارق دينك، قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضني»[٦]، وهو حديث حسن، صحيح المعنى. [١٥٦/أ]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، رقم: (١٨١٨-عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، رقم: (٧١٣٩-طوق).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجُهَينة، رقم: (٢٥٢٠-عبد الباقي).

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن سمرة بن جندب ﵁: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل العرب، رقم: (٣٩٣١-بشار)، وحسَّنه.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل العرب، رقم: (٣٩٢٧-بشار)، وفيه انقطاع.

وقال النبي ﷺ - في الصحيح -: «إن الصدقة لا تحل لآل مُحَمَّدٍ، إنَّما هي أوساخ الناس»[١].

وفي الصحيح: «الأئمة من قريش»[٢].

وهي دعوة إبراهيم صلَّى الله عليه[٣] في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [البقرة:١٢٣].

[مَوَدَّةُ أصحاب رسول الله]:

ولا يكون وَدُودًا حتى يَوَدَّ أصحاب مُحَمَّدٍ، وقد بيَّنَّا فَضْلَهم، وقد قال الله مُعَلِّمًا لنا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فمن كان له في قلب أحد منهم غِلٌّ فلا حَظَّ له في الفيء، كما قال مالك[٤].

وقال النبي ﷺ: «لن تمسَّ النارُ أحدًا رآني»[٥]، خرَّجه الترمذي.

[قولُه تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾]

وقد قال الله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٦٤] الآية، فيها ثلاثةُ أقوال:

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر ﵄: كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، رقم: (٧١٤٠-طوق).

(٣) في (ب): صلوات الله عليه.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله ﵄: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه، رقم: (٣٨٥٨-بشار).

الأوَّل: أنه مَثَلٌ للمرائي في النفقة؛ ينقطع عنه نفعها أحوج ما كان إليها[١].

الثاني: أنه مَثَلُ المُفَرِّطِ في طاعة الله بملاذِّ الدنيا[٢].

الثالث: أنه مَثَلُ الذي يختم عمله بالمعصية[٣].

وهو الذي عليه المعوَّل.

في الصحيح عن ابن أبي مُلَيكة عن ابن عباس: «أن عمر قال يومًا لأصحاب النبي ﷺ: فيما ترون هذه الآية أنزلت؛ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾، قالوا: الله أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم، أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي، قُلْ ولا تحقرنَّ ما في نفسك، قال ابن عباس: ضُرِبَ مَثَلًا لعَمَلٍ، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[٤].

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه[٥]: ومسألةٌ دارت بين عمر وابن عباس لم يبق لأحد فيها كلام.

ومع هذا التَّوَدُّدِ يكون «صَفِيًّا».

---

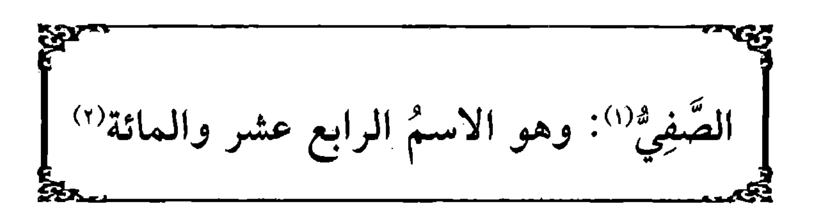
(١) تفسير الطبري: (٥/٥٤٤-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٥/٥٤٧-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٥/٥٤٥-شاكر).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾، رقم: (٤٥٣٨-طوق).

(٥) في (ص): قال الإمام رضي الله عنه.



الصَّفِيُّ[(١)]: وهو الاسمُ الرابع عشر والمائة[(٢)]

ويتداخل مع غيره، وربَّما توارد معه عليه إذا تتبَّعت معانيه.

والصافي: هو الماء الذي لم يخالطه شيء، فبقيت عليه أوصافه على هيئتها؛ لونه، وطعمه، وريحه، ومن ذلك سُمِّيَ المصطفى.

٢ [١٥٦/ب]

وقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾، كما/ تقدَّم، ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٣]، كما وصفنا، وختم الصَّفْوَةَ بخيرها وأطيبها؛ مُحَمَّدٍ ﷺ[(٣)].

[ذِكْرُ الصوفية]:

وبذلك سَمَّتِ[(٤)] الصوفيةُ أنفسَهم[(٥)]؛ يريدون أنهم صَفَوا لله وخَلَصُوا له، ولم يعبدوا غيره؛ لا عقيدة، ولا كلامًا، ولا استعمالًا.

وبتصفية المطعم والمشرب والملبس يكون التصوف، ويحصل المقصد، وبنَبْذِ الدنيا يَبْلُغُ المراد.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثالث عشر، وفي (ص): الخامس ومائة، وفي (ب): الرابع ومائة.

(٣) في (ك): صلى الله عليهم.

(٤) في (د): سُمِّيَت.

(٥) في (ك) و(ص): سُمِّيَتِ الصوفية.

ومن الحديث المشهور: «مَثَلُ الدنيا مَثَلُ ثَغْبٍ ؛ شُرِبَ صَفْوُه وبَقِيَ كَدَرُه»[١].

وإن من خطبة عتبة بن مروان[٢]: «إن الدنيا قد ولَّت حذَّاء، ولم يبق منها إلَّا صُبابة كصُبابة الإناء».

والثَّغْبُ: موضع مطمئن في الجبل، يَستنقع فيه الماء.

وبتَرْكِ اللذات يبلغ المراد أيضًا[٣]، فقد روي أن عمر أُتِي بشربة من عَسَلٍ فلم يشربها، وقال: «أخاف أن تذهب لذتها وأُسأل عنها»[٤].

وبذلك يكون «وَرِعًا»، وهو الاسم الذي تقدَّم بيانُه[٥]، وقد أشرنا إليه، وهذا تمامه.

[حقيقةُ الورع]:

وحقيقته: الكَفُّ؛ فتكفُّ عن الحرام؛ وهو وَرَعُ الناس، وعن الشُّبهة؛ وهو وَرَعُ المريدين، وعن الشَّهوة؛ وهو وَرَعُ المتقين[٦].

وقال أهل الظاهر سن الفقهاء: «الكَفُّ عن الشبهة وَرَعُ المتقين»؛ لما رُوي: «أنه لا يبلغ العبدُ درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حَذَرًا ممَّا به البأس»[٧]، خرَّجه الترمذي، وقال: «حسن».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن ابن مسعود موقوفًا: كتاب الجامع، باب أشراط الساعة، (١١/٣٨٤)، رقم: (٢٠٨٠٩).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): فرقد، وضبَّب عليه في (د)، والمثبت من طرته.

(٣) سقط من (د) و(ب).

(٤) الزهد للإمام أحمد: (ص١٤٩).

(٥) سبق ذِكْرُه في السِّفْرِ الثالث.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): وهو الورع.

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه عن عطية السعدي ﷺ: أبواب صفة القيامة =

ويختص في العُرْفِ[١]: العفة[٢] بصيانة الفرج، والورع بصيانة الفم؛ فيجتنب الحرام والشبهة، ويجتنب آفات اللسان العشرين[٣]، ويلتزم الصدق فلا ينطق إلَّا بالحق والعلم.

[ذِكْرُ ما يدخل في الورع من الأعمال والأحوال]:

وإذا أَشْرَفَ على طمع فقَدَرَ عليه فتركه فهو «الوَرِعُ»، قال يحيى بن أبي كثير: وروى صهيب عن أبيه قال[٤]: «كان[٥] يقال[٦]: لا يعجبنكم صيام امرئ ولا قيامه حتى تنظروا إلى ورعه، فإن كان وَرِعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد الله حقًّا»[٧].

ومن الوَرَع ألَّا يضع لَبِنَةً على لَبِنَةٍ؛ فإن العبد المؤمن يؤجر في كل شيء يُنفقه من المباحات، إلَّا فيما يضعه في التراب، يعني: إذا خَرَجَ عن حَدِّ الحاجة.

ومن الورع ألَّا يَصُبَّ فَضْلَةَ الوَضوء في الأرض، روى أبو عُبَيد عن النبي: «أنه توضَّأ وفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فأمر بَرَدِّها إلى النهر، وقال: يُنتفع بها»[٨]، ولم يأذن في إراقتها.

= والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، رقم: (٢٤٥١-بشار)، وقد ذكر قبلُ في آخر اسم «المتقي» أنه حديث باطل، وهنا يذكر تحسينه!؟ والله أعلم.

(١) في (د): الغرف.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): العفف.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٨٣).

(٤) في (ك) و(ص): أنه.

(٥) سقط من (ب).

(٦) في (ك): قال.

(٧) حلية الأولياء: (٦/١٠٤).

(٨) أخرجه أبو عُبَيْدٍ في الطهور عن أبي الدرداء ﵁: باب تقليل الماء في =

ومن الوَرَعِ عند قَوْمٍ ألَّا يدهن رأسه حتى يشعث، ولا يغسل[١] ثوبه حتى يتَّسخ، فأمَّا لباس الثوب حتى يتسخ فسُنَّةٌ، وأمَّا ترك الرأس حتَّى يشعث[٢] فلا أراه سنة، وما أراهم أخذوا/ هذا إلَّا من حديث العباس بن سالم اللخمي، قال: «بَعَثَ عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي؛ فحُمل إليه على البريد[٣] ليسأله عن الحوض، فقُدِمَ به عليه[٤] فسأله، فقال له: سمعت ثوبان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن حوضي من عدن إلى عُمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكَاوِيبُه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ أبدًا، أوَّلُ الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين، فقال عمر بن الخطاب: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الشُّعْثُ رؤوسًا، الدُّنْسُ ثيابًا، الذين لا ينكحون المُتَنَعِّمَاتِ، ولا تفتح لهم أبواب السُّدَدِ، قال عمر بن عبد العزيز: لقد نكحتُ المتنعمات؛ فاطمة بنت عبد الملك، وفُتِحت لي السدد، إلَّا أن يرحمني الله، لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي على جسمي حتى يتَّسخ»[٥].

٢ [١٥٧/أ]

= الوضوء وما يستحب من ذلك، (ص١٩١)، قال أبو حاتم (العلل: ١/٦٠٠): «حبيب عن أبي الدرداء مرسل»، فهو عنده إسناد منقطع؛ لأن حبيبًا لم يدرك أبا الدرداء.

(١) قوله: «ولا يغسل» سقط من (ك) و(ب).

(٢) قوله: «حتى يشعث» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٣) قوله: «على البريد» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (ص): عليه به.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه: أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم: (٢٤٤٤-بشار)، وضعَّفه.

قال الإمام الحافظ ﷺ[١]: وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا أهل حاجة، فأمَّا من قَدَرَ فينبغي أن يكون نظيف الهيئة، حسن الشارة؛ فإن الحديث الحسن قد ورد بأن الله طَيِّبٌ يحب الطيب، نظيف يحب النظافة[٢].

وفي حديث جبريل إذ دخل إلى[٣] النبي بحضرة الخلق، «حسن الهيئة، حسن الثياب، ليس عليه سحناءُ السفر، ولا يعرفه منَّا أحد»[٤].

وعلى العبد أن يختصر في ملبسه، ويكثر من طِيبه، وقد رُوِيَ - من الورع -: «أن عمر بن الخطاب كان إذا قسَّم الطيب أمسك على أنفه، ولا يُسْهِمُ منه لزوجه»[٥].

ورُوِيَ عن عمر[٦] - التَّالِي له في الاسم والولاية والدِّينِ -: «أنه أُتِي بطِيبٍ يُصنع للخلفاء من بيت المال، فأمسك على أنفه، وقال: إنما يُنتفع برِيحِه»[٧].

ومن الورع: أنْ كَتَبَ عاملُ الكوفة إلى عمر بن عبد العزيز يقول له: «إنَّ رَدَّ الظُّلامات وإعطاء اليتامى والمساكين قد أخلى بيت المال، فكتب إليه: امض لما أنت بسبيله، فإذا فرغ فاملأه سِرْقِينًا[٨]».

---

(١) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) في (ك): على.

(٤) تقدَّم تخريجه.

(٥) الزهد للإمام أحمد: (ص١٤٨).

(٦) يريد: الإمام والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ.

(٧) قوت القلوب: (١٦٩٨/٣).

(٨) السرقين - ويقال: السِّرجين -: الزِّبْلُ، تاج العروس: (١٨٢/٣٥).

ومن الورع[١]: أن يكره طول السَّلامة، قال الحسن: «كان الرجل من المسلمين إذا طالت سلامته أحب أن يؤخذ منه، يذكَّر به المعاد، ويكفَّر به السيئات».

وفي البخاري عن أبي هريرة: قال النبي: «من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه»[٢].

ومن الورع: ألَّا يُحَدِّثَ بعمله السِّرِّي، قال الأحموشي العابد - واسمه عامر بن جشيب[٣]؛ من التابعين -: «إن العبد ليعمل العمل سِرًّا ما يطلع عليه/ أحد، فيطلبه إبليس ثلاثين سنة، فإن أدركه وإلَّا تركه، يقول له: حَدِّثْ بعملك؛ فإنه قد رُفع إلى الله، وليس بناقصك شيء[٤]، فإن حَدَّثَ به مُحِيَ عنه أجر السر، وحُفِطَ[٥] عليه أجر العلانية، ثم يراوده[٦] سنة، يقول: قد تحدث به، ليس بناقصك شيء[٧] سنة[٨]، فإن حدَّث به مُحِيَ عنه أجر العلانية وكُتِبَ عليه الرياء».

٢ [١٥٨/أ]

ومن الورع: ما روي عن النبي أنه مرَّ بتمرة، وقال: «لولا أن أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها»[٩].

---

(١) في (د): ومن الورع أن الورع. (٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك) و(ص): حشيب، وفي (ب): خشيب.

(٤) قوله: «فإن أدركه وإلَّا تركه، يقول له: حدث بعملك؛ فإنه قد رُفع إلى الله، وليس بناقصك شيء» سقط من (ك).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): حط.

(٦) في (ك) و(ص): يراود.

(٧) في (د) و(ب) و(ص): شيئًا.

(٨) في (ص): منه، وسقط من (ب).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب اللقطة، باب إذا وجد تمرة في الطريق، رقم: (٢٤٣١-طوق).

قالِ علماؤنا: معناه: «أنه وجدها في جُوخان[١] التمر وطريقه[٢]، ولم يكن قربها جوخان، ولا كان لها طريق لم يكن فيه تقاة».

وقال آخرون: «هذا مقدار من الورع يختص بالنبي، ولو كان غيره لكان تَكَلُّفًا».

ونظامُ الأمر وعَقْدُه أن كل أمر لا تجده في صحيفة حسناتك، أو تُسأل عنه كيف أتيته، أو يحتمل وجهًا خارجًا عن البر؛ فتَرْكُه هو الوَرَعُ، والله أعلم.

وبهذه الصفة يكون الرجل «حَيًّا».

* * * * *

---

(١) الجُوخان: الموضع الذي يجمع فيه التمر.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): طريقها.

الحَيُّ[١]: وهو الاسمُ الخامس عشر والمائة[٢]

قال الله سبحانه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الروم:١٨]؛ المؤمن من الكافر، والمطيع من العاصي، والعالم من الجاهل، والخَيِّر من الشِّرِّير، وذلك كثير[٣]، وعَيْشُه مِثْلُه، فرَكِّبْهُ عليه.

وهذه الآية وإن كان فيها خَمْسُ تأويلات للمفسرين وللمُتَزَهِّدِين خمسة[٤]؛ فإنها بتأويل المتزهدين أقوى، يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٣]، فأخبر هاهنا باسم «الميت» عن الكافر، وباسم «الحي» عن المؤمن.

ومن المعاصي ما يكون به مَيِّتًا؛ وهو الكفر[٥].

ومنها[٦]: ما يكون به مَذْبُولًا؛ وهي الكبائر.

ومنها: ما يكون به مريضًا؛ وهي الصغائر.

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الرابع عشر، وفي (ص): السادس ومائة، وفي (ب): الخامس ومائة.

(٣) في (ك): كثيره، وفي (ص): كبته.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (١١٢/٣).

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): الكافر.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): «منه»، وكذلك هي فيما بعده.

ومنها: ما يكون به لَقِسًا كسلان؛ وهي الغفلات.

والعرب تُسَمِّي كل متعذر الأمل مَيِّتًا[١]، كما قال الحكيم[٢]:

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ

إنما الميت من يعيش كئيبًا كاسفًا بالـه قليل الرجاءِ

والحي بالحقيقة إنما هو المؤمن المطيع، ودار الحياة بالحقيقة هي الآخرة، فإنها لا موت فيها، وإنما هي حياة دائمة محققة، مجردة عن الآفات والأنكاد، فهي حياة خِلقة، وحياة عيشة، وحياة لذَّة، وحياة سلامة.

والحَيُّ على سبعة أقسام:

الأوَّل: المؤمن.

الثاني: السَّامِعُ اللَّقِنُ لما يُلقى إليه.

الثالث:/ القابل له. [٢/١٥٨أ]

الرابع: الحافظ.

الخامس: العامل.

السَّادس: المجتهد.

السَّابع: المُوَافِي به.

وعلى كل قِسْمٍ من هذه الأقسام حِجَابٌ، والأمر بيد الله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل:٨٢]، وذلك لأنه خَتَمَ على قلبه بحجاب، فصارت مخاطبته[٣] كمخاطبة الميت، وكذلك

(١) في (د): ميت.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك): مخاطبه.

طَبَعَ على سمعه، فلا ينفذ إلى مَحَلِّ درجة[1] إِدْرَاكِه -وهو القلب- شيءٌ ممَّا يُخاطب به، فالتحق بالميت في المعنى والحقيقة، وإن لم يكن مَيِّتًا مشاهدةً وحِسًّا، وإذا وقع الختم فقد نفذ القضاء الحتم، فلا ينفذ إليها شيء، ولا يخرج منها شيء؛ لا جهالة تظهر عنها، ولا هداية تظهر فيها، ولا محل يَطْهُرُ[2] منها، وما على أسماعهم من الختم يمنعهم من سماع كلام الحق، فهي في وساوس الشيطان، وهواجس الخذلان، وخواطر البهتان، فأظلمت قلوبهم، وسُكِّرَتْ أبصارهم، وصُمَّتْ آذانهم، فإذا نقص من ذِكْرِه شيء كان لَقِسًا، أو من عمله كان مريضًا، أو اقتحم كبائرَ كان دَنِفًا، أو شكَّ كان مَيِّتًا[3]، فإن خلص وسلمت الأعضاء من هذه الآفات حَيِيَ مَيْتُه[4]، وذلك الذي يستنير بنور الله، وقد شرح الله صدره للإسلام، وصار على نور من رَبِّه؛ فتَلِينُ قلوبهم لذِكْرِ الله، وتتأثَّر بما يَسْرِي منه إلى جلودهم فتَقْشَعِرُّ من خشية الله.

[أنوارُ الله تعالى]:

وأَنْوَارُ الله عظيمة، احتجب منها بسبعين حجابًا[5]، وبرز[6] منها للخلق بجُمَلٍ؛

---

(١) في (د): دركه.

(٢) في (ك) و(ب): يظهر.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): كافرًا.

(٤) في (ك) و(د) و(ب): على مراتبه، وضبَّب عليها في (ص)، والمثبت من طرته.

(٥) ينظر: الأمد الأقصى بتحقيقنا: (١/٢٤١-٢٤٢)، وقال ابن العربي في شرح حديث السبحات: «هذا الحديث وإن كان لا أصل له عن النبي ﷺ في الصحة فإنَّ له معنى بَيِّنًا في ألفاظه».

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): نور.

فمنه: نور في البداية، وهو العقل؛ فإنه من نور الله؛

ونور البصيرة، وهو التحصيل والتدبير؛

ونور الفرقان؛ يفرِّق به بين الحق والباطل، والبيِّن والمشكل.

[من آثار نور الله]:

وقد يُنَوِّرُ الله قَلْبَه حتى يُطْلِعَه على غيبه، فأوَّلُ ما تبدو له نقائصُ نفسه التي أغامها عليه فرطُ الشهوة وطول الأمل، وعلامةُ ذلك ما قال في الآثار الحسان، وقد سئل عن شرح الصدور وتنويرها، فقال: «علامة ذلك التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[١].

وبنُورِ القلب يُبْصِرُ الرجل ما غاب عنه، وعنه وَقَعَ البيانُ بقول النبي ﷺ[٢]: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل من الأمم رِجَالٌ مُحَدَّثُونَ، يُكَلَّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم[٣] أَحَدٌ فعُمَرُ»[٤].

* * * * *

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: (١٠٢/١٢-شاكر).

(٢) في (ك): صلى الله عليه.

(٣) سقطت من (د).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: (٣٦٨٩-طوق).

المُحَدَّثُ[١]: وهو الاسمُ السَّادس عشر والمائة[٢]

٢
[١٥٨/ب]

فقالت[٣] الصوفية: ذلك/ لصفاء[٤] القلب، فيطَّلع على الغيب.

والحقيقة فيه: أن القلب وإن صفا فلا يتجلَّى فيه شيء، ولكن صاحب القلب الصافي تُلْقِي في رُوعِهِ الملائكة، فيكون إلهامًا وحديثًا[٥].

والقَلْبُ المظلم يلقي الشيطان في نفسه[٦] فيكون كهانة، وكلٌّ منهم يخبر عمَّا يكون.

وقد بيَّن النبي ذلك في الصالحين أنهم مُكَلَّمُونَ مُحَدَّثُونَ، وأنه كلام يُلقى في قلوبهم، وحديث يُحَدَّثُونَه[٧] في نفوسهم، وبيَّنه في الفاسقين؛ فقال النبي ﷺ - في رواية عائشة عنه -: «الملائكة تُحَدَّثُ في العَنان -والعَنان: الغمام- بالأمر يكون في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتَقُرُّها في أُذُنِ الكاهن، كما تُقَرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة»[٨].

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الخامس عشر ومائة، وفي (ص): السابع ومائة، وفي (ب): السادس ومائة.

(٣) في (د): قالت.

(٤) في (ك) و(ص): بصفاء.

(٥) في (د): حدَّثنا.

(٦) في (د): نفسة.

(٧) في (د): يجدونه.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم: (٣٦٨٨-طوق).

وروى سفيان عن عكرمة عن أبي هريرة يَبْلُغُ به النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله أمرًا[١] في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا - للذي قال -: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، وتسترق[٢] السمع هكذا؛ واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده، ففرَّج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بَعْضًا فوق بعض، فربَّما أدرك الشهابُ المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربَّما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، يرمي بها الأعلى إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض، حتى تنتهي إلى الأرض، فتلقى على فم الساحر؛ فيكذب معها مائة كذبة فيُصَدَّق، فيقولون: ألم تخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا؟ فوجدناه مُحِقًّا للكلمة التي سُمعت من السماء»[٣]، لَفْظُ البخاري.

[نقضُ قول الصوفية: إن صفاء القلب مُوجِبٌ لتجلي المعلومات]:

وتزعم الصوفية من الغُلَاةِ أنه صفاء في القلب، تتجلَّى فيه المعلومات عند مقابلة مكتوب الله بها[٤] للقلوب، وقد بيَّنَّا فساد هذا في كتاب «العواصم»[٥] وغيره.

ومن أَبْيَنِ[٦] ما يُرَدُّ عليهم به: أنه لو كان تَجَلِّيًا للقلوب بما في اللوح المحفوظ لمقابلته للصَّافي منها لما خَفِيَ عليه شيء، ولعَلِمَ مائة ألف شيء

---

(١) في (ك) و(ص): في السماء أمرًا.

(٢) في (ك): مسترق، وفي (ب) و(ص): مسترقو.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة الحجر، رقم: (٤٧٠١-طوق).

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): لها.

(٥) العواصم: (ص١٨).

(٦) في (ص): أيمن.

في لحظة واحدة، فالتَّعْدَادُ لها والنُّدُورُ فيها يُنْبِئُ أنه ليس بمقابلة لمكتوب، وإنما هو بما يخلق الله له من العلوم، ويُنْشِئُهَا إنشاءً في القلوب، وتُسْمَعُ[١] من الأصوات، فهذا عمر قد قال: «يا سارية الجبل، من استرعى الذئب/ ظَلَمَ»[٢]، وسارية بالعراق، فسَمِعَ صوته من المدينة في أثناء الحرب، والكَرَّةُ على المسلمين، فلجأوا إلى الجبل بصوته على مسيرة ثلاثين مرحلة، واعتصموا من العدو فيه، والأخبار في ذلك كثيرة.

٢ [١٥٩/أ]

[الكلامُ على الخاطر]:

ولقد أخبرنا[٣] شيخنا أبو الحُسَين بن الطُّيُوري كما تقدَّم، قال: «كنتُ أختلف من داري بدرب المروزي بقطيعة الكَرْخِ إلى الحربية؛ لأسمع على الشيخ الزاهد أبي الحسن علي بن عمر الحَرْبِي كتاب «غريب الحديث» لابن قُتَيبة، صلاة الظهر كل يوم، فخرجت مع صاحبي عند انتصاف النهار، فمشينا في خَرِبِ مدينة المنصور نقطع إلى الحربية، فقال لي صاحبي أو قلت له: شيخنا أبو الحسن لا يُخرج يديه عن كُمَّيه بحال[٤]، إنما يُنَاوِلُ بها مستورة، حتَّى إذا أعطانا أجزاء الحديث أو أخذها منَّا، فقلنا: لعلَّ به بَرَصًا يكتمه، وسِرْنَا في سبيلنا حتى أتينا إلى الحربية، فدخلنا المسجد مع الأذان، ولقينا الشيخ حين خرج وصلَّى، ثم استند إلى القبلة وأقبل علينا، وناولنا الأجزاء الذي كنَّا نقرأه بيديه[٥] مكشوفتين عن كُمَّيه،

---

(١) في (ك) و(ب): يسمع.

(٢) تاريخ دمشق: (٢٠/٢٤)، وحسَّن إسنادها ابن حجر في الإصابة: (٣/٩٨)، وينظر: العواصم: (ص٣٦).

(٣) في (ك) و(ص): أخبرني.

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في (ك): بيده.

وهو يقول: الحمد لله على العافية، ثم ردَّهما في كُمَّيه، فما رأيناهما بعد ذلك».

وقد كان عمران بن حُصَين يُسَلَّمُ عليه، فلمَّا اكتوى ترك التسليم، فلمَّا ترك الكي عاد السَّلام عليه[1].

وكان الأسود بن يزيد سَيِّدُ القُرَّاءِ بالكوفة إذا أصبح[2] يُسَلِّمُ عليه مَلَكَاهُ.

وكان الأستاذ أبو بكر بن فُورَكٍ يُكَلَّمُ[3].

والكلام على الخاطر كثير في تلك الديار، ينكره أهل هذه البلاد، حتى إذا تَبَحْبَحُوا هنالك وشاهدوه مع الأحيان اطمأنَّت به نفوسُهم.

[الفراسة]:

قال علماؤنا: «وقد يتفق دَرْكُ ذلك من طريق الفراسة».

فقد ذَكَرَ الأستاذ أبو القاسم القُشَيري من ذلك عجائب، منها: «أن الشافعي ومحمد بن الحسن كانا جالسين إلى الكعبة، فدخل رجل على باب المسجد، فقال أحدهما: هو حدَّاد، وقال الآخر[4]: هو نجَّار، فقام إليه من سأله فقال: كنت حدَّادًا، وأنا الآن نجَّار»[5].

---

(١) سلف تخريجه.

(٢) قوله: «إذا أصبح» سقط من (ك).

(٣) قوله: «وكان الأستاذ أبو بكر بن فورك يُكَلَّم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) في (د): آخر.

(٥) رسالة القشيري: (ص٢٦٤)، وهي في الأحكام: (١١٣١/٣).

وقد يُدْرَكُ ذلك بالفَأْلِ[1]، كما جرى لعمر بن الخطاب؛ إذ قال لرجل: «ما اسمك؟ فقال: جمرة، فقال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممَّن؟ قال: من الحُرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بالحَرَّةِ[2]، قال: بأيِّها؟ قال: بذات اللَّظَى، قال عمر: أَدْرِكْ أهلك؛ فقد احترقوا»[3]، فكان/ كما قال عمر، فجمع عليه من اسمه في قلبه ما أوجب احتراقه، وذلك كما يحصل في نَفْسِ العائن على المَعِينِ، مجموعٌ يكون فيه هلاكه أو سقمه، وإنما جاز ذلك لعمر من جمعه نفسه عليه، وحُكمه به فيه؛ للتنبيه على تحسين الأسماء واجتناب مكروهها، فإنه قاعدة شرعية، وكم اسم بدَّله النبي ﷺ[4].

٢ [١٥٩/ب]

وهذا هو الذي يسمَّى «المُتَوَسِّم»، أو هو نوع منه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥]، وهو مأخوذٌ من الوَسْمِ؛ وهو العلامة، وقد تكون حِسِّيَّةً؛ فيشترك فيها الناس، وقد تكون معقولةً؛ فيختصُّ بها المُلْهَمُون[5].

قال سَلَمَةُ بن كُهَيل: «أبو جعفر - يعني: محمد بن علي بن الحُسَين[6] بن علي بن أبي طالب - من المُتَوَسِّمِين»[7].

---

(١) في (ص): بالمقال.

(٢) في (ص): بحرة النار، ومرَّضها في (د).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع، ما يكره من الأسماء، (٣٣٩/٢)، رقم: (٢٧٤٤-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) ينظر: الموطأ: كتاب الجامع، ما يكره من الأسماء، (٣٣٩/٢)، رقم: (٢٧٤٣-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) ينظر: الأحكام: (١١٣١/٣).

(٦) في (ك): الحسن، وهو تصحيف.

(٧) سير النبلاء: (٤٠٥/٤).

والفِرَاسَةُ نَحْوٌ منها، وهي: الاستدلال بالخَلْقِ على الأخلاق[١]، وهو عِلْمٌ عظيم تركه الناس، وقد يظهر من الصفات معنًى عُنْوَانًا، فيجعله لما وراءه بيانًا، ويترتَّب[٢] عليه من النظر تِبْيَانًا.

قرأتُ في الصخرة المقدَّسة المسمَّاة بالواقعة[٣] مع شيخنا أبي بكر محمد بن الوليد الصُّوفِي، قال بعضُ المفسرين -واختصرته وأوضحته-: «إن الله سبحانه قال في مُحْكَمِ كتابه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٩]، فأثبتَ الله المماثلة بيننا وبين سائر البهائم، ومعلوم أنهم ما ماثلونا في عقول ولا في صُوَرٍ، وإنما ماثلونا في الأخلاق، فلا أَحد من الخلق إلَّا وفيه خُلُقٌ من البهائم، تختلف أخلاق الناس بحسب اختلاف أخلاق البهائم؛

فالغليظُ الطِّباع القَوِيُّ البدن المُفْرِطُ في الطغيان نَمِرٌ؛

والمتناولُ للأموال على وجه السرقة والأخذ على الاختفاء فَأْرٌ؛

والمُتَبَسِّطُ على الأعراض كلب؛

والمخالف في كل حال، البائن بكل عمل - إذا قيل له: أَقْبِلْ، أَدْبَرَ، وإذا قيل له: أَدْبِرْ، أَقْبَلَ - حمارٌ؛

والطالب للعثرات ذُباب؛ فإنه يسقط من البدن على كل موضعِ قَرْحٍ منه مُمِدٍّ، ويجتنب الصحيح[٤]؛

---

(١) أحكام القرآن: (١١٣١/٣).

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): يرتب.

(٣) في (د): الوافعة.

(٤) بعده في (ك): قال، وضرب عليها في (د).

قال[١]: والمُتَحَيِّلُ الرَّوَّاغُ ثعلب؛

والنمَّام ظَرِبَانٌ، تقول العرب في القوم تفسدُ ذاتُ بينهم: فَسَا بينهم ظَرِبَانٌ؛

والذي يزهد في مجالس العلم ويطلب مواضع اجتماع أهل الدنيا لحديثهم خُنْفُسَاء؛ فإنها تَذَرُ المسك وتطلب الخُرْءَ[٢]، وإذا[٣] طُرِحَ المِسْكُ/ عليها ماتت؛ [١٦٠/أ]

والوثَّاب على الناس من غير حياء[٤] ولا رِقْبَةٍ أَسَدٌ؛

والمتناول لذلك بشَرَكِ الدماثة والسكينة ذِئْبٌ.

قال الشَّاعر:

ذِئْبٌ تراه مُصَلِّيًا ... فإذا مررت به رَكَعْ
يدعو وجُلُّ دعائه ... ما للفريسة لا تَقَعْ
عَجِّلْ بها يا ذا العُلَى ... إنَّ الفؤاد قد انصدعْ[٥]

قُلْتُ[٦]:

يا ذئابًا بَدَتْ لنا ... في ثيابٍ مُلَوَّنَهْ
أَحَلالًا رأيتمُ ... أَكْلَنا في المُدَوَّنَهْ[٧]؟

---

(١) سقط من (ص) و(ب).

(٢) في (ص): الخَرَا.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): إذا.

(٤) في (د): حياة.

(٥) الأبيات من مجزوء الكامل، وهي في سراج الملوك: (ص٢١٢).

(٦) سقط هذا البيت من (د) و(ك) و(ص).

(٧) من مجزوء الخفيف، وهي لأبي محمد عبد الله بن سارَّة الإشبيلي، ذكرها له في خريدة القصر: (١/٣٣٠) في سياق ترجمته.

والكذَّاب في الحديث مَيِّتٌ، لا أقول: أخرس؛

والمتجمل بِشَارَتِه وهيئته - ولا فائدة تحتها - طَاوُسٌ يتبختر في مِشْيَتِه، ويُقَوِّسُ ذَنَبه تاجًا على رأسه، ويصيح[1] عُجْبًا به؛

والحقود جمل؛

وذو الوجهين يَرْبُوعٌ؛ فإنه ذو نَافِقَاء، وقَاصِعَاء، ودَامَاءَ؛ أبوابٌ لجُحْرِه، إذا دُخِل من واحد خَرج من آخر، وهي صفة المنافق»[2].

وهذه أخلاقُ الناس، ولأجل هذا يُفَسِّرُ لك المُعَبِّرُ ما رأيتَ في النوم من هؤلاء بما ذكرناه لك من الأخلاق، ويُحِيلك على أمثالها في الأناسي، فيحذرك أو يبشرك، بحسب ما يظهر من قرائن الرؤيا، وذلك مُبَيَّنٌ في بابه.

وقد أفادنا أبو الفضائل بن طَوْقٍ العَدْلُ الصُّوفِيُّ بمدينة السَّلام: «أنَّ قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٩]، يعني: مخلوقة بمشيئة الله، موجودة على صفة، موضوعة بحِكْمَةٍ، مقرونة بدلالة على توحيد الله وحُجَّتِه[3]».

والوجهان عندي صحيحان، وقد بيَّنَّا الآية على الاستيفاء في «أنوار الفجر»؛ حين الإملاء في المجالس العامَّة، فعلى القول الأوَّل يكون الاستدلالُ لمن عرف طُرُقَ الاستدلال ولَزِمَه حتَّى دَرِبَ فيه وأَحْكَمَهُ.

قال الإمام الحافظ[4] رضي الله عنه: وهذا إنما يكون من الرجل بعد تقدم الفضل التام، والجلالة السَّابقة، والحالة المُتَمَكِّنَةِ في الدِّينِ الظاهرة.

---

(١) في (د): يصبح.

(٢) سراج الملوك: (٢/٤٤٣-٤٤٩).

(٣) في (د): حجة.

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

ورُوي عن عبد الله بن عمر قال: «ما سمعتُ عمر يقول قط لشيء: إني لأظنه كذا، إلَّا كان كما ظنَّ؛ بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني، أو أن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل، فدُعِيَ له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم عليك إلَّا ما أخبرتني، قال: كنتُ كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جِنِّيَّتُكَ؟ قال: بينما[1] أنا يومًا في السوق، جاءتني أعرف فيها الفزع،/ قالت: ألم تر الجِنَّ وإبلاسها، ويأسَها من بعد[2] إنساكها، ولُحُوقها بالقِلاص[3] وأحلاسها؟ قال عمر: صدق، بَيْنَا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعِجْلٍ فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه، يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، فوثب القوم، قلت: لا أبرح[4] حتى أعلم ما وراءهم، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح - وفي رواية: نطيح[5] -، يقول: لا إله إلا الله، فقمت، فما نَشَبْتُ أن قيل لي[6]: هذا نبي»[7]، وروى مالكٌ في «الموطأ» ما تقدَّم[8].

٢ [١٦٠/ب]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): بَيْنَا.

(٢) في (ك): بعد من.

(٣) في (ك) و(ص) و(ب): القلوص.

(٤) في (د): أتبع.

(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يصيح.

(٦) سقط من (د) و(ص).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، رقم: (٣٨٦٦-طوق).

(٨) سبق تخريجه.

قال[١] الفقهاء: «هو حُسْنُ الفهم»، كقول عمر: «وافقتُ ربي في ثلاث»[٢]، فأخذ بعلمه وحُسْنِ فهمه من الشريعة ما أنزل الله به الحق.

وقالت الصوفية: ما هو إلَّا أَمْرٌ يُلقيه الله في النفس بواسطة المَلَك، ويدلُّ عليه قراءة ابن عباس[٣]: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث﴾[٤]، وذلك صحيح عنه.

قلنا: معنى الآية غير ظاهره[٥]؛ لأن النبي لا يكون رسولًا، ولا المُحَدَّثُ لا يكون نَبِيًّا، وإنما تقدير الآية: وما أرسلنا من رسول، ولا نَبَّأْنا من نبي، ولا ألهمنا من مُلْهَمٍ[٦]، ولا حدَّثنا من مُحَدَّث، وتُضْمِرُ لكل واحد من الأسماء ما يليق بها من الأفعال، كما قالت العرب:

ورأيتُ زوجك في الوغى ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحَا[٧]

وقالوا:

وأطفلتْ بالجَلْهَتَيْنِ ... ظباؤها ونعامُها[٨]

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): وقال.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٥٠٠/٨)، وينظر: الجامع للقرطبي: (٤٢٣/١٤-التركي).

(٤) في (ص) زيادة قوله: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾.

(٥) في (د) و(ص): ظاهر.

(٦) قوله: «من ملهم» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٧) البيت من مجزوء الكامل، وهو في الزاهر: (٥٢/١)، ودرة الغواص: (ص٨٠) بدون نسبة.

(٨) وهو من الكامل، من معلَّقة لَبِيد، شرح المعلقات للزوزني: (ص١٢٨).

وقالوا[١]:

شَـرَابُ ألبـانٍ وتَمْـرٌ وأَقِـطْ[٢]

فيرجع إلى كل واحد ما يليق به من الأفعال، وإن كان الكلُّ مُشْتَرِكًا في العطف.

ويَعْضُدُ ما قالت الصوفية قوله في الحديث الصحيح: «مُكَلَّمُون»[٣]، فلا يكون ما يجد في نفسه إلا من إلقاء الملك ذلك إليه ووجوده له في نفسه، والله أعلم.

[نقدُ إطلاق الصوفية اسم الوحي على أخبارها وخواطرها[٤]]:

قال الإمام الحافظ[٥] ﷺ: فإذا كلَّمه المَلَكُ أو حدَّثه فهو مُكَلَّمٌ

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) من الرجز، لا يعرف قائله، وهو في المقتضب: (٢/٥٠)، والإنصاف: (٢/٦١٣)، وغيرها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب القرشي العدوي ﷺ، رقم: (٣٦٨٩-طوق)، وفيه قول البخاري: «زاد زكرياء بن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة»، وهو حديث معلق.

(٤) قال ابنُ العربي في الأحكام (٢/٧٥١): «سَمَّى الله تعالى ما يَقَعُ في القُلُوبِ مِنْ إلْهَام وَحْيًا، وهذا ممَّا يُطْلِقُهُ شُيُوخُ التَّصَوُّفِ، وَيُنْكِرُهُ جُهَّالُ المُتَوَسِّمِينَ بالعِلْم، ولم يَعْلَمُوا أَنَّ الوَحْيَ على ثَلَاثَةِ أَقْسَام، وأَنَّ إطْلَاقَهُ في جَمِيعِهَا جَائِزٌ في دِينِ الله، أَوَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ قد سَمَّى إلْهَامَ الشَّيَاطِينِ وَحْيًا؛ وكُلُّ ما يَقُومُ بِالقَلْبِ مِنَ الخَوَاطِرِ فهو خَلْقُ الله؛ فكُلُّ ما كان مِنَ الشَّرِّ أَضَافَهُ الله إلى الشَّيْطَانِ، وما كان مِنَ الخَيْرِ أَضَافَهُ الله إلى المَلَكِ».

(٥) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

مُحَدَّثٌ، وإن ألقى ذلك في نفسه خَلْقًا[1] من عنده أو بواسطة الملك فهو إلهام، ويسمَّى - لُغَةً - وَحْيًا، والصوفية تطلقه على أخبارها، فيقولون فيما يجدونه في أنفسهم من هذه الأخبار: «أُوحِيَ إليَّ»، وفي الخواطر التي تأتي بالخبر: «أُوحِيَ إليَّ»، وكَرِهَ ذلك علماءُ الفقه؛ لِمَا فيه من التلبيس على الناس، والتشبيه بالأنبياء في هذا اللفظ المخصوص بالاستعمال فيهم، فإذا أخبرتَ بذلك عن غير الآدمي جاز، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨]،/ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦].

٢ [١٦١/أ]

[وَحْيُ أُمِّ موسى وَحْيُ مشافهة من الملائكة]:

قال الإمامُ الحافظ[2] رضي الله عنه: والذي أرى في ذلك أنه كان وَحْيَ مشافهة من الملائكة؛ فإنها أمران، ونهيان، وخبران، وبِشَارَتَانِ، وذلك كله ممَّا لا تستقل[3] به الأفهام عادة، ولا يقبل من النفس خاطرًا إلا أن يخلقه الله ثابتًا، بحيث لا يكون معه تردد ولا استرابة، فيكون ذلك في القوة كمشافهة الملك به، وذلك كله ممَّا ذكرناه إنما يكون في القلب الممتلئ علمًا، الفارغ شهوة وأملًا، اللَّيِّنِ خشوعًا، الذي قُطعت علائقه عن الدنيا، ووصلت أسبابه بالله تعالى، فاستمرَّ[4] على ذلك ولم يَطُلْ عليه الأمد؛ فإنه إذا طال

---

(١) في (ص): خُلُقًا.

(٢) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٣) في (د): يستقل.

(٤) في (ك) و(ص): واستمر.

عليه الأمد وتكاثف النكد مَلَّ منازعة[١] الجسد، ولم يصبر على ذلك إلا الآحاد، وإن وقعت غفلة وطرأت[٢] فترة زال اللِّينُ، ونزلت القسوة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ [الحديد:١٥].

قيل: «الفترة التي كانت بين[٣] عيسى ومحمد، وهي ست مائة عام»[٤].

وكلُّ عضو من الأعضاء له راحة يَكُفُّ بها عن عمله أو يُكَفُّ، إلَّا القلب؛ فإنه في عمل دائم؛ ليلًا ونهارًا، يقظةً ونومًا، فلكثرة الشواغل عليه وقَصْدِ العَدُوِّ إليه وتَعَلُّقِ الهوى به ربما زاغ أو[٥] راغ؛ فإن زاغ هلك، وإن راغ ربَّما لم يقدر أن يتمسَّك.

ومن «فوائد أبي الفضائل[٦] بن طوق العدل الصوفي»: «إن الله تعالى قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١١]، فقال القُشَيري له: عَجَبًا للقدرية؛ كيف تبقى على قلوبها شبهة بهذه الآية؟ وقد أخبر أنَّ تقليب القلوب والأبصار إليه ومنه وبه، وأضاف الفعل إليه، فكيف يخرجونه عنه؟»[٧].

---

(١) في (ك) و(ص): المنازعة.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): أو طرأت.

(٣) في (ك): موسى ومحمد، وعيسى ومحمد، وقوله: «موسى ومحمد» ضرب عليه في (د)، وفي (ب) و(ص): موسى وعيسى.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٥٣٩)، وتفسير الطبري: (٢٢/٤١٠-التركي)، وفيها خلاف ما ذكر ابنُ العربي هنا.

(٥) في (ك) و(ص): و.

(٦) في (د): الفضل.

(٧) لطائف الإشارات: (١/٤٩٤).

وقد كان النبي ﷺ يقول: «لا ومقلب القلوب»[1]، ولا دواء أنفع للعبد[2] من قَمْعِ القلب وقهره إذا نزع[3] إلى الفتن أو أصابه رَيْنٌ.

كان الحسن يقول: «حادثوا هذه القلوب بذِكْرِ الله؛ فإنها سريعة الدثور، واقدَعُوا هذه الأنفس فإنها طُلَعَةٌ، وإنها لتنزع إلى شر غاية، وإنكم إن تطيعوها في كل ما تنزع إليه/ لم تُبْقِ لكم شيئًا»[4]. ٢ [١٦١/ب]

وللاهتمام[5] بصلاح القلب ما قال سلمانُ الفارسي: «إن لكل امرئ جَوَّانِيًّا وبَرَّانِيًّا، فمن يُصلح جوانيَّه يصلح الله برَّانيَّه، ومن يُفسد جوانيَّه يفسد الله برَّانيَّه[6]»[7].

وقد كان أبو برْزة[8] نضلة بن عُبَيد الأَسْلَمِي صاحب رسول الله يقول: «اللَّهم لا أَزْنِيَنْ، قيل له: مَالَكَ ولهذا؟ وأنت صاحب رسول الله، قال: آمنتُ بمُحَرِّفِ القلوب، إني إذا أصبحت لم أَدْرِ على ما أمسي، وإذا أمسيتُ لم[9] أدر على ما أُصبح»[10].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) في (د) و(ب): للعبد أنفع.
(٣) في (ك) و(ص): تسرع.
(٤) الزهد لابن المبارك: (١/٢٧٧)، رقم: (٢٥٤).
(٥) في (ب): الاهتمام.
(٦) بعده في (ك) و(ب): ﴿وقال إبراهيم: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/٢٠٣).
(٨) في (ك) و(ص): بردة.
(٩) في (د): فلم.
(١٠) أخرجه ابنُ سعد في الطبقات: (٥/٢٤٩)، ومن طريقه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق: (٦٧/٣٦٨)، وفيه: أبو هريرة، ولم يذكرَا أبا برْزة الأسلمي.

وهذا صحيح؛ فإنه إذا خاف على نفسه من الشك في الإيمان والرَّيْبِ في اليقين، فأولى أن يخاف من المعاصي في الجوارح.

والفَاسِدُ القَلْبِ المُتَّبِعُ الهوى، قد ضرب الله له[1] مثلًا الكلب، فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال علماؤنا: «إن آدم سَكَنَ في الجنة وطمع في الخلود فيها فأُخرج عنها، وهي دار الخلود، فكيف يجهل من يركن إلى الدنيا ويتخذها دارًا، ويمحو الله من قلبه العِلْمَ بحقيقتها ومآلها، ويُذْهِلُه عن النَّبْذِ لها!»[2].

ومن صفة الكلب الوُقُوعُ فيما لم يُحَقِّقْهُ على جهة الابتداء، ثم الرضى عنه بلقمة، كذلك الذي له جِدٌّ في الإرادة؛ إذا ابتدأَ قُطِعَ بأدنى لَامِعٍ، وبما عرض من خاطر، واستوى عنده الجهل والعرفان، والإساءة والإحسان؛ فهو تارة في ضجر، وأخرى في نظر، لا يفضي به إلى بصر، يُقَابِلُ النعمة بالتُّهْمَة، ويعارض المحبة بالحُجْبَة.

والكلبُ نَجِسُ الذات، وكذلك الذي يرى أن الدنيا هي الدار ويُنْكِرُ الآخرة؛ معدومُ الذات في الخير والانتفاع.

---

(١) سقط من (د) و(ب).

(٢) لطائف الإشارات: (١/٥٨٧).

ولقد ساء هذا المثلُ لمن ضُرِبَ له وساءت حالُه، والأُنْسُ[١] في آخره أنه إنما[٢] ضُرب مثلًا للمُكَذِّبِ بعقيدته، فليحذر المُكَذِّبُ له بأعماله من أن يناله بعضه، وليَخَفْ يومًا تتقلَّب فيه القلوب والأبصار، وبهذا كما قدَّمنا يكون القلب صافيًا سليمًا حاضرًا، إن أراد صاحبه به ذِكْرًا حافظًا، إن أراد به تحصيلًا مُصَافِيًا،/ إن أراد به جارًا أو صاحبًا[٣] قبولًا، إن أراد به الأحدَ واحدًا. [١٦٢/أ]

وقال بعضهم: «القلب السليم هو اللَّدِيغُ»[٤].

يعني: الذي لم يزل في مضاربات ومكافحة، فبه[٥] فُلُولٌ من قوارع الخواطر.

والصحيح: أنه الذي سَلِمَ من الشرك والبدعة، والمعصية والغفلة[٦].

قال بعضُ شيوخ الصوفية: «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ غير قُلَّبٍ»[٧].

وقد بيَّنَّا أنه حينئذ يقال له: «صوفي»، أي: قُبِلَ صفاؤه، وثبت ولاؤه، ويُشْبِهُ أن يكون يقال فيه: «صَفِيٌّ»، لا «صوفي»، وهو الاسم الذي

---

(١) ومرَّضها في (ص).

(٢) سقط من (ك) و(د).

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (١٥/٣).

(٥) في (ك) و(د): مزاع، وفي (ص): قراع.

(٦) لطائف الإشارات: (١٥/٣).

(٧) لطائف الإشارات: (٤٥٦/٣).

تقـدَّم بيانـه، ولكـن قـد بيَّنَّـا أنـه «المـصطفى» لا «المُـصَفَّى[١]»، وأنَّ المخصوص بهذا الاسم على معنى التشريف للخِطَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فلا يُعْطَى لأحد، وتلزمه بهذه الأحوال الخشوع، فيكون:

* * * * *

(١) في (ك) و(ب): الصفي، وفي (ص): الصفاء.

الاسم السَّابع عشر ومائة[١]: الخاشع[٢]

وهي صفة محمودة؛ كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المومنون:٢].

والخشوع: هو سُكُونٌ ينشأ عن ذلة وإطراق بسبب خوف[٣].

وقد جعله الله تَالِيَ الإيمان في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]؛ لأن الإيمان والإسلام[٤] واحد كما قلنا، وقد تبيَّن لكم[٥] أن أحد معاني القنوت القيام، أي: الإدامة للعمل.

والخشوع: هو هيئة تظهر على ظاهر العبد، تنبئ عن حالته المحمودة من قوة العبودية لله وعظيم الذلة، كما أن المَجَانَةَ هيئة تظهر على العبد، تنبئ عن فراغ قلبه من الله، والخشوع ينبئ عن صدق الباطن والصبر على

---

(١) في (ك): السادس عشر ومائة، وفي (ص):الثامن ومائة، وفي (ب): السابع والمائة.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١٣٠٨/٣).

(٤) سقط من (ب).

(٥) بعده في (ك) و(ص) و(ب): منَّا، وضرب عليها في (د).

المكروه؛ فيعطي ذلك صدقته بنفسه على الطاعة، وبمَالِه على الجماعة، كما قال النبي: «الأكثرون[١] هم الأقلون، إلا من قال هكذا، وهكذا»[٢]، ﴿وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ﴾؛ المُمْسِكِينَ عن كل شيء حرَّمه الله عليهم، «فمن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامه وشرابه»[٣]، وقد كان من سبق من الصالحين يقول: «صَوْمِي في الدنيا، وفِطْرِي لقاءُ الله تعالى».

ثم قال: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾[٤]، والفَرْج من أعظم أمانة جُعلت عند العبد، وإن كان المراد بالفرج الذكَر والرحِم، فإنَّ كل ثَقْبٍ/ فرج، وفَمُك أشدُّ عليك من ذَكَرِك، فقد رأينا كثيرًا يمسك فرجه، ولم نَرَ إلَّا قليلًا من[٥] يمسك لسانه، بل لو قلتم: لم يُرَ قط، ما كذبتم، فمن صان الفرجين عن الأَطْيَبَيْنِ دخل الجنة، والفرجان: الفم، والذكر[٦] أو الرحم، والأطيبان: الأكل والنكاح.

٢ [١٦٢/ب]

قال النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر: ورَجُلٌ دعته امرأة ذات حسب وجمال إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله»[٧]، وقد تقدَّم ذلك في باب الخوف، وخبر الرجل الذي نشب في الغار ودعا

---

(١) في (د): إن الأكثرون.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ك) و(ص): ﴿والحافظين فروجهم﴾.

(٥) سقط من (ك).

(٦) في (د): أو الذكر.

(٧) سبق تخريجه.

ابنة عمِّه، فلمَّا أَمْكَنَتْهُ قالت له: «اتق الله، ولا تَفُضَّ الخاتم إلَّا بحقه»[١]، فتركها لله فنجَا[٢]، قد سبق أيضًا.

وقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾، سبق أيضًا في اسم «الذاكر»[٣]، وبيَّنَّا[٤] أنَّ ذِكْرَ الله على وجهين:

أحدهما: باللسان؛

[الثاني]: والذكر بالامتثال والكف؛ وهو المقصود المعوَّل عليه، الدائم الوجوب، المستمر الكون.

والخشوع والخضوع بمعنًى واحدٍ[٥]، وهو:

* * * * *

(١) سلف تخريجه.

(٢) لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٣) في السفر الثاني.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): قلنا.

(٥) ينظر: أحكام القرآن: (١٣٠٧/٣).

الاسم الثامن عشر والمائة[١]: الخَاضِعُ[٢]

وقد قال الليث: «الخشوع قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والبصر»[٣].

والأمر عندي فيهما متقارب.

وقيل: خضع: بمعنى انقاد[٤].

وقد قال الله تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

وذَكَرَ المفسرون فيه سبعة أقوال:

الأوَّل: لا ترفعن بالقول.

الثاني: لا تُرَخِّصْنَ[٥].

الثالث: لا تَلِنَّ[٦].

---

(١) في (ك): السَّابع عشر، وفي (ص): التاسع ومائة، وفي (ب): الثامن والمائة.

(٢) سقط من (ك) و(ص).

(٣) كتاب الغريبين: (١/٥٥٧)، واختلَّت العبارة في المنشور من المُعْلِمِ للمازَري: (٣/٢٢٠).

(٤) كتاب الغريبين: (١/٥٦٦).

(٥) تفسير الطبري: (١٩/٩٤-التركي).

(٦) كتاب الغريبين: (١/٥٦٦).

الرابع: لا تذكرن رَفَثًا[١]؛ وهو حديث النساء.

الخامس: هو الكلام الذي يُهَوِّنُ الذنب.

السَّادس: ما يدخل من كلام النساء في قلوب الرجال[٢].

السَّابع: أَمَرَ نساء النبي بأن يراعين حرمة الرسول؛ ويَتَصَاوَنَّ عما يُطمع المنافقين في ملابستهن[٣].

قال الإمام الحافظ[٤] ﷺ: وهذه الأقوال منها قريب ومنها بعيد، وقد بيَّنَّاها في «الأنوار»، والمعنى بقوله: ﴿تَخْضَعْنَ﴾: تَلِنَّ؛ فإن المرأة مأمورة بألَّا تتكلم، فإن تكلَّمت فليكن قولها جَزْلًا في المعنى، بَرِيًّا في المراد عن كل وجه يعلق طمعًا لأحد بها، والأمر لنساء النبي أوكدُ في ذلك/ [١٦٣/أ] لحُرمتهن، كما أكد عليهن تركَ الفاحشة وهُنَّ من ذلك بَرَاءٌ[٥].

وفي الحديث: «إذا قضى الله في السماء أمرًا - كما تقدَّم ذِكْرُه في الاسم قبل هذا - خرَّت الملائكة خُضْعَانًا»[٦].

معناه: ظهر أَثَرُ الخوف في أبدانها بالسقوط على وجوهها.

وتبيَّن من هذا معنى بديع؛ وهو أن الخضوع أكثرُ من السجود في باب الدلالة على ما في النفس من أثر الافتقار والذلة إلى المعبود.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/٣١٣٠).

(٢) تفسير الطبري: (١٩/٩٥-التركي).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/١٦٠).

(٤) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام.

(٥) في (ص): بُرَآءُ.

(٦) سبق تخريجه.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٩٩].

قيل: منهم: النجاشي[١]، وعبد الله بن سَلَام[٢]؛ فلقد كانوا أعزَّاء في حالهم، أذلة لربهم ولإخوانهم المؤمنين كأمثالهم منهم.

[نَقْدُ قول الليث في تفسير الخشوع]:

وقد قال الله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه:١٠٥]، يعني: انخفضت بالذلَّة والخوف، وهذا يدلُّ على تقصير الليث في تفسيره وقَصْرِه الخشوع على البدن والبصر، ونسي الكلام؛ فإنه يخشع به صاحبُه ويَذِلُّ، ولا يرفعه حتى لا يسمعه إلَّا هَمْسًا، وهو الخفي منه من عظيم الذلة وقوة الخشية وشدة الرهبة.

[من معاني الخضوع]:

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:٣]، كما فُعِلَ ببني إسرائيل حين نُتِقَ الجبلُ فوقهم كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم، فخرُّوا سُجَّدًا مبادرين، مخافة حلول العذاب بهم، وهذا إخبارٌ عن قدرته على تحصيل مراده من عباده أن لو أراده، فهو قادرٌ على أن يؤمنوا طوعًا بأن يخلقه لهم بعد النظر والدليل، قادرٌ على أن يخلقه لهم كرهًا، فلا تَقْتُلْ نفسك همًّا عليهم؛ فإنه لا بد أن ينفذ كتاب الشقاء على من كتبناه عليه.

---

(١) تفسير الطبري: (٤٩٨/٧ -شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٤٩٨/٧ -شاكر).

[خُشُوعُ المؤمن]:

قال الإمام الحافظ[(١)] ﷺ: والمؤمنُ خاضعٌ ذليلٌ لله تعالى[(٢)]، يخلق الله له ذلك؛ فإنه خَلَقَهُ لَيِنًا هَيِّنًا قابلًا للحق، وخَلَقَ الكافر معاندًا، فلا خضوع عنده إلَّا عند الإلجاء؛ الذي لا ينتفع به في باب الثواب، إذ كَتَبَ ربُّنا أنه لا يُثِيبُ من آمن بالمشاهدة ولا من أسلم على الكُرْهِ والإلجاء، إلَّا أن يكون على الغيب باختيار، وهو سبحانه واهبُ ذلك له إذا أراده، وقد وصف الله حال ثلاثة عشر نَبِيًّا في حالهم وفضلهم، وما أنعم به عليهم وما أعطاهم، وما سألوه فأجابهم، ثم قال فيهم ما علَّم به عباده المؤمنين مصلحة أحوالهم وهادية[(٣)] آمالهم، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩]، فأخبر بمبادرتهم إلى كل خير، ودعائهم ولجائهم إلى الله؛ في الرغبة والرهبة، مع لزومهم وصف الخشوع وحالة الذلة، وهيئة/ الخضوع والمسكنة، والافتقار إلى واهب النعمة وكاشف الكربة.

٢ [١٦٣/ب]

[خُشُوعُ المخلوقات]:

وليس الخشوع من صفة الآدمي، بل هو صفة لكل مخلوق، فقد رُوي عن ابن عمر أن إمحاق القمر من خشوعه[(٤)]، وكذلك وصف[(٥)]

---

(١) في (ب): قال الإمام رحمه الله، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.
(٢) في (ك) و(ب): خاضع ذليل للدليل.
(٣) في (د): هادنة.
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن ابن أبي مُلَيكة: (٢/٨٦٠)، رقم: (١١٤٥).
(٥) في (د): وصف الله الأرض سبحانه.

الأرضَ سبحانه بذلك، فقال: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾[1] [فصلت:٣٨]، كما قال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [الحج:٥]، أي: ساكنة؛ لا يخرج منها شيء، بهيئة الحزن والذلة، عارية من كسوتها، عاطلة من حُلِيِّ زهرتها، حتى يحييها الله بالماء، وكذلك القلوب والأبدان؛ إذا اكتسبت الذنوب عليها ذلة الخوف، حتى إذا غسلتها بماء التوبة ظهرت الأفعال الجميلة على الجوارح، ولكن يبقى خوفُ عدم القبول مُوجِبًا عليها خشوعًا وخضوعًا، حتى يُعلم الأمن، وإن الذي فعل ذلك بالأرض قادرٌ على أن يحيي قلوبنا بالاعتقاد الحسن واليقين الثابت برحمته.

وقد أخبر النبي[2] ﷺ في الصحيح: «أنه يُرفع العلم، ويظهر الجهل»[3].

وروى جُبَير بن نُفَير عن عوف بن مالك: «أن رسول الله نظر إلى السماء فقال: هذا أوان يرفع العلم، فقال له: لَبِيد بن زياد أو زياد بن لبيد[4]: يا رسول الله، يُرفع العلم؛ وقد أُثْبِتَ ووعته القلوب؟ فقال له[5] رسول الله ﷺ: إني كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما بأيديهم من كتاب الله، قال: فلقيتُ شدَّاد بن أوس

---

(١) في النسخ: وترى.

(٢) في (ك) و(ص): الله.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم: (٢٦٧١-عبد الباقي).

(٤) هو زياد بن لبيد في جامع الترمذي: (٤/٣٩١-بشار)، ولبيد بن زياد في السنن الكبرى: (٥/٣٩٢-شعيب).

(٥) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

فحدَّثته بحديث عوف بن مالك، فقال: صدق عوف، ألا أخبرك بأوَّل ذلك: يرفع الخشوع، حتى لا ترى خاشعًا»[١].

وكذلك قال عُبادة بن الصامت: «أَوَّلُ عِلْمٍ يُرْفَعُ من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى خاشعًا»[٢].

وقد قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٤].

يعني: المُخْبِتِينَ المتواضعين، وهي صفة أصحاب مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنه قال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنَ آثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

قال مجاهد: «الخشوع»[٣].

وقال غيره: «التراب»[٤]؛ فإن النبي ﷺ انصرف من صلاة الصبح في إِثْرِ سماء نزل بالحُدَيبية، وعلى أنفه وأَرْنَبَتِه أثرُ الماء والطين[٥]، وكذلك رُوي عن عكرمة[٦].

[الخشوعُ في الصلاة]:

وأَوْكَدُ ما يكون الخشوع في الصلاة، قال تعالى: ﴿ٱلذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المومنون:٢]، وقد تقدَّم ذِكْرُه مُوعَبًا على المعنى[٧]،

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب العلم، كيف يرفع العلم؟ رقم: (٥٨٧٨-شعيب).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ذهاب العلم، رقم: (٢٦٥٣-بشار).

(٣) تفسير الطبري: (٢١/٣٢٤-التركي).

(٤) تفسير الطبري: (٢١/٣٢٥-التركي).

(٥) سلف تخريجه.

(٦) تفسير الطبري: (٢١/٣٢٦-التركي).

(٧) في السِّفْرِ الثاني، عند اسم «المصلي».

وبيَّنَّا[١] أَلَّا يلتفت فيها، وقد كان عمر بن عبد العزيز لم يكن يومئ بعينيه، ولا يشير بيديه[٢]، ولا يرفع شيئًا ولا يضعه في الصلاة، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة[٣]، وقد روى الأئمة: «أن النبي ﷺ كان يلتفت»[٤]، وما أظنه صحيحًا، والله أعلم.

[كراهةُ استعمال الخشوع]:

ومن أعظم الآثام أن يستعمل الرجل/ الخشوع والخضوع؛ فإنه رياءٌ في الطاعة. [٢ ١٦٤/أ]

قال ابنُ عَوْنٍ: «كانوا يكرهون أن يتماوت الرجل حتى يُشار إليه».

ومن مرسلات الحسن: «كفى للمؤمن من الشر أن يُشار إليه بالأصابع»[٥].

[رَفْعُ الخشوع]:

وإذا رُفِعَ الخشوع كَثُرَ الظُّرْفُ، وهو حلاوة المنطق، وكثرة البشاشة، من غير اعتقادٍ ولا عملٍ ولا وفاءٍ.

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): منها، ومرَّضها في (د)، والمثبت من طرته.

(٢) في (ك): بيده.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبوابُ الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما ذُكِرَ في الالتفات في الصلاة، رقم: (٥٨٧-بشار)، وضعَّفه أبو عيسى، وذكر أن الصواب في روايته عن بعض أصحاب عكرمة، فهو معضل، ثم ذكر ما صحَّ عن رسول الله من الأحاديث الناهية عن الالتفات، وكذلك أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب السهو، الرخصة في الالتفات في الصلاة، رقم: (٥٣٤-شعيب).

(٥) الزهد لهنَّاد: (٢/٤٤٢).

وفي الصحيح عن حُذَيفة - واللفظ للبخاري - قال: «حدَّثنا رسول الله حديثين؛ رأيتُ أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدَّثنا أن الأمانة نزلت في جِذْرِ قلوب الرجال، قال: ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدَّثنا عن رفعها فقال: ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أَثَرِ الوَكْتِ، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المَجْلِ، كجَمْرٍ دحرجته على رجلك فنَفِطَ، فتراه مُنْتَبِرًا، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه[1]، وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ردَّه عليَّ الإسلام، ولئن كان نصرانيًا ليردَّنه علي ساعة[2]، فأمَّا اليوم فما كنتُ لأبايع إلَّا فلانًا وفلانًا»[3].

وكم لهذا الزمان، ثم كان وقد كان الناس، كما قال النبيُّ في الصحيح: «الناس كإِبِلٍ مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»[4]، وكانت الأمانة قبل اليوم تُرْفَعُ في النوم، وأراها الآن تُرْفَعُ في اليقظة.

ومعنى الحديث: إن الرجل ينام فيتوفَّاه الله، فإذا رَدَّ إليه روحه باليقظة فقد يردها بصفتها التي توفَّاها عليه، وقد يزيد فيها، وقد ينقص منها، وأشدُّه أن يستيقظ غير أَمِينٍ، وربما غير مؤمن.

وإذا اجتمعت له هذه الأوصاف كان من «التابعين».

---

(١) في (ك) و(ص): أطرفه. (٢) في (ك) و(ص) و(ب): ساعيه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب إذا بقي في حُثالة من الناس، رقم: (٧٠٨٦-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب فضائل الصحابة، باب باب قوله ﷺ: «الناسُ كإِبِلٍ مائة»، رقم: (٢٥٤٧-عبد الباقي).

التَّابِعُ[١]: وهو الاسمُ التاسع عشر والمائة[٢]

وحقيقته في العربية: هو فِعْلُ العبد مِثْلًا لِفِعْلِ السَّابق منه[٣]، على معنى الاقتداء به[٤] والاحتذاء له.

قال الله تعالى في إبراهيم ﷺ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾؛ يقول[٥]: من كان على شريعتي فإنه مني، أي: على ديني ومن أهله، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٨]؛ غفورٌ للمُذْنِبِ بالتوبة، غفورٌ للمشرك بالإيمان.

وقيل: تبعه في الوفاء بالخصال التي بيَّنها الله في ثلاث سُوَرٍ؛ في «براءة» في قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ إلى آخرها [التوبة:١١٣]، وعَشْرٍ في «المومنين»، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخرها[٦] [المومنون:٢-١١]، وعَشْرٍ في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ على نحوها [المعارج:٢٢-٣٥]. / ٢ [١٦٤/ب]

---

(١) سقط من (ك) و(ص) و(د).

(٢) في (ك): الثامن عشر، وفي (ص): العاشر، وفي (ب): التاسع.

(٣) في (د): فيه.

(٤) سقطت من (د).

(٥) في (ك) و(ب): ويقول.

(٦) قوله: «وعشر في المؤمنين .. إلى آخرها» سقط من (ب).

وأشدُّ هذه الخصال المحافظة على الصلاة، والخشوع فيها، والاستكانة معها، وغايته من الخشوع أن ينهدم المسجد على الناس فلا يشعر المصلي به، أو تقطع رجله في الصلاة لدَاءٍ إن كان به فلا يشعر بذلك[١]، كما جرى لمسلم[٢] ولثابت.

وقيل: «تبعه في الخلال العشر؛ خمس في الرأس، وخمس في الجسد»[٣]؛

فخصال الرأس: فَرْقُ الشعر، وقص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك؛

وخصال الجسد: قَلْمُ الظُّفْرِ، والختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، والاستنجاء.

قال بعضُ المفسرين: «بالحجارة».

وأخطأ في هذا[٤] التعيين خصوصًا[٥]، كما أخطأوا في تعيين ما وفَّى به إبراهيم عمومًا.

---

(١) قوله: «لداء إن كان به فلا يشعر بذلك» سقط من (ب).

(٢) قوت القلوب: (١٢١٨/٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: (١١٨٤/٣).

(٤) في (د): ذلك.

(٥) وإنما خطَّأه لأنه قصر الاستنجاء على الحجارة، وهو يكون بها وبالماء، ينظر: العارضة: (٧١/١).

والذي كان عليه إبراهيم شريعتُه؛ بخصالها، وأبوابها[١]، وشُعَبِها، وخلالها، ووظائفها، فمن تبعه في ذلك كله فهو منه، أي: «مؤمن»، «مُوَحِّدٌ»، «مسلم»، «عابد»، «مخلص»، «وَفِيٌّ»، «تابع»، ومن عَصَاهُ فالله غفور رحيم؛ رحيم في الإمهال، غفور للمؤمن على ما كان من حال.

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من غشَّنا فليس منَّا، ومن حمل علينا السِّلاح فليس منَّا»[٢].

يريد: ليس من مُتَابِعِينَا، أو من مخلصينا، أو نحو ذلك، ممَّا يَنْفِي الكمال ويُبْقِي أصل الإيمان.

[السَّابقون الأوَّلون]:

وقد قال الله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، فالسَّابقون الأوَّلون هم أهل العقَبة الأولى[٣]، وأهل العقبة الثانية، وأهل القبلتين، وأهل الهجرتين، والسَّابقون في الحقيقة رَجُلٌ؛ وهو أبو بكر، وامرأةٌ؛ وهي خديجة، وما عداهم تابعٌ لهم، وثاني إليهم، ولَاحِقٌ بهم.

والسَّابِقُ من المريدين شَابٌّ نشأ في عبادة الله، وحقيقتُه رجل كُتِبَ في أهل توفيق الله.

وقيل - وهو مثله -: «السَّابق من سبقت له رحمة الله»[٤].

---

(١) في (ك) و(ص) و(ب): ألوانها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشَّنا فليس منَّا»، رقم: (١٠١-عبد الباقي).

(٣) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) لطائف الإشارات: (٥٨/٢).

ويقال: «السَّابق في رَوح النعيم، واللَّاحق في النصب الأليم»[(١)].

وأنشدوا:

السِّبَاقَ السِّبَاقَ قَوْلًا وفِعْلًا حَذِّرِ[(٢)] النفسَ حَسْرَةَ المَسْبُوقِ[(٣)]

[الخَلْقُ أتباعُ الرسل]:

والخَلْقُ كلهم أتباع الرسل؛ فإن الرسل أوَّلُ من يؤمن، قال الله مخبرًا عن موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال لمُحَمَّدٍ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(٤)] [الأنعام:١٦٤-١٦٥]، وفي الحديث الصحيح: «وأنا أوَّل المسلمين»[(٥)]، وهو أوَّلهم إذا كان الخطاب لنا، وهو منهم إذا خُوطِبَ الناس من إبراهيم إلينا، وآدم أوَّل المؤمنين حقيقة، وإبراهيم أوَّل المسلمين اسمًا، قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج:٧٦].

٢ [١٦٥/أ]

وقالت طائفة: «إن الضمير/ في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ عائد إلى الله»[(٦)].

فيكون على هذا آدمُ أوَّل المسلمين، وأوَّل المؤمنين من الآدميِّين.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٥٨).

(٢) في اللطائف (٢/٥٨): حذَّروا.

(٣) من الخفيف، وهو في لطائف القشيري: (٢/٥٨)، وتفسير ابن عجيبة: (٥/٦٢)، دون نسبة.

(٤) في (ك) و(ص) و(ب): قل: وبذلك أمرت، وأنا أوَّل المؤمنين.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) معاني القرآن للزجَّاج: (٣/٤٤٠)، وتفسير الطبري: (١٦/٦٤٥-التركي).

فأمَّا أوَّل المؤمنين ممَّن[١] خلق الله ؛ فلم يَرِدْ في ذلك أثرٌ يُستنَد إليه ، ولا خبر يعوَّل عليه.

[قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾]

وكذلك قال الله لمُحَمَّدٍ ﷺ مُخْبِرًا عن عيسى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قيل: اتبعوك في قوله: ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٢٩] ، وهي أوَّل كلمة تكلَّم بها ، وقد بيَّنَّاه في «الأنوار» ، وذَكَرْنا طَرَفًا منه قبل هذا آنِفًا.

[اتِّبَاعُ موسى للخَضِرِ]:

وقد قال الله لمُحَمَّدٍ مُخْبِرًا عن عَبْدَيْهِ موسى وخَضِر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٥] ، فكان موسى كليم الله ، وصار مُتَعَلِّمًا فيما لم يعلم لعَبْدٍ من عَبِيد الله هو تحته ، وموسى خيرٌ منه وأكرم ، فسأله الاتِّبَاعَ وأجابه ، وقال له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٦٩] ، فشَرَطَ عليه في الاتِّبَاعِ الإصغاءَ ، والاستماعَ ، وتَرْكَ الاعتراض ، وهذا حُكْمُ المُتَعَلِّمِ مع المُعَلِّمِ[٢] وأَدَبُه له ، وقد بيَّنَّا طَرَفًا منه في اسم «العالم»[٣].

وكان عِلْمُ الخَضِرِ فيما يقال: «من غير تعليم ، وإنما كان شيئًا يُلقى في نفسه ؛ وهو الإلهام»[٤] ، لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٤] ،

---

(١) في (ك) و(ص): من.

(٢) في (ك) و(ص): العالم.

(٣) إنما ذكر ذلك في اسم «البَرِّ» ، في هذا السِّفْرِ ، وترجمه بـ: ذِكْرِ بِرِّ المُعَلِّمِ.

(٤) لطائف الإشارات: (٢/٤٠٧).

وتقول له الصوفية: «العِلْمُ اللَّدُنِيُّ»، وهذه دعوى عريضة، كلُّ عِلْمٍ اللهُ يُعَلِّمُه، وكيفية التعليم لا تُعلم إلَّا بمشاهدة، أو بخَبَرٍ[١] صِدْقٍ.

وقد قال الخضر لموسى في الحديث الصحيح: «إنك لن تستطيع معي صبرًا؛ إنِّي على عِلْمٍ من عِلْمِ الله عَلَّمَنِيهِ لا تعلمه، وأنت على عِلْمٍ من علم الله علَّمكه لا أعلمه»[٢].

يعني: أنت على الظاهر، وأنا على الباطن المغيَّب، فإذا رأيت خلاف ما تعرف فلا تنكره؛ لأنه عِلْمِي الذي يخالف عِلْمَك، والذي أنت مُرِيدٌ لتَعَلُّمِهِ، قال له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾[٣] [الكهف:٦٨-٦٩].

فنَسِيَ موسى واعترض عليه، فعفا عنه وغفر له؛ لأنه احتجَّ عليه بشَرْطِ التكليف، وأن النسيان لا يدخل تحته، ولا يؤاخذ به في الآخرة إجماعًا، واختُلِفَ هل يؤاخذ به[٤] في الدنيا؟ على تفصيل بيانُه في «حُكْم[٥] الفقه»، والصحيح أنه لا يؤاخذ به في الإثم ولا في الحُكْم فيما كان حقًّا لله؛ كالطلاق ونحوه، وما كان حقًّا للآدَمِيِّ فإنه[٦] يؤاخذ به باتفاق، وقد بيَّنَّا ذلك في «كتب الفقه»[٧].

---

(١) في (د): لخبر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب ﷺ: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، رقم: (١٢٢-طوق).

(٣) بعده في (ك) و(ص): من ذلك.

(٤) سقطت من (ك) و(ص) و(ب).

(٥) في طرة بـ (د): في خـ: كتاب.

(٦) في (د): ماله.

(٧) أحكام القرآن: (١٢٤٦/٣).

[اتِّباعُ الصراط المستقيم]:

وقد ذكر الله الأمر مُحْكَمًا، وأَمَرَ به جَزْمًا مُبْرَمًا، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٤]. / [١٦٥/ب]

الصراط المستقيم: هو الإسلام والقرآن والدين والمِلَّةُ، فاسلكوا كل ذلك، اتَّبعوا الإسلام؛ وهو الدين والملة، واتبعوا القرآن، فهو الهدى والنور والسبيل الذي[١] لا عِوَجَ فيه[٢]؛ دليل قويم، وكلام قديم، وفصيح عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، وهدى للمتقين، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ وهي البُنَيَّات، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، أي: تَعُوجُوا عنها، فسبحان العدل الحكيم، نهى الخلقَ عنها، ثم قدَّرها عليهم وقضاها فيهم.

قال النبيُّ ﷺ: «افترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين، وسيأتي على أمَّتي ما أتى على بني إسرائيل؛ حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ»[٣]، الحديث.

وهذا أَمْرُ الله لنا ووَصِيَّتُه وعَهْدُه عندنا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني: وما بينهما ممَّا ﴿وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١١]، ثم أخبر تعالى في كل موضع عنهم أنهم ما تفرَّقوا إلَّا من بعد ما

---

(١) في (د): التي.

(٢) في (د): فيها.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم: (٤٥٩٦ -شعيب).

جاءهم العلم؛ بغيًا بينهم، وعَايَنُوا البيِّنة، وعلموا الحق؛ لينفذ عليهم القَدَرُ، وابتدعوا[1] وما اتَّبعوها، رهبانيةً ما رعوها حقَّ رعايتها، وقد بيَّنَّا قوله عليه السَّلام[2]: «عليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديِّين بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ[3]»[4].

[حُجِّيَّةُ قَوْلِ التَّابِعِيِّ]:

وقد[5] ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «تسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممَّن يَسمع منكم»[6].

واختلف الناسُ في قول الصحابي؛ هل هو حجة أم لا إذا كان بخلاف القياس؟ ورأى مالكٌ وحده أن قول التابعي حجة[7] ودليلٌ إذا خالف النظر ولم يكن إليه طريقٌ إلَّا الخبر، والصَّحِيحُ قولُه، وقد بيَّنَّاه في كتاب «التمحيص» و«التخليص»[8]، فلينظر هنالك[9].

---

(١) في (ك): ابتدعوها.

(٢) قوله: «عليه السَّلام» لم يرد في (ك) و(ص) و(ب).

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(د): وقال مالك، وما بعده بيَّض له في (ك) و(ص).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن عن العرباض بن سارية ﷺ: كتاب السنة، بابٌ في لزوم السنة، رقم: (٤٦٠٧-شعيب).

(٥) قبله في (ك) و(ص) و(د): وقال مالك، وبيَّض له.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ينظر: البرهان: (٢/١٣٦٢).

(٨) هو: كتاب «تخليص تلخيص الطريقتين؛ العراقية والخراسانية»، يوجد منه السِّفْرُ الأوَّل في خزانة القرويين، قسم الخروم.

(٩) ينظر: البرهان: (٢/١٣٦٠).

[متابعةُ النبي ﷺ]:

فمن اتَّبع ما يؤمر وامتثل ما يُحَدُّ له واستمع ما يقال له فهو «التَّابعُ».

رُوي[١] أنَّ ابن عمر لم يدخل على باب من أبواب مسجد النبي بعد أن قال رسول الله ﷺ: «هذا بابُ النساء»[٢]، فلم يدخل منه عبد الله بن عمر[٣] أبدًا؛ لا مع النساء ولا دونهم.

وسئل عمَّن نذر صوم يَوْمٍ فقال: «أَمَرَ الله بالوفاء بالنذر، ونهى عن صيام يوم النحر»[٤].

وسئل عن الوتر فقال: «أَوْتَرَ رسول الله، وأوتر المسلمون»[٥]، ولم يزد.

وقال سعيدُ بن المسيَّب بن حَزْنٍ: «قال النبي لجَدِّي حَزْن: ما اسمك؟ قال: حَزْن، قال: بل أنت سَهْل، فقال: لا أُغَيِّرُ اسمًا سمَّانِيه أبي، قال سعيد: فما زالت تلك الحُزُونَةُ فينا بعدُ»[٦].

٢ [١٦٦/أ]

وبذلك يكون «مُعْتَصِمًا» بالله/ وبحَبْلِه.

---

(١) في (ك): وروي.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن ابن عمر ﵁: كتاب الصلاة، باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال، رقم: (٤٦٢-شعيب)، وفيه: «فلم يدخل منه ابنُ عمر حتى مات».

(٣) قوله: «ابن عمر» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب من نذر أن يصوم أيَّامًا فوافق النحر أو الفطر، رقم: (٦٧٠٦-طوق).

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب صلاة الليل، الأمر بالوتر، (١/١٩٤)، رقم: (٣٢٥-المجلس العلمي الأعلى).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الحزن، رقم: (٦١٩٠-طوق).

المُعْتَصِمُ[١]: وهو الاسمُ المُوَفِّي عِشْرِينَ والمائة[٢]

كما قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[٣] [الحج:٧٦].

والاعتصام بالله: هو اتخاذ عِصَامٍ؛ وهو الذي يُشَدُّ به كل إناء فيه شيء يُخاف عليه التبديد إن لم يُشَدَّ فَمُه.

ضُرِبَ به المثل لمن يُهمل نفسه للمعاصي وللآفات، فيقال فيه: لم يعتصم، إذا لم يتخذه عِصَامًا في الوجهين.

[حقيقةُ الاعتصام]:

والعِصَامُ من الله والاعتصام به: هو التبِّري من الحول والقوة لله، والاعتماد في كل حالة ومعنى عليه، والمحافظة في كل حال على المُثول في الخدمة بين يديه، والنهوض لعبادة الله بالله وحده، لله وحده[٤].

[معنى الاعتصام بحبل الله]:

وقيل: «الاعتصام بالله: التمسك بكتابه وسنة رسوله»[٥]، كما قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

---

(١) سقط من (ك) و(د) و(ص).

(٢) في (ك): التاسع عشر، وفي (ص): الحادي عشر، وفي (ب): العاشر.

(٣) بعده في (ك) و(ص) و(د): كما قال الله سبحانه.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٢/٥٦٦).

(٥) لطائف الإشارات: (٢/٥٦٦).

فيه خمسة أقوال:

الأوَّل: الجماعة[1].

الثاني: القرآن[2].

الثالث: عهد الله[3].

الرابع: الإخلاص[4].

الخامس: الإسلام[5].

قال الإمام الحافظ[6] رضي الله عنه: الذي فسَّر به المُفَسِّرُ الحَبْلُ بحضرة النبي ﷺ هو الحق، وهذا كلُّه من الحق الذي أَمَرَ الخلق بالاعتصام به، والاتباع له، والإنذار به، والذي يحقق ذلك قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٤]، فأكمل التوحيد ببرهانه، وأكمل الملة ببيان أركانها، وشرح فرائضها وحدودها.

[الاعتصامُ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ]:

وقد قال عُمَرُ في اليوم الثاني من بيعة أبي بكر، واستوى على منبر رسول الله، تشهَّد قبل أبي بكر فقال: «هذا الكتابُ هو[7] الذي هُدِيَ به رسولكم، فخذوا به تهتدوا»[8].

---

(١) تفسير الطبري: (٧/٧١-شاكر).

(٢) تفسير الطبري: (٧/٧١-شاكر).

(٣) تفسير الطبري: (٧/٧١-شاكر).

(٤) تفسير الطبري: (٧/٧٣-شاكر).

(٥) تفسير الطبري: (٧/٧٣-شاكر).

(٦) في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وفي (ب): قال الإمام رحمه الله.

(٧) سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم: (٧٢٦٩-طوق).

وقد كره رسول الله المسائل وعابها، وعلى العبد أن يعمل بما علم، ولا يزيد حتى يعمل بما حصل عنده.

دخلتُ يومًا على دَانْشْمَنْد[١] الأصغر[٢] وعلى كُمِّي كُتب، فقال لي: «مَالَكَ تستكثر من الشهود عليك؟ ما منها حَرْفٌ إلا وأنت مُطالب إذا وَعَيْتَه بالعمل به، فقَلِّلْ من الشهود عليك، وكَثِّرْ ممَّا تَقَيَّدَ عندك»[٣].

وفي الحديث الصحيح: «نهى النبي صلى الله عليه عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٤].

وما أَذِنَ رسولُ الله في السؤال إلَّا مرتين أو ثلاثًا، من صحيح ذلك ما ثبت - واللفظ للبخاري - قال أنس بن مالك: «إن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلَّى الظهر، فلمَّا سلَّم قام على المنبر فذكر السَّاعة، وذكر أنَّ بين يديها أمورًا عظامًا، ثم قال: من أحبَّ أن يسأل عن شيء فليسألْ، فوالله لا تسألوني/ عن شيء إلَّا أخبرتكم به ما دمتُ في مقامي هذا، قال أنس: فأكثر الأنصار البكاء، وأكثر رسول الله أن يقول: سلوني، قال: أنس فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: النار، فقام عبد الله بن حُذافة فقال: من أبي؟ قال: حُذافة، ثم أكثر أن يقول: سلوني، فبرك عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحَمَّدٍ رسولًا، قال: فسكت رسول الله حين قال عمر ذلك، ثم قال النبي ﷺ: والذي[٥] نفسي

٢ [١٦٦/ب]

---

(١) في (ص): داشمند.

(٢) هو الإمام أبو حامد الطوسي.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٣٦٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قبله في (ك) و(ص) و(ب): أولى، وضرب عليه في (د).

بيده، لقد عُرضت عليَّ الجنة والنار آنِفًا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أَرَ كاليوم في الخير والشر»[١].

[الاقتداءُ بأفعال النبي ﷺ]:

ومن الاعتصام والاتباع الاقتداءُ بأفعال النبي؛

فقد «اتخذ النبيُّ خاتمًا من ذَهَبٍ ونبذه، فنبذ الناسُ[٢] خواتيمهم»[٣].

وقد قال الجواب بفِعْلِه في قُبْلَةِ الصائم وغير ذلك[٤].

وقد حضَّ[٥] مطلقًا حضًا عامًّا فقال: «خُذُوا عَنِّي مناسككم»[٦]، وخاصًّا[٧] فقال: «صَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي»[٨]، والآثارُ في ذلك كثيرة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ك) و(ص) و(ب): ونبذ.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن ابن عمر رضي الله عنهما: كتاب الجامع، ما جاء في لبس الخاتم، (٢/٣١٥)، رقم: (٢٦٥٩-المجلس العلمي الأعلى).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب الصيام، ما جاء في الرخصة في القُبلة للصائم، (١/٣٣٨)، رقم: (٨٠٠-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في (ك) و(د) و(ب): خطَّ مطلقًا خطًّا.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، رقم: (١٢٩٧-عبد الباقي).

(٧) في (د): ووجَأَهَا، وفي (ك) و(ب): وُجَاهًا.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه عن مالك رضي الله عنه: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، رقم: (٦٣١-طوق).

ومن الاعتصام تَرْكُ الغُلُوِّ فيما تقصر[(١)] عنه قُوَى البشر عادة، فقد مرَّ النبي بحبل ممدود في المسجد لامرأة تصلي، فإذا مَلَّتْ تعلَّقت به، فكرهه، وقال: «إن الله لا يمل حتى تملُّوا»[(٢)].

وقد قال أبو بكر: «أعمل بما عمل به رسول الله، وقال عمر: أعمل بما عمل به أبو بكر»[(٣)].

[العلماءُ المنذرون المُبَلِّغُونَ]:

وقد بيَّن النبي الاستقامة وأخبر عن دوامها إلى أن تقوم السَّاعة، فروى معاوية - واللفظ للبخاري - قال رسول الله: «من يُرِدِ الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم، والله يعطي، ولن يزال أمرُ هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم السَّاعة، وحتى يأتي أمرُ الله جلَّ وعزَّ»[(٤)].

وإذا قَوِيَتْ عِصْمَتُه ولزم السنة باتِّباعه واهتدى بهَدي النبي ﷺ وأصحابه وتفقَّه بفقههم وحصَّل على جُزْءٍ من الدِّينِ فلا يخزنه، وليَبُثَّه، وليُبَلِّغْهُ، ولِيُنْذِرْ به، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٣].

---

(١) في (د): يقصر.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات عياله، رقم: (٥٣٥٨-طوق).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن معاوية ﵁: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم: (٧١-طوق).

قال علماؤنا: «لو اشتغل الكُلُّ بالتفقه لهلك الخلق وتعطَّل المعاش»(١).

وما خلق الله الخليقة ليكون مكانهم سواء؛ في الخير والشر، والعلم والجهل، والنعيم والثواب، ولكنه فاضل بينهم، وفضَّل بعضهم على بعض، كلُّ ذلك لتَتِمَّ الحكمة، وتظهر السنة التي لا تبديل لها.

ومن «فوائد الشهيد أبي سَعْدٍ(٢)/ الزَّنْجَانِي»: «إنَّ الله جعل المسلمين [١٦٧/أ] على مراتب؛ فعوامُّهم كالرعيَّة للملك، والذين يكتبون الحديث كالخُزَّانِ، والذين يُقَيِّدُونَ في قلوبهم القرآن خُزَّانُ الذخائر ونفائس الأموال، والمفتون وُكَلَاءُ الملك؛ لأنهم يُوَقِّعُونَ عن الله، وعلماء الأصول كقُوَّاده وأمراء أجناده، والعُبَّاد كخاصَّة(٣) حَضْرَتِه، المعدودون في أهل مؤانسته»(٤).

وكلٌّ مُنْذِرٌ بقَوْلِه وفِعْلِه، وأكثرُهم نِذارةً أهلُ الأصول والفتوى والحديث.

والذي عندي أن الأصل في ذلك يرجع إلى حافظ مُبَلِّغ، تَفَهَّمَ وتَفَقَّهَ(٥)؛ فذلك الأعلى، وإلى حافظ لم يَفْقُهْ فيه؛ فذلك أقل منه حظًّا، حسب ما تقدَّم بيانُه في المَثَلِ الذي قال النبي ﷺ فيه: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمَثَلِ غَيْثٍ أصاب أرضًا»(٦)، الحديث.

---

(١) لطائف الإشارات: (٢/٧٣).
(٢) في (خ): سعيد.
(٣) في (خ): فخاصة.
(٤) لطائف الإشارات: (٢/٧٣).
(٥) في (ك) و(ص) و(ب): يفهم ويفقه.
(٦) سبق تخريجه.

[النافرون الرحّالون من المغاربة]:

والنَّافِرُونَ الرَّحَّالُونَ[١] المُنْذِرُونَ المُبَلِّغُونَ كثير، وقد رتَّبهم علماء الحديث، وممَّن كان بهذه الصفة في المغرب جماعةٌ نحو المائة، من أَجَلِّهم بَقِيٌّ بن مَخْلَدٍ[٢]، ومحمد بن وضَّاح[٣]، أدخلَا المغرب ما لم يُدْخِلْ أحدٌ[٤] قبلهما من العلم والفوائد الدينية[٥]، والفقه العظيم والمعرفة الجمَّة.

وعبدُ الملك بن حبيب[٦] أدخل من المسائل المدنيَّة ما لم يُدخله أحدٌ قبله ولا بعده، عالمٌ بها، مُتَأَصِّلٌ فيها، مُتَحَقِّقٌ بجُملتها[٧] وتفاصيلها، فَحْلٌ من فحولها، إذا تكلَّم فيها فاستمع لما يُوحَى منها، وإذا تكلَّم في الحديث أو في شيء سواها[٨] فأَعْرِضْ عنه؛ فإنه لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، على رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لا سهل فيُرتقى، ولا سَمِين فيُنتقى.

---

(١) في (خ): الراحلون.

(٢) الإمام الحافظ، العلَّامة الزاهد، شيخ الإسلام، بقي بن مخلد القرطبي، أبو عبد الرحمن، ت٢٧٦هـ، ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: (١٤٣/١-١٤٥)، وجذوة المقتبس: (ص٢٥١-٢٥٤)، والعواصم: (ص٣٦٦).

(٣) الإمام الحافظ، المحدث المسند، محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبد الله، تـ٢٨٦هـ، ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: (٢٥/٢-٢٧)، وجذوة المقتبس: (ص١٤٠-١٤١)، والعواصم: (ص٣٦٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب) و(د).

(٥) سقطت من (خ).

(٦) الإمام الحافظ، الفقيه الحجة، عالم الأندلس، عبد الملك بن حبيب بن سليمان، أبو مروان السُّلَمي، تـ ٢٣٨هـ، ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: (٣٥٩/١-٣٦٢)، وجذوة المقتبس: (ص٤٠٧-٤٠٨).

(٧) في (ك) و(ص) و(ب) و(خ): بجملها.

(٨) في (خ): سواه.

وممَّن أدخل العلم إليه وجلبه حتى أوقفه عليه أبو علي القالي، فإنه ملأها[١] عربيَّة، وأفادها[٢] منها ما لم يَدْخُلْ في حساب[٣].

---

(١) في (خ): ملأه.

(٢) في (ك): أفاد.

(٣) بعده في (ص): قال الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي الأَشِيرِي -رحمه الله-: «أبو علي القالي هذا هو: إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُونَ، بعين مهملة مفتوحة، وياء معجمة باثنتين، وذال معجمة بعدها، وواو ونون، ابن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان مولى عبد الملك بن مروان، ليس من أهل المغرب أصلًا، ولكنه منهم إيطانًا، وأصله من المشرق، مولده بديار بَكْرٍ، بمَنَازْجِرْدَ منها، ولد سنة ثمانين ومائتين، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، فأقام بها خمسًا وعشرين سنة، إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، سمع أبا بكر بن دُرَيد، وأبا بكر بن الأنباري، وأبا بكر بن السَّرَّاج، وأبا بكر بن شُقَير، وأبا عبد الله نِفْطَوَيْه، وأبا إسحاق الزجَّاج، وأبا الحسن الأخفش، وأبا محمد بن دَرَسْتُويَه، وأبا جعفر بن قُتَيبة، وأبا عمر المُطَرِّز، وأحمد بن يحيى النَّدِيم، وغيرهم، وخرج من بغداد سنة ثمان وعشرين، ودخل إلى الأندلس سنة ثلاثين و[ثلاث] مائة، فأوطن قرطبة؛ قاعدة الأندلس ومحل المُلك والإمارة بها، لأمراء بني أميَّة بها، فأفاد الناسَ بها عِلْمًا وأدبًا جمًّا، وألَّف بها تصانيف بهرت واشتهرت، منها: كتاب البارع في اللغة؛ كتاب كبير يوازي كتاب الجمهرة، ولكنه أحسن وضعًا منه، فإنه كله أو أكثره مقيَّد الألفاظ، ومنها: كتاب الأمالي له، وسمَّاه النوادر، كان يُمليه في مجالس؛ في أيَّام الأخمسة، وهو كتاب طريف ظريف، في أربع مجلدات، ومنها: كتاب الممدود والمقصور، في مجلدين، وله غير ذلك، قرأ الناس عليه وسمعوا منه، واستفاد عليه خَلْقٌ كبير، صاروا به أئمة بعده، وتوفي -رحمه الله- في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة»، انتهى كلام الأشيري، وينظر في ترجمة أبي علي القالي: تاريخ ابن الفرضي: (١/١٢٠-١٢١)، وجذوة المقتبس: (ص٢٣١-٢٣٥).

وممَّن رحل[١] وخاب[٢]، فلم يجلب لنفسه عِلْمًا ولا أفاد شيئًا نَفَرٌ يَعُدُّهُمُ الناس بالخناصر، وحقُّهم أن يُدفعوا بالمخاصر[٣]، تعرفونهم بسيماهم[٤].

---

(١) في (د): دخل.

(٢) في (خ): طلب.

(٣) ذَكَرَ في مواضع أخرى من كتبه بعضهم، وسمَّى فيها ثلاثة، وهم: منذر بن سعيد البلُّوطي، ومحمد بن مسرَّة الجبلي، ومَسلمة بن القاسم القرطبي، ينظر: العواصم: (ص٣٦٨)، والمتوسط في الاعتقاد - بتحقيقنا -: (ص٣٩٨)، وتنظر دراستنا المترجمة باسم: «فصول في التصنيف العقدي ومعالمه عند الإمام أبي بكر بن العربي»، مجلة الإبانة (الصَّادرة عن مركز أبي الحسن الأشعري بتطوان)، العدد الرابع، (١٤٣٨هـ/٢٠١٦م).

(٤) قال الإمام أبو محمد الأشيري: «وممَّن رحل من أهل المغرب ممَّن لم يذكره الإمام القاضي ابنُ العربي ﷺ، وإنما أشار إليهم، وكان ذكرهم فائدة يُفِيدُناها لو ذَكَرَهُمْ، لذكرهم نحن لنُتَمِّمَ ما بدأ به من الفائدة، جماعة مشاهير، علماء بكل فَنٍّ من علوم الشريعة، وما يتعلَّق بها من علوم اللغة والعربية والغريب، وغير ذلك، قد ذكرهم خالد بن سعيد القرطبي، والكاتب أبو عبد الملك بن عبد البر، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو سعيد بن يونس المصري، وغيرهم، في تواريخهم في علماء الأندلس والمغرب.

منهم: يحيى بن يحيى الليثي، وزياد بن عبد الرحمن شَبَطُون، ويحيى بن إبراهيم بن مُزَين، وعيسى بن دينار، وابنه أبان بن عيسى، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن عبد السَّلام الخُشَني، وطاهر بن عبد العزيز، وأخوه أسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومحمد بن معاوية القرشي، وسعيد بن عثمان الأَعْنَاقي، وعبد الله بن عبد المؤمن، ومحمد بن عبد الله بن مَسَرَّةَ، المعروف بالجَبَلِي، ويحيى بن مالك بن عائذ، وعبد الله بن إبراهيم الأَصِيلي، وعبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم الثَّغْرِي، وثابت بن =

[فوائدُ رحلة ابن العربي]:

والحمد لله الذي جعلنا ممَّن رحل وحصَّل، وقيَّد وبلَّغ[١] وأوصل، وأنذر بما لم يُنْذَرْ به من قبْل.

ومن الفوائد المذكورة:

«كتاب ابن مَاكُولَا في المُؤْتَلِف والمختلف»[٢].

= حزم العوفي السَّرَقُسْطِي، وابنه قاسم بن ثابت، وأبو بكر محمد بن مَوْهَب القَبْرِي، وأبو الوليد بن الفَرَضِي، وأبو الوليد سليمان بن خَلَف الباجي، وأبو العباس أحمد بن عمر العُذْرِي، وأبو عمر بن عبد البر النَّمَرِي، وأبو محمد علي بن أحمد حزم، وهذان وإن لم يَرْحَلَا إلى المشرق ولا تجاوزَا البحر فقد رَحَلَا في أقطار صُقْع الأندلس، إمامان عظيمان في كل نوع من العلوم الدينية، وعبد الله بن سعيد الشنتجيلي، وغير هؤلاء ممَّن يطول ذكرهم.

ومن آخرهم ممَّن رَحل ورُحل إليه وأصبح دعامة في العلم يُعتمد عليه الشيخُ أبو علي الحافظ الغسَّاني، والقاضي الشهيد أبو علي الصَّدَفِي.

ومن شيوخنا الشيخ أبو جعفر بن غَزْلون الأموي، وأبو الحسن بن موهب الجُذامي، وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدبَّاغ، والقاضي أبو الفضل عياض بن موسى، والإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري شيخُنا، مؤلف هذا الكتاب، وهو من أقدمهم رحلة، وآخرهم موتًا، به خُتم الرحَّالون من المغرب رحلة وموتًا، توفي -رحمه الله- قريبًا من سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وكان موته وموت القاضي أبي الفضل عياض متقاربًا، في أيام الفتنة المغربية، غَرِيبَيْنِ مُجْلَيَيْنِ عن أوطانهما وأهليهما، رحمهما الله ورضي عنهما وعن أئمة المسلمين»، انتهى كلام الإمام الأشيري.

(١) في (خ): نفع.

(٢) هو: كتاب الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، يرويه ابنُ العربي عن أبي بكر بن طرخان =

كتاب «جُذوة المقتبس في[1] تاريخ الأندلس»[2].

«اختصار تفسير القرآن للطبري»[3].

«تفسير القرآن»[4] للقُشَيري؛ المُسَمَّى باللطائف والإشارات[5].

«أسماء الله»[6] لابن فُورَكَ.

٢ [١٦٧/ب] «أسماءُ الله»[7] للقُشَيري./

«الأحاديثُ التي خُولِفَ فيها مالك»[8] للدَّارُقُطْنِي.

= (فهرس ابن خير: ص٢٧٤)، وهو منشور بتحقيق المحدث العلَّامة عبد الرحمن المُعَلِّمِي اليماني، وكانت وفاة الأمير ابن مَاكُولَا عام ٤٧٥هـ، ترجمته في سير النبلاء: (١٨/٥٦٩-٥٧٨).

(١) سقطت من (د) و(ب) و(ك) و(ص).

(٢) من تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن فُتُّوح الحميدي، سمعه ابن العربي من أبي بكر محمد بن طَرخان التركي، فهرس ابن خير: (ص٢٨١).

(٣) ذكره في قانون التأويل: (ص١١٨-١١٩)، ولم يُبَيِّنْ لمن هو، ولعله لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النَّحْوِي، أحد المجاورين بمكة، واسم كتابه: «البيان في تفسير القرآن»، فهرس ابن عطية: (ص٦٢).

(٤) يرويه ابن العربي عن أبي سعد الزنجاني وأبي الفضائل بن طوق، وقد ذكرنا ذلك في السِّفْرِ الأوَّل من الكتاب، والكتاب منشور في ثلاثة أسفار.

(٥) في (د): الإشارة.

(٦) من جملة الكتب التي لم يعثر لها على خبر، وأفاد منه السكوني في كتابه التمييز، في موضعين: (ق٢٦/أ)، و(ق١٠١/ب)، وسمَّاه فيهما: الكتاب الكبير في الأسماء.

(٧) هو: كتاب التحبير في علم التذكير، سمعه ابن العربي من أبي الفضائل بن طوق، فهرس ابن خير: (ص٣٧٠)، وهو منشور.

(٨) سمعه ابنُ العربي من ابن الطُّيوري، فهرس ابن خير: (ص٢٢٩)، وهو منشور.

«السُّنَنُ»[١] للفِرْيَابِي.

«من[٢] الأفراد»[٣] للدارقطني.

«صحيح الحديث»[٤] للإسماعيلي.

«نسخة أبي زكرياء يحيى بن معين من حديث يحيى بن يحيى التميمي»[٥].

«حديث هلال الحفَّار»[٦].

---

(١) لا خبر عن وجوده، والفريابي هو: الإمام الحافظ الحجة، محمد بن يوسف بن واقد، أبو عبد الله الضبي، (١٢٠-٢٢١هـ)، سمع من الثوري والأوزاعي، وعنه البخاري، ترجمته في: سير النبلاء: (١٠/١١٤-١١٨)، وكتاب السنن هذا ذكره له ابن نقطة في التقييد: (٢/٣٦).

(٢) في (خ): الأفراد.

(٣) نُشِرَ بعضه.

(٤) اسمه: «المسند الصحيح المخرج على كتاب البخاري»، ولا خبر عن وجوده، وهو في أربع مجلدات، من تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني، (٢٧٧-٣٧١هـ)، يرويه ابن العربي عن أبي المعالي ثابت بن بُندار (فهرس الحَجْرِي: ص١٦٣)، ترجمته وأخباره في: العواصم: (ص٤٩-٥٣)، وسير النبلاء: (١٦/٢٩٢-٢٩٦).

(٥) قال ابنُ العربي في شأن هذه النسخة: «لم يسبقني إليها أحد»، العارضة: (٩/١٩٠).

(٦) يرويها ابنُ العربي عن الإمام طِراد الزينبي عن هلال الحفَّار تـ ٤١٤هـ، فهرس ابن خير: (ص٢٠٩).

«مشيخة أبي[١] علي بن شاذان»[٢].

«تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة»[٣] لمسلم[٤].

«وفاة[٥] الشيوخ»[٦] لابن المنادي[٧].

و«نسخة همَّام بن مُنَبِّه»[٨].

«كتاب الشجرة[٩]»[١٠] للجُوزَجاني في أسماء المحدثين.

«المدخل إلى معرفة كتاب البخاري» للإسماعيلي.

---

(١) سقط من (د).

(٢) له مشيختان؛ كبرى وصغرى، وهذه نشرت؛ عن كل شيخ حديث، والأخرى فيها عواليه عن الكبار، وابن شاذان هو: الحسن بن أحمد بن إبراهيم البغدادي البزاز، المتكلم الأشعري، مسند العراق، (٣٣٩-٤٢٥هـ)، ترجمته في: سير النبلاء: (١٧/٤١٥-٤١٨).

(٣) يرويه ابن العربي عن ابن الطيوري، فهرس ابن خير: (ص٢٦٦).

(٤) سقط من (ك) و(ص) و(ب) و(خ).

(٥) في (خ): فائدة.

(٦) لعله الإمام الحافظ أبو الحُسَين أحمد بن جعفر البغدادي، (٢٥٧-٣٣٦هـ)، ترجمته في: سير النبلاء: (١٥/٣٦١-٣٦٢).

(٧) في (ك) و(د): المنادلي.

(٨) يرويها ابنُ العربي عن ابن طرخان التركي وابن أبي يعلى الفرَّاء، فهرس ابن خير: (ص٢٠٨).

(٩) في (د): الشجر.

(١٠) يرويه ابن العربي عن هبة الله ابن الأكفاني، تقدَّم ذكره في السِّفْرِ الثاني من السراج، ونشر باسم «أحوال الرجال».

«تسمية كل من روى عن مالك بن أنس[١]»[٢]؛ ألف رجل، تأليف[٣] الخطيب.

«الفَصْلُ للوَصْلِ المُدْرَجِ في النَّقْلِ»[٤] له.

«طبقات الفقهاء» للشِّيرَازِي.

«أوهام البراذعي» لعبد الحق.

«الخصال»[٥] للعبدي.

«الشَّامل»[٦] لابن الصبَّاغ.

«الأساليب»[٧] لأبي المعالي.

---

(١) قوله: «ابن أنس» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٢) يرويه ابنُ العربي عن الشريف ابن أبي الجن عن الخطيب البغدادي، وكتابه هذا لا خبر عنه في فهارس دُورِ الكتب وخزائنها، والله أعلم، ينظر: فهرس الحَجْري: (ص١١٣).

(٣) في (خ): تآليف.

(٤) الكتاب متداول منشور.

(٥) الكتاب منشور، والعبدي هو: أحمد بن محمد، أبو يعلى البصري، تـ ٤٨٩هـ، ترجمته في: ترتيب المدارك: (٨/٩٩-١٠٠).

(٦) كتاب «الشَّامل» في الفقه الشَّافعي، حُقِّقَ بعضه في رسائل جامعية، ومؤلفه هو: عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، أبو نصر الصبَّاغ، الإمام العلَّامة، تـ ٤٧٧هـ، وكتابه هذا يجوز أن يكون ممَّا سمعه من شيخه أبي بكر الشَّاشي أو أبي منصور بن الصبَّاغ، ينظر: العارضة: (٣/١٩٥)، ترجمة أبي نصر في: طبقات الشَّافعية: (٥/١٢٢-١٣٤).

(٧) يرويه ابنُ العربي عن أبي سعد الزنجاني، ينظر: المسالك: (٦/١٨١).

و «الغنية»[١] له.

«تعليقة الخُجَندي»[٢].

«تعليقة أبي المطهَّر المعداني»[٣]؛ خطيب أصفهان[٤].

«المُشَجَّرُ في نُكَتِ النظر» للحاكم الإِسْتَرَابَاذِي[٥] السعيداني، في عشرين ورقة[٦]، بأدلة مسائل الفقه أجمع، لم يؤلف بَشَرٌ مثله، يقول فيه: دليلٌ يثبت مائة مسألة، وهي: كذا وكذا، دليلٌ يثبت تسعين مسألة، دليلٌ يثبت سبعين، دليلٌ يثبت سِتِّين[٧]، دليلٌ يثبت عشرة، وتسميتُها هكذا، حتى تمَّت المسائل كلها.

«بُلْغَةُ النظر» للخُجَندي.

---

(١) هو كتاب: «غنية المسترشدين»؛ في الخلاف العالي، سير النبلاء: (٤٧٥/١٨).

(٢) الفقيه العلَّامة الإمام، محمد بن ثابت بن الحسن، أبو بكر الخُجَنْدِي، نزيل أصفهان، تـ ٤٨٣هـ، وكتابه هذا يغلب على ظني أن يكون من رواية ابن العربي عن أبي المُطَهِّرِ الأثيري الأصفهاني، ينظر: العارضة: (٢٩٧/٣)، وترجمته في: طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي: (١٢٣/٤-١٢٥).

(٣) أبو المطهر الأثيري سبق التَّعريف به في السِّفْرِ الأوَّل.

(٤) في (د): أصفان.

(٥) الفقيه العلَّامة الإمام، علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الحاكم، أبو الحسن الإستراباذي، وكتابه الذي ذكره ابنُ العربي لم أجده مذكورًا في غير هذا الديوان، ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي: (٢٤٠/٥-٢٤١).

(٦) في طُرَّةٍ بخط شيخنا الفقيه العلَّامة الشريف سيدي محمد بوخبزة حفظه الله ونفع به: «كذا، ولعلها: في عشرين ألف ورقة»، وقَوْلُ شيخنا متجه، والله أعلم.

(٧) قوله: «دليل يثبت ستين» سقط من (د) و(ك) و(ص) و(ب).

«أسرار الله في المسائل»[١] للدبُّوسي، في عشرة أسفار.

وقد كنتُ وَرَدْتُ من تلك الديار الكريمة سنة خمس وتسعين، فنزلتُ بتلمسان وبفاس، وكنت أذكر منها مسائل، وأُعَجِّبُهُمْ من أغراضها، فما تحرَّكت لذلك همَّة، ولا نشأت عزيمة، إلَّا لرجل واحد؛ عَلِمَ أنِّي إذا سُئِلْتُ قراءتها أو إعارتها أقول: هي من أواخر العلم، فإذا أخذتم أوائله[٢] مكَّنتكم[٣] منها، وتاقت نفسه إليها فرحل إلى العراق، وكتبها من مدرسة الحنفيَّة بمدينة السَّلام، وجاء بها، وكان ذلك من جميل صُنْعِ الله معي[٤]؛ فإنه[٥] لمَّا ذُهِبَ ببعضها[٦] عند فَيِّ[٧] الدار[٨]؛ أَسِفْتُ لها ولِمَا مضى من أمثالها، ممَّا لا أجبره إلَّا بالرحلة مرة أخرى، فأُعْلِمْتُ بأن هذا الرجل جلبها، فاستدعيتُها وجبرت ما فاتني منها، ولكن النسخة التي جلبها هذا

---

(١) ويسمى أيضًا: «أسرار المسائل»، في ثلاثة أسفار كبار، حُقِّقَ في رسائل جامعية، وأفاد منه ابن العربي في مؤلفاته؛ «الأحكام»، و«التخليص»، والدبُّوسي هو: عبد الله بن عمر بن عيسى البخاري الحنفي، أبو زيد الدبُّوسي، العلَّامة الإمام، تـ ٤٣٠هـ، ترجمته في: سير النبلاء: (٥٢١/١٧)، وينظر: معجم التراث الإسلامي: (١٤١٣/٢).

(٢) في (د): أوائلها.

(٣) في (د) و(ب): مُكِّنْتُمْ.

(٤) في (خ): به.

(٥) في (ك) و(ص): فإنها.

(٦) في (ك) و(ص) و(ب): بعضها.

(٧) في (ص): نهب.

(٨) في (خ): عندي في الدار.

الرجل سقيمة ؛ لم يَعْرِضْهَا[١] بالأُمِّ، ولا قرأها على شيخ ، ففيها سقم كثير ، فما سلم منها عندي صُحِّحَتْ منه ، وبقي ما لم يكن عندي على سقمه ، والله يُصِحُّ[٢] لنا أدياننا وعلومنا برحمته.

٢ «الإكسير الأحمر»/ لقاضي العسكر[٣] في مسائل الخلاف. [١٦٨/أ]

و«أصول الفقه» له.

«تعليقة ابن عمروس»[٤] في نصرة مذهب مالك ؛ ستون جُزْءًا.

«تعاليق مسائل الفرائض باختلاف معانيها إِلْقَاءً ودليلًا» ، تأليف أبي عبد الله[٥] الفَرَضِي الشقَّاق[٦] الزاهد[٧].

---

(١) في (خ): يعارضها.

(٢) في (ك) و(ص): يصحح.

(٣) ذكره ابن عساكر في التبيين: (ص١٣٩)، وتاج الدين السبكي في طبقاته: (٣٧٧/٣)، قال: «كان أبو العباس هذا رجلًا من أئمة أصحاب الحنفية، ومن المتقدمين في علم الكلام، وكان يُعرف بقاضي العسكر»، هذا الذي وجدتُ في تعريف حاله، وكتابُه هذا الذي ذكره ابنُ العربي لم أقع له على خبر في ديوان آخر، والله أعلم.

(٤) يوجد بعضه في قريب من مائة ورقة، محفوظ في خزانة المخطوطات بطرابلس، ذكره له القاضي عياض في ترتيب المدارك: (٥٤/٧)، وكانت وفاة أبي الفضل بن عمروس عام ٤٥٢هـ.

(٥) قوله: «أبي عبد الله» سقط من (ك) و(ص) و(ب).

(٦) الفقيه العلَّامة الفَرَضِي، الحُسَين بن أحمد بن علي بن جعفر البغدادي، أبو عبد الله الشقَّاق، له تعليقة في الحساب، وتصانيف في الفرائض، سمع منه ابنُ العربي في رحلته المشرقية، قال فيه: «شيخنا أبو عبد الله الشقَّاق فرضي الإسلام»، ذكره في الأحكام: (١٦٧٤/٤)، والمسالك: (٢٢٢/٢)، توفي عام ٥١١هـ، ترجمته في: الوافي بالوفيات: (٢٠١/١٢-٢٠٢)، وطبقات الشافعية: (٧٣/٧).

(٧) هذا آخر نسخة دار الكتب المصرية، ينقص من آخرها مقدار ست ورقات.

«اختصار التقريب والإرشاد» للرازي[١] الحنفي الإسكندراني[٢].

«مدارك العقول[٣]»[٤] لأبي المعالي.

«البرهان»[٥] له.

«المنخول» و«المنتخل» و«التعليقة» للطُّوسِي.

«شفاء الغليل»[٦] له.

«غَوْرُ الدَّوْرِ»[٧] له[٨].

«تحقيقُ سؤال الكَسْرِ» للشَّاشي.

«نفيُ السُّرَيجية» لابن الصبَّاغ.

---

(١) في (خ): للدارني.

(٢) في (خ): الإسكندري.

(٣) في (خ): النقول.

(٤) قال ابن الذهبي (السير: ١٨/٤٧٥): «لم يتمه»، وذكره له أيضًا التاج في طبقاته: (١٧٢/٥)، ورواه ابن العربي عن أبي حامد الطوسي، ينظر: العواصم: (ص٣٦).

(٥) يرويه ابن العربي عن أبي حامد الطوسي وأبي سعد الزنجاني، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٣١٩).

(٦) هو كتاب: «شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل»، ينظر: طبقات التاج: (٢٢٥/٦)، وهو منشور.

(٧) ذكره له التاج السبكي في طبقاته: (٢٢٦/٦)، وقال: «غَوْرُ الدَّوْرِ في المسألة السُّرَيْجِيَّةِ، وهو المختصر الأخير فيها؛ رجع فيه عن مصنَّفه الأول فيها، المسمَّى بغاية الغور في دراية الدور»، ومنه نسخ خطية كثيرة.

(٨) سقط من (ك) و(ب).

«تحقيقُها» لشيخنا أبي بكر الشَّاشي.

«العقيدةُ النظامية»[١].

«الجامعان؛ الجلي والخفي»[٢] للإسفرايني[٣]؛ عشرة أسفار.

«الأوسط»[٤] لأبي المظفر؛ صاحبه.

«غِيَاثُ الأُمَمِ في الْتِيَاثِ الظُّلَمِ» لأبي المعالي.

«المِحَكُّ».

«المعيار».

«تهافت الفلاسفة».

---

(١) سمعها ابنُ العربي من الإمام أبي حامد الطوسي، ينظر: العقيدة النظامية -نسخة الإسكوريال-: (ق٤٣/أ)، وفي آخرها (ق٧٨/أ): أن ابن العربي كتبها ببيت المقدس عام ٤٨٨هـ، ونُشِرَتْ قديمًا بتحقيق الفقيه العلَّامة محمد زاهد الكوثري.

(٢) هو كتاب: «الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين»، وهما جامعان؛ جلي وخفي، وأفاد منه السكوني في كتابه «التمييز»، ويتَّصل ابنُ العربي بكُتُبِ الإسفراييني من طريق الإمام أبي سعد الزنجاني، عن أبي المظفر، عن مؤلفها، ينظر: طبقات الشافعية: (٢٥٧/٤)، ووقع في الطبقات (٢٥٩/٤): «الحَلْي في أصول الدين»، وهو تصحيف، صوابه: «الجَلِيُّ في أصول الدين»، والله أعلم.

(٣) في (ك): الإسفراني.

(٤) هو كتاب: «الأوسط في الاعتقاد» لأبي المظفر الإسفراييني، منه سفران بخزانة نظام يعقوبي، وكانت من جملة مخطوطات الكتبي محمد احنانة، عرَّفت بها في تقدمتي للكتاب المتوسط في الاعتقاد: (ص٣٧-٤٢).

«الأرباع في شرح الزهر[١]».

«إعجاز القرآن» للخطَّابي.

«إعجاز القرآن» لابن الطيِّب القاضي.

«نقض التسديد»[٢] لعبد الجليل.

«الاقتصاد[٣] في الاعتقاد».

«نَقْضُ نَقْضِ التَّمْهِيدِ للطَّبَرِي» لمهدي الورَّاق[٤].

«استدراكُ» أبي عمرو الزاهد على ابن قُتَيبة في غريب الحديث[٥].

«فضلُ الوضوء» لابن شاهين[٦].

«الفقيه والمتفقه» للخطيب.

---

(١) في (خ): الزاهر، وفي (ص): (الزهد).

(٢) كتاب «التسديد في شرح التمهيد» لعبد الجليل الرَّبَعِي القَرَوِي، كان حيًّا عام ٤٧٨هـ، ونَقْضُه هذا لم أهتد إليه ولا إلى صاحبه.

(٣) في (خ): الانتصار.

(٤) اسم كتاب الطبري هو: «التجريد في نقض التمهيد»، نَقَضَ بزعمه كتاب «التمهيد» للإمام أبي بكر الباقلَّاني، وصنَّف الإمام العلَّامة أبو القاسم مهدي بن يوسف الورَّاق كتابًا في نقضه، ومهدي الورَّاق هو من شيوخ ابن العربي الذين لقيهم بالإسكندرية عام ٤٨٥هـ، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٣٠١)، وشرح الإرشاد للمازري: (٣/ق٣/أ).

(٥) قوله: «استدارك أبي عمرو الزاهد على ابن قتيبة في غريب الحديث» سقط من (ك) و(ص).

(٦) يرويه ابنُ العربي عن ابن الطيوري، فهرس ابن خير: (ص٣٤٤).

«المجلَّة[١]»[٢] لأبي عبيدة معمر[٣] بن المُثَنَّى.

ومن العربية والأشعار جملة كبيرة ممَّا تعود إلى تفسير القرآن والحديث.

وجَرَّدْتُ منها جملة عظيمة في:

«أنوار الفجر في مجالس الذِّكْرِ».

«معجزاتُ مُحَمَّدٍ ألفُ معجزة».

«قانون التأويل».

«شرح المشكلين».

«الناسخ والمنسوخ».

و«الأحكام».

«سراج المريدين؛ في القسم الرابع من[٤] عِلْمِ التذكير».

«المحصول».

«التمحيص».

«العواصم من القواصم».

«شرح الترمذي».

---

(١) في (خ): العجلة.

(٢) يرويها ابنُ العربي عن ابن طَرخان، واسمها: «المجلة في الأمثال»، فهرس ابن خير: (ص٤٢٠)، وذكرها له ابنُ خَلِّكَانَ في وفيات الأعيان: (٥/٢٣٩).

(٣) سقط من (ك) و(ب).

(٤) سقطت من (ك) و(ب) و(ص).

«المتوسط في الاعتقاد».

«عوالي[١] الحديث»؛ جملة وافرة.

فهذه جملة واحدة[٢] ممَّا نَفَرْتُ إليه ورجعتُ به، ممَّا لم أُسبَق إليه، وتفقَّهت فيه وبه، وأنذرتكم[٣] به، اقتداءً بمن تلزمني طاعته؛ خَيْرُ البَشَرِ، وأكرم البدو والحضر، ورغبةً في أن أُكتب فيمن أخبر الله عنهم وبشَّر بهم؛ والله ينفعني وإياكم برحمته.

وقد قال الله في القرآن العظيم: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:٢٠]، فكما بلَّغ إلينا نُبَلِّغُ عنه، كما قال: «تسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممَّن يَسمع منكم»[٤].

[فضيلةُ الإسناد]:

والله كرَّم هذه الأمة بالإسناد، لم يُعْطِه لأحد غيرَها،/ فاحذروا أن تسلكُوا مسلك اليهود والنصارى؛ فتُحَدِّثُوا بغير إسناد، فتكونوا[٥] سَالِبِينَ لنعمة الله عن أنفسكم، مُطَرِّقِينَ للتهمة[٦] إليكم، وخافضين لمنزلتكم، ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم، وراكبين لسَنَنِهم، وقد حذَّركم النبي ﷺ عنه، وأنذركم به، والنبي نذير بالعقوبة، بشير بالثواب، والنِّذارة

٢ [١٦٨/ب]

---

(١) في (خ): عدلاء.

(٢) في (خ) و(ب): وافرة.

(٣) في (خ): أنذركم به.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ب) و(ص): فتكونون.

(٦) في (ب): التهمة.

قبْل البشارة، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥٢]، فالحجة ظاهرة، والداعي يُنادي، والمُهْلَةُ متَّسعة، والرسول مُبَلِّغٌ، وخلفاؤه المؤدُّون لسُنَّتِهِ قائمون بأمره، والقيام بالإجابة ممكن، ولكن القسمة سابقة، والتوفيق مبذول لقوم، ممنوع عن آخرين، والربُّ فعَّال لما يريد، وعلامة النجاة القبول والامتثال، وعلامة الهلكة الإعراض والإدبار، وهذه الصفة هي أكرم الأسماء وأوعبها وأوعاها، والله يجعلنا وإيَّاكم من أهلها، ويخلع علينا مُلَاءَةَ فضلها برحمته.

وإذا كان كذلك دُعِيَ في ملكوت السَّماوات «عظيمًا».

* * * * *

العَظِيمُ[١]: وهو الاسمُ [الحادي والعشرون] والمائة[٢]

وإن كان حقير الشَّارة والذات، قال النبي ﷺ: «رُبَّ أَغْبَرَ ذي طِمْرَيْنِ لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه»[٣]، وقد كان أسامةُ أسودَ أفطسَ[٤]، والنبي يمسح رُغامه، ويمصُّ دمه[٥].

وقد بيَّنَّا في كتاب «الأمد»[٦] معنى العظيم في السماء، وأن العرب تستعمله في المحسوس في كثرة الأجزاء، وتُعَبِّرُ به عن كثرة المعاني، كشرف المقدار، وسعة المعرفة، وصرامة القلب في الله، وقوة الخاطر في النظر، فتقول[٧] في الأوَّل: عظيم الجسم، وتقول: عظيم القدر.

وقد يكون عظيمًا قَوِيًّا وإن كان ضعيفًا، قال النبيُّ صلى الله عليه[٨] لأبي ذَرٍّ: «إِنِّي[٩] أراكَ ضعيفًا، وإنِّي أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ على مال يتيم»[١٠].

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): المُوَفِّي عشرين، وفي (ص): الثاني عشر، وفي (ب): الحادي عشر.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ص): أفطس أسود.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٤/٥٧).

(٦) الأمد الأقصى - نسخة رضى رامبور-: (٥٢/أ).

(٧) في (ك): فنقول.

(٨) في (ص): ﷺ.

(٩) سقط من (ص).

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذَرٍّ ﷺ: كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم: (١٨٢٦-عبد الباقي).

وكان قويًّا في العبادة، ضعيفًا[1] عن تدبير الخليقة، قويًّا في الطاعة القاصرة عليه، ضعيفًا فيما يتعدَّى من المصلحة إلى غيره، فكان عظيمًا في وجه، ضعيفًا في آخر.

[فضائلُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه]:

وهذا أبو موسى الأشعري قَوِيٌّ في الإمارة، قَوِيٌّ في العبادة،/ [٢/١٦٩] عَظِيمٌ كَيِّسٌ فَطِنٌ، وظنَّ الأدباء بما كذبوا عليه في «التواريخ» أنه ضعيف الرأي، غَفُولٌ عن سُبُلِ النظر؛ بما جرى بينه وبين عمرو، وتلك الحكاية على وجهها التي أوردها الأدباء والمؤرخون كَذِبٌ[2]، وقد قال أنس: «أرسلني أبو موسى إلى عمر، فأتيته فسألني عنه، فقلت: تركته يُعَلِّمُ الناس، فقال: أما إنه كَيِّسٌ، فلا تُسْمِعْهَا إيَّاه»[3].

ووَلَّاه عمر البصرة، وبعثه رسول الله إلى اليمن أميرًا، وجعله قَرِينَ معاذ.

وقال عَلِيٌّ فيه: «أبو موسى صُبِغَ في العلم صَبْغَةً»[4].

وقال أبو موسى: «كان العلم في ستة من أصحاب رسول الله، نصفهم أهل الكوفة؛ عمر، وعلي، وعبد الله، وأبو موسى، وأُبَي، وزيد بن ثابت».

---

(١) قوله: «قال النبي صلى الله عليه لأبي ذر: إِنِّي أراك ضعيفًا، وإنِّي أحب لك ما أحب لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ على مال يتيم، وكان قويًّا في العبادة، ضعيفًا» سقط من (ب).

(٢) ينظر: العواصم: (ص٣٠٩-٣١١).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٢/٢٩٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (٢/٢٩٩).

[عظمةُ أبي الدرداء]:

وكان أبو الدرداء من العظماء، قال معاذ حين مات: «التمسوا العلم عند فلان وفلان»[١]، وذَكَرَ أبا الدرداء.

وقد رُوي عن أبي الدرداء أنه قال: «سَلُونِي، فوالذي نفسي بيده لئن فقدتموني لتفقدنَّ رجلًا عظيمًا من أمة مُحَمَّدٍ»[٢].

[حقيقةُ العظيم]:

فيتنخَّل[٣] من هذا أن العظيم القدر هو الممتثل للأمر، المجتنب للنهي، المُعَظِّمُ للحُرمة، المنتدب[٤] للخِدمة، المُتَمَكِّنُ المعرفة، القائم بالمصلحة، التالي من الأولياء للأنبياء في المرتبة؛ بالصدق والصلاح، والمواظبة على المحافظة على الحدود والإلحاح، فحينئذ يكون «مُفْلِحًا».

* * * * *

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص٤٧)، وتاريخ دمشق: (١٢١/٤٧).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي: (ص٤٧).

(٣) في (ب) و(ص): فتنخَّل.

(٤) قوله: «للحُرمة، المنتدب» سقط من (ص).

المُفْلِحُ[١]: وهو الاسمُ [الثاني] والعشرون والمائة[٢]

وقد علَّقه الله على شروط؛

أوَّلها: التقوى، فقال: ﴿وَاتَّقُواْ أللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]؛

وعلَّقه على خصال عشر، فقال: ﴿قَدَ اَفْلَحَ أَلْمُومِنُونَ أَلذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخرها [المومنون:١-١١]؛

وعلَّقه على الهجرة فقال في المهاجرين: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ أَلْمُفْلِحُونَ﴾[٣] [الحشر:٩]؛

وعلَّقه مع التقوى على أربعة أفعال: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ أَلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ أَلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٢]؛

وعلَّقه على التزكية فقال: ﴿قَدَ اَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اَسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]؛

ومتعلَّقاته في القرآن والحديث كثيرة، وقد سردناها في «الأنوار».

وبعد الرغبة في ذلك كله وصِدْقِ النية فيه والعمل به يكون «مُفْلِحًا».

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الحادي والعشرون، وفي (ب): الثاني عشر، وفي (ص): الثالث عشر.

(٣) في النسخ: وأولئك.

ودخل عمَّار بن ياسر مَكَّةَ على رسول الله فقال: «أفلح وجهُ أبي اليقظان، فقال: ما أفلح ولا أنجح، فقال: وما ذلك[١]؟ قال: لم يزل المشركون حتى أعطيتهم/ الذي أرادوا، قال رسول الله: إن استزادوا فَزِدْ»[٢]. ٢ [١٦٩/ب]

وفي الصحيح: «أن النبي لمَّا دخل عليه رجل يُسمَع دَوِيُّ صوته ولا يُفقَه ما يقول، فسأله عن الإسلام، فبيَّن له الأركان، قال له: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا، إلَّا أن تتطوَّع[٣]، قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال: أَفْلَحَ إن صدق»[٤].

وأرسل رسول الله عبد الله بن أُنَيْسٍ إلى سفيان بن خالد فقتله بعرفة، وحَزَّ رأسه، فدخل غارًا، وخرج الطلب وراءه، فوصلوا إلى الغار فنسج العنكبوت عليه، وبلغه رجل منهم معه نعلان وإداوة، فقال لهم: «هذا غار ليس فيه أحد، وترك الإداوة والنعلين هناك[٥]»، فخرج عبد الله وهو يبكي

---

(١) في (ص): ذاك.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن شبة في أخبار المدينة مرسلًا: (٨٢/٢)، وبنحوه ابنُ سعد في الطبقات: (٢٣١/٣)، والطبري في تفسيره: (٣٧٥/١٤-التركي)؛ بأسانيد مرسلة، قال ابن حجر (الفتح: ٣١٢/١٣): «وهذه المراسيل تقوي بعضها بعضًا».

(٣) في (ب) و(ص): تطوَّع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم: (٤٦-طوق).

(٥) في (ص): هنالك.

حَرَّ تِهامة والحفاء، فوجد النعلين والماء، وسار حتى بلغ النبي ﷺ، ووجد رسول الله في المسجد، قال[١]: «أفلح الوجه، قلت[٢]: أفلح وجهك يا رسول الله، فوضعتُ[٣] رَأْسَهُ[٤] بين يديه، وأخبرته خبري، فدفع إليَّ عصًا وقال: تخصَّر بهذه في الجنة، فإن المختصر بها قليل، فدُفِنت مع عبد الله في أكفانه»[٥].

وقال ابنُ عباس: «سمعت النبي يقول: أنا فَرَطُكم على الحوض، من ورد عليَّ الحوض فقد أفلح»[٦]، وذكر الحديث.

وإن شئت أن تذكر المفلحين بصفاتهم فالقانون عندك إن شاء الله.

ويَحِقُّ عليك - وقد وصلت إلى هذه المرتبة - أن تكون عارفًا بمقدار نفسك، مُتَفَطِّنًا لوحدتك، فإنَّك «غريب».

---

(١) في (ب) و(ص): فقال.

(٢) في (ص): فقال.

(٣) في (ص): قال: فوضعت.

(٤) في (ص): الرأس.

(٥) أخرجه بلفظ قريب منه ابن حبان في صحيحه: كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، رقم: (٧١٦٠-إحسان)، وينظر: سيرة ابن هشام: (٤/٢٦٦-٢٦٧)، وطبقات ابن سعد: (٤/٣٩٩)، ولم أجده كما أورده ابن العربي، وفي بعض الأصول: «خالد بن سفيان»، وفي طبقات ابن سعد: «سفيان بن خالد»، وكذلك في فتح الباري: (٢/٤٣٧)، والله أعلم.

(٦) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (١٢/٧١)، رقم: (١٢٥٠٨).

الغَرِيبُ[١]: وهو الاسمُ [الثالث][٢] والعشرون والمائة

وأشدُّ أنواع الغربة فَقْدُ النظير، وعَدَمُ المساعد، والاضطرار إلى صحبة الجاهل.

[غُرْبَةُ بَقِيِّ بن مَخْلَدٍ]:

فهذا بَقِيُّ بن مَخْلَد من حُفَّاظِ الأمة؛ رحل إلى المشرق واغترب فيه مدة، ولقي أحمد بن حنبل وعبد الله بن أبي شيبة، وأَكْثَرَ من الشيوخ والرواية[٣]، وجلب ما لم يجلبه[٤] أحد، ولا يُجلب[٥] في ظني، وعند وصوله ثارت إليه[٦] المطالبات، وتعصَّبت عليه الجماعات، وعُزِم على صاحبه في الرحلة والغربة محمد بن وضَّاح[٧] أن يكون معهم عليه، فقال: وما عسى أن أقول فيه وهو من هو؟ فقيل له: تحيَّل، ولم يَرَ أن يخرج عنهم لئلَّا يتَّخذوه غَرَضًا كما فعلوا به، فكتب شهادته عليه أن عنده مناكير، وعَنَى

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني والعشرون، وفي (ص): الرابع عشر، وفي (ب): الثالث عشر.

(٣) في (خ): الرواة.

(٤) في (ص): يجلب.

(٥) في (خ): وجلب ما لم يجلبه غيره فيما يغلب في ظني.

(٦) في (خ): عليه.

(٧) في (ك) و(ب): محمد بن وضَّاح في الرحلة والغربة إلى أن يكون.

٢
[١٧٠/أ] بذلك أنه روى أحاديث ضعافًا، فاقتُنع[١] منه بذلك[٢]،/واستُظهر عند الأمير بشهادته، ودفع الله عنه بصلاحه على وجه طويل[٣].

[غربةُ محمد بن مَوْهَب]:

وقد اغترب في طلب العلم محمد[٤] بن مَوْهَب[٥]؛ جدُّ أبي الوليد الباجي[٦] لأُمِّه، ولم يُبْعِدْ وعاد، فلمَّا تكلَّم بشيء ممَّا كان عنده وقال: «إن النسوة قد كان منهن نبي»؛ ثاروا عليه، وشَنَّعُوا وأَخْمَلُوهُ.

[غربةُ أبي الوليد الباجي[٧]]:

وهذا أبو الوليد الباجي رحل وأَبْعَدَ، وجلب عِلْمًا جَمًّا[٨]، وقُرِئ عليه

---

(١) في (ص): قُنِع.
(٢) أفاد من هذا الموضع ابن الأزرق في روضة الإعلام: (٨٨٩/٢-٨٩٠).
(٣) ينظر: تاريخ ابن الفرضي: (١٤٥/١)، وتاريخ دمشق: (٣٥٦/١٠).
(٤) في (ص): أبو بكر محمد بن موهب.
(٥) الفقيه الإمام، المتكلم النظَّار، محمد بن موهب التُّجِيبِي، أبو بكر القبْري، ت٤٠٦هـ، شُهِرَ عنه القول بنبوة النساء، وكان الأصيلي يواليه وينصره، مع جماعة من نحارير علماء الأندلس، وله في العقائد تواليف كثيرة، وله شرح لرسالة شيخه ابن أبي زيد القيرواني، ترجمته في: جذوة المقتبس: (ص١٣٧-١٣٨)، وترتيب المدارك: (١٨٨/٧-١٩١)، والصلة: (١٢٢/٢-١٢٣).
(٦) في (ص): أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المالكي.
(٧) الإمام الحافظ الحجة، والمتكلم النظَّار على لسان أهل الحق، شيخ الإسلام، وعالم الأندلس، سليمان بن خَلَفٍ التُّجِيبِي، أبو الوليد الباجي، (٤٠٣-٤٧٤هـ)، والمسألة التي ذكرها ابنُ العربي عنه ألَّف فيها أبو الوليد كتابًا ترجمه باسم: «تحقيق المذهب في أن النبي ﷺ كتب»، سيرتُه في: ترتيب المدارك: (١١٧/٨-١٢٧)، والصلة: (٢٧٧/١-٢٧٨)، وينظر: العواصم: (ص٣٦٧).
(٨) أفاد من هذا الموضع ابنُ الأزرق في روضة الإعلام: (٨٩٠/٢).

البخاري وفيه: «أن النبي ﷺ محا وكتب»[١]، فقيل له: وعلى من يعود قوله: «كتب[٢]»؟ فقال: على النبي، فقيل له: وكتب بيده؟ قال[٣]: نعم؛ ألا ترونه يقول في الحديث: «فأخذ رسول الله الكتاب -وليس يُحْسِنُ يكتب- فكَتَبَ: هذا ما قاضى[٤] عليه محمد رسول الله»، فأَعْوَلُوا عليه، وحملوا كل تكذيب وتعطيل عليه[٥]، وانتدب له[٦] جاهل من المقرئين[٧]، فأخبرني أبو محمد عبد الله[٨] بن أبي عصام[٩] بالمسجد الأقصى قال: «رأيتُه يصيح في المسجد الجامع ويُعْلِنُ بالزندقة إليه»[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، رقم: (٢٦٩٩-طوق).

(٢) في (خ): وكتب.

(٣) في (ص): فقال.

(٤) في (ك) و(خ): قضى.

(٥) في (ص): إليه.

(٦) سقط من (ب) و(ك) و(خ).

(٧) في (خ): المقربين.

(٨) لم يرد في (ص).

(٩) لم أهتد إلى معرفته.

(١٠) قال الحافظ ابن دحية (التنوير في مولد السراج المنير: ق٣٤٥/ب-٣٤٦/أ): «ذَكَرَ عمر بن شَبَّةَ في كتاب الكُتَّابِ له: أن النبي ﷺ كتب يوم الحديبية بيده، ونَحَا في قوله إلى أنه قصد الكتاب عالمًا به في ذلك الوقت، ولم يعلمه قبله، وأن ذلك من جملة معجزاته أن يعلم الكتاب من وقته؛ لأن ذلك خَرْقٌ للعادة، وقال بهذا القول بعض المحدثين؛ منهم: أبو ذَرٍّ الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، والقاضي أبو الوليد سليمان بن خلف اللَّخْمِي المالكي الأندلسي، وصنَّف في ذلك كتابًا، وقيل: إنه كتب ذلك اليوم غير عالم بالكتابة ولا مُمَيِّزٍ لحروفها؛ لكنه أخذ القلم بيده فخَطَّ به ما لم يميزه هو، فإذا هو كتابٌ ظاهرٌ =

بَيْدَ أن الأمير كان مُتَثَبِّتًا، فدعا الفقهاء إلى المسألة؛ فاتَّفقوا على أن هذا القول كُفْرٌ، فاستظهر الباجي ببعض الحجة في ذلك، وقال للأمير: «هؤلاء جهلة، ولكن اكتب إلى علماء الآفاق[١]»، فكتب إلى إفريقية وصقلية[٢]، فجاءت الأجوبة بتصديق الباجي وتصويب قوله، وكان من قوله: «إن النبي الأمي يجوز أن يكتب بعد أُمِّيَّته، فيكون ذلك من معجزاته[٣]، ولا يطعن أحد بذلك عليه؛ لأنهم قد[٤] تحقَّقوا أُمِّيَّته، ثم شاهدوا معجزته»[٥]، فوقفوا، ولم يطعنوا ولا آمنوا، حتى فاء فضلُ الله عليهم في وقت آخر، وهذه حكمة الله في خلقه، وابتلاؤه لحَمَلَةِ علمه، والعاقبة للمتقين[٦].

قال الإمام الحافظ[٧] ﷺ: ويتعلَّق الغريبُ باسم «المُفْرِدِ»[٨] الذي أُهْتِرَ بذِكْرِ الله؛ فإنه إذا كان بهذه الصفة لم يجد نظيرًا، ولا عاين لنفسه

= بَيِّنٌ على حسب المراد، وذهب إلى ذلك القاضي أبو جعفر السِّمْنَانِي الأصولي، قال القاضي أبو الوليد: بل كان من أوكد معجزاته أن يكتب من غير تعلم»، ثم رَدَّ ابن دحية اعتلالات المجيزين لكتابة النبي ﷺ، وبيَّن ضعفها، وكذلك فعل أبو القاسم السُّهَيلي: الروض الأُنُف: (٦/٤٨٥-٤٨٦).

(١) في (خ): العلماء بالآفاق.

(٢) في (ص): صقلية وإفريقية.

(٣) في (ك): معجزته.

(٤) سقطت من (ص) و(ب).

(٥) تحقيق المذهب للباجي: (ص٢٢٠).

(٦) أفاد من هذا الفصل الحافظ ابنُ حجر في تلخيص الحبير: (٣/٢٧٠).

(٧) في (ب): قال الإمام رحمه الله، في (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٨) مَرَّ ذكره في هذا السِّفْرِ.

مشاركًا، وقد تقدَّمت روايتنا للحديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[١]، وفي الحديث: «طوبى للغرباء»[٢]، وقال صلى الله عليه[٣]: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ»[٤].

[حقيقةُ الغريب]:

وهو اسم عزيز، وأصله في العربية: البعيد؛ فإنه بَعُدَ عن الأهل والولد، وربما المال، وفَقْدُ النظير في الغُرْبَةِ أعظمُ من فَقْدِ هذه الثلاث المتقدم ذِكْرُها؛ فإن الرجل إذا كان في غير أقرانه/ كان ذلك سبب هوانه.

وقد سمعتم حَالَ من تأخَّر موته من الصحابة وقد ذهب أقرانهم كيف كانت حالهم، كسهل بن سعد السَّاعدي، وأنس بن مالك، ومن عُمِّرَ طويلًا؛ فإن أراد الحق لم يجد له عاملًا، وإن طلب العلم لم يُلْفِ به عارفًا، وإن تعرَّض للطاعة أو عرَّض بها لم يُبْصِرْ فيها راغبًا.

قال علماؤنا - رحمهم الله -: المعنى في قوله: «بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعود غريبًا»[٥]: أنه بدأ في واحد؛ وهو المصطفى، ولما يزل يُنْمَى حتى أكمله الله، فلمَّا استأثر الله برسوله وأخذ في النقصان لا بد له أن يرجع إلى واحد، ثم إلى العدم، وقد أنذر به الصادق في قوله: «لن تقوم السَّاعة حتى

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، رقم: (١٤٥-عبد الباقي).

(٣) في (ب) و(ص): ﷺ.

(٤) هو الحديث السَّابق.

(٥) سبق تخريجه.

لا يقال في الأرض: الله، الله»[١]، يعني: لا يبقى فيها مؤمن، كما تقدَّم بيانُنا[٢].

وأوَّل غريب وقع في الإسلام أبو ذَرٍّ، وقصته مشهورة.

وسَرْدُهم[٣] طويل.

[غُرْبَةُ ابن العربي[٤]]:

وعَجِلَتْ[٥] عليَّ الغربةُ ابن ستة عشر عامًا، فكنتُ فيها نحو الأحد عشر عامًا كأنَّني في أهلي ومالي؛ طَيِّبًا عيشي، ناعمًا بالي، مُيَسَّرًا لي في جميع أحوالي[٦] وآمالي، وكان لي هنالك[٧] صاحبُ[٨] صِدْقٍ، وأخٌ من غير مَذْقٍ، جئتُ من أقاصي المغرب[٩]، وأقبل من أقاصي المشرق[١٠]، والتقينا على موسطة من الأرض، سِطَةٍ[١١] من البلاد[١٢]، وَسَطٍ في الخِيَارِ، فالتقينا على الطلب، وكنَّا كما قال الأوَّل:

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ب): بيانه.

(٣) أي: الغرباء.

(٤) أفاد من هذا الفصل ابنُ الأزرق في روضة الإعلام: (٢/٨٩٠-٨٩١).

(٥) في (ص): عجَّلت.

(٦) سقط من (ك) و(ب).

(٧) في (خ): هناك.

(٨) في (خ): صديق صاحب صدق.

(٩) في (خ): المغارب.

(١٠) في (خ): المشارق.

(١١) في (خ): بسطة.

(١٢) في (ك): جئت من أقاصي الأرض سطة من المغارب، وأقبل من أقاصي المشارق، والتقينا على موسطة من البلاد.

نزلنــــا علــــى قَيْــــسِيَّةٍ يَمَنِيَّـــــةٍ   لها نَسَبٌ في الصالحين هجان
فقالت وأرخت جانب الستر دوننا[١]:   لأَيَّــةِ أَرْضٍ أَمْ مَــنِ الــرَّجُلان ؟
فقلــت لهــا: أَمَّــا رفيقــي فقومــه   تمــيم وأَمَّــا أُســرتي فيَمَــان
رفيقــان شــتَّى أَلَّــف الــدهر بيننــا   وقــد يلتقــي الــشتَّى فيأتلفــان[٢]

ثم قدَّر الله أن عُدْتُ إلى مسقط رأسي، فذهب أُنسي، وأرجو أحسن العاقبة؛ فإنه لم يُرجعني إلَّا حَقُّ الوالدة، وصِرْتُ الآن غريبًا بين قومي، وقد كنتُ غريبًا بين الغرباء؛ رفيعًا، شهيرًا، موصولًا، مُمَدَّحًا، مقبولًا، وذلك لفساد النيات، وقلة الإنصاف، واعتقاد المنافسة، ونبذ التواضع للشرف، والعناد للحق.

ألــيس غريبًــا أن يؤمــل طاعــة   ويــدعو إليهــا والزمــان مباعــدُ
يباعدك الأدنون في كل حالة   ويمسح عِطْفَيْكَ الرجال الأباعدُ/
وأنــت مُعَنَّــى لا سُـلُوٌّ ولا أَسًــى   تَكَنَّفَــكَ الغــاوون؛ وَاشٍ وحَاسِــدُ
غريبٌ عن الإخوان في كل فرقة   إذا عظُم المطلوب قلَّ المساعدُ[٣]

٢
[١٧١/أ]

كنت بالمُقْتَدِيَّة[٤] أصلي المغرب في مسجد شيخنا سلمان القَيْسَراني

---

(١) في (خ): بيننا.

(٢) الأبيات من الطويل، وهي في معجم الأدباء: (٢/٤٧٤)، ووفيات الأعيان: (٦/٣)، والذخيرة: (٧/١٢٦)، أنشدها ابن الأعرابي.

(٣) الأبيات من الطويل، الأخير للمتنبي مضمَّن، وقد مَرَّ، والأولى لم أجدها.

(٤) في (ص): المقتدرية، وهي تصحيف.

المقتدية: من محلَّات بغداد، نسبة إلى أمير المؤمنين المقتدي بالله، وبها كان قصر الخليفة، وبها كان مُقام الإمام ابن العربي ووالده ببغداد، بجوار نهر المُعَلَّى، ينظر: فهرس ابن خير: (ص٥١٢)، ولم يعد لها وجودٌ اليوم.

الإمام الزاهد[١]، فلمَّا قضينا الصلاة رَكَعَ إلى جانبي الإمام سلمان، وإذا بقائم يقول في المسجد: انظروا مِنِّي، أنا غريب من ذلك الجانب، يعني: الكَرْخَ، آوَانِي الليل عندكم، فقال لي سلمان: أنت تشكو الغربة، وهذا يشكوها، فكم بين بلديكم؟

ولكن هؤلاء أرق قلوبًا، وأصبر على طاعة الله، فلو لم يكن من فوائد الغربة إلَّا تحصيل الشريعة، وجمع أدلتها، وتأليف أخبار رسول الله ﷺ والحُجَّة[٢] فيها.

[إسنادٌ]:

ومن غريب ذلك سَنَدًا ومَتْنًا ما أخبرنا به[٣] محمد بن طَرخان: أنا محمد بن فتُّوح، وأخبرنا أبو الفضائل بن طوْق عن الأستاذ الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيري قال[٤]: سمعت حمزة بن يوسف السَّهْمِي يقول: سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول: سمعت عبد الرحمن بن أحمد[٥] يقول: سمعت أبي يقول: «جاءت امرأة إلى بقي بن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر له على مال أكثر من دُوَيْرَةٍ، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرتَ إلى من يَفْدِيهِ بشيء، قال:

---

(١) في تاريخ دمشق (٢١/٤٧٨): «سلمان بن ندى بن طراد القيسراني، الفقيه الشافعي، كان إمامًا في الفقه، حافظًا له، مولده في رجب من عام ٤٣٨هـ»، فلعله هو، والله أعلم.

(٢) في (ك) و(ب) و(ص): الحجة.

(٣) سقط من (ك) و(ص).

(٤) سقط من (ك).

(٥) بعده في (ص): هو ابن بقي بن مخلد الأندلسي القرطبي، ولعلَّها مقحمة.

فأطرق الشيخ وحرَّك شفتيه[١]، قال: فلبثنا مدة؛ فجاءت المرأة ومعها ابنها، فأخذت تدعو له وتقول: قد[٢] رجع سالمًا[٣]، وله حديث يحدثك به، قال الشاب: كنت في يَدَيْ[٤] بعض ملوك[٥] الروم مع جماعة من الأُسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم؛ يُخْرِجُنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبَيْنَا نحن نَجِيءُ من العمل مع صاحبه الذي كان يحفظنا فانفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقتَ الذي جاءت المرأة إلى الشيخ ودعا فيه، قال[٦]: فصاح عليَّ الذي كان يحفظني، وقال: كسرتَ القيد؟ فقلت: لا، إلَّا أنه سقط من رجلي، قال: فتحيَّر وأخبر صاحبه، وأحضر الحدَّاد فقيَّدُوني، فلمَّا مشيتُ خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيَّروا في أمري، فدَعَوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ فقلت: نعم، فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة، وقد أطلقك الله، فردوني إلى بلاد المسلمين»[٧]، فهذه غرابة مَتْنِه/، وأمَّا غرابة سنده؛ فرَجُلٌ[٨] رَحَلَ من إشبيلية فلقي بمدينة السَّلام رجلًا حدَّثه عن رَجُلٍ من

٢ [١٧١/ب]

(١) في (ك): شفته.

(٢) سقطت من (ص).

(٣) في (ب): به إلينا.

(٤) في (ب): يد.

(٥) في (ك): ملك.

(٦) سقط من (ك) و(ب).

(٧) جذوة المقتبس: (ص٢٥٤)، وتاريخ دمشق: (٣٥٥/١٠).

(٨) هو الإمام ابن العربي، وإنما يقصد نفسه، وشيخه هذا الذي لقيه بمدينة السَّلام هو ابن طوْق، عن شيخه أبي القاسم القُشَيري.

أهل نيشاغور[١]، أخبره عن رجل كان بالأندلس، وهذا من فوائد الرحلة[٢] ومفاخر هذه الأمة[٣].

فـالعلمُ حـدَّثنا عمـرو وأخبرنـا ... وما سوى ذلك وسـواس الـشياطين[٤]

وحينئذ يكون مُنْقَطِعًا إلى الله «مُتَبَتِّلًا».

* * * * *

(١) في (ص): نيشابور.

(٢) قوله: «من فوائد الرحلة» سقط من (ك) و(ص).

(٣) في (خ): وهذا من مفاخر هذه الأمة وفوائد الرحلة.

(٤) قبله في (خ):

كـل العلـوم سـوى القـرآن زندقـة ... إلَّا الحديث وإلَّا الفقه في الـدينِ

المُتَبَتِّلُ[١]: وهو الاسمُ [الرَّابع] والعشرون والمائة[٢]

قال الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٧].

والمُتَبَتِّلُ في العربية: هو القاطع[٣]، فقيل في الشريعة لمن قطع نفسه عن غير الله[٤]، وأقبل على الله بالكُلِّيَّةِ، وبهذا أمر الله نبيَّه، قال[٥]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٧]، أي: أَخْلِصْ له[٦]، وقد بيَّنَّاها في «الأحكام»[٧] وغيرها على ما اقتضاه ذلك الغرض.

[قولُه تعالى: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾]

وقوله تعالى: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ فيه ستة أقوال[٨]:

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الثالث والعشرون، وفي (ص): الخامس عشر، وفي (ب): الرابع عشر.

(٣) في (ص): المنقطع.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٦٤٣)، وكتاب الغريبين: (١/١٣٩).

(٥) في (ص): فقال.

(٦) تفسير الطبري: (٢٣/٣٧٧-التركي).

(٧) أحكام القرآن: (٤/١٨٧٩-١٨٨٠).

(٨) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٨٧٦).

الأوَّل: أنه القرآن[١]، وثِقَلُه كثرة علومه، ضَرَبَ الله[٢] له الثِّقَلَ مَثَلًا.

الثاني: كلمة لا إله إلا الله[٣]، ثقيلة على الكفار.

الثالث: ثِقَلُ القرآن في الميزان[٤].

الرابع: ثِقَلُه عليك في التحصيل[٥].

وقد قيل له: «كيف يأتيك الوحي؟ فقال صلى الله عليه[٦]: أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيَفْصِمُ عني وقد وعيتُ ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي المَلَكُ رجلًا؛ فيُكَلِّمُني فأعي ما يقول، ولقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقًا»[٧].

وصَحَّ عن عمر بن الخطاب-أنه-قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي سُمع[٨] عند وجهه كدَوِيِّ النحل، فأُنزل عليه يومًا فمكثنا ساعة فسُرِّيَ عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تُنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ علينا، وأَرْضِنا وارْضَ عنَّا،

---

(١) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٢).

(٢) لم يرد في (ك) و(ب).

(٣) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٢).

(٤) لطائف الإشارات: (٣/٦٤٢).

(٥) تفسير الطبري: (٢٣/٣٦٥-التركي).

(٦) في (ص) و(ب): ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: كتاب بدء الوحي، رقم: (٢-طوق).

(٨) في (ص): يسمع.

ثم قال: أنزل علي عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة، وقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، حتى ختم عشر آيات»[١]، وهذا صحيح.

ورُوي أنه كان ينزل عليه الوحي فتُلْقِي ناقته بجِرَانِها إلى الأرض من ثِقَلِ الوحي[٢].

الخامس: ثِقَلُ سماعه على من جَحَدَهُ[٣].

السَّادس: ثِقَلُه: أنه لا يَبُوءُ[٤] بعبئه إلَّا من أُيِّدَ بقوَّة سماوية[٥]، وكذلك هو، ما أعلم من حصَّله بعد الصحابة والتابعين إلَّا محمد بن جرير الطبري[٦].

[قولُه تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾]

وقال له: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٧].

قيل: أعطه قلبك.

٢ [١٧٢/أ]

وقيل: تعبَّد له[٧]/.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: أبوابُ التفسير عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومن سورة المومنين، رقم: (٣١٧٣-بشار).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان عن عروة بن الزبير مرسلًا: (٣٦٥/٢٣-التركي).

(٣) لطائف الإشارات: (٦٤٢/٣).

(٤) في (ص): ينوء.

(٥) لطائف الإشارات: (٦٤٣/٣).

(٦) ينظر: القبس: (١٠٤٧/٣).

(٧) تفسير الطبري: (٣٧٩/٢٣-التركي).

والذي عندنا ما قدَّمناه في تأويله؛ أن ينقطع المرء عن غير الله، فلا يكون له في غيره حظ، ويَبُتُّ العلائق التي بينه وبين الدنيا، فلا يتعلَّق له بها بال، وينبذ المنابذ التي بيَّنَّاها في اسم «الزاهد»[١].

ولا يلزم في أفضل التبتل قَطْعُ الخلق عن الصحبة إلا عند فساد الناس[٢]، فتكون النجاة في طرحهم عن القلب، ونبذهم عن الصحبة، وتطليق ما بين المرء وبينهم من عُقْدَةٍ.

[المُتَبَتِّلُونَ بالمسجد الأقصى]:

وقد رأيتُ منهم بالشَّامِ - وخصوصًا بالأرض المقدَّسة وبالحجاز وبالعراق - جماعة، لا أُحصي لهم عددًا، وكان يَرِدُ علينا في بيت المقدس كل عام من جبال الشام جماعة من المُتَبَتِّلِينَ؛ يصومون بالمسجد الأقصى شهر رمضان، ثم يرجعون إلى جبالهم وكهوفهم[٣].

[رَغْبَةُ الطُّرْطُوشِي في التبتل]:

وكان الطُّرْطُوشِي يقول لنا: «هل لكم في أن نخرج بأنفسنا، ونتبتَّل إلى ربنا، ونعلوَ ظهر جبل نجعله دارنا، ونلتزم فيه العبادة حَجْرَةً عن الخلق، ونَبْذَةً من الناس؟».

فكنتُ أقول له: إذا حَصَّلْتُ ما أؤمِّل من العلم كنتُ لك صاحبًا في هذا الغرض.

---

(١) في السفر الثالث.

(٢) في (ص): الدين.

(٣) ينظر: قانون التأويل: (ص٩٧).

والذي ظهر إليَّ أنَّ شيخنا أبا بكر - رحمه الله - لم يكن له عزيمة على هذه القصة؛ فإن من أرادها لم يحتج فيها صاحبًا، إلَّا الذي يتبتَّل له، أو كانت له في ذلك نيَّة، ولكن بمحبته في العلم كان يريد صاحبًا يتعالم معه ويتذاكر، لما في ذلك من اللذَّة الشرعية.

فكُنَّا ارتبطنا أن يكون ذلك بعد أعوام؛ نُحَصِّلُ فيها نحن مُرَادَنا من العلم، فلمَّا كان بعد ثلاثة أعوام اجتمعت معه بالثغر، وقد زال عن تلك الطريقة؛ من لباس العباءة، والاقتصار على الطعام الجَشِبِ، والنوم على المضجع القضيض، وإهمال النظر في المعاش، إلَّا ما جاء على الفُتُوحِ، ولَبِسَ الرقيق، وأَكَلَ المُلَوَّقَ[1]، ونام على الفراش الوثير.

فقلت له: ما هذا الذي تعاهدنا عليه!

فقال: ما طلبناه؛ ولكن لمَّا جاء من وجهه قَبِلْنَاهُ.

فبقي على الخُلطة في زهده وعبادته[2] حتى افترقنا، وكذلك كان فيما بلغني؛ حتى مات على خير طريقة، والله يكتب له أمانه، ويُبَوِّئُه جِنانه، ويُلحقه رضوانه، بفضله ورحمته[3].

تنويعُ المُتَبَتِّلِينَ:

والمُتَبَتِّلُونَ على أنواع:

٢ [١٧٢/ب]

منهم من يتبتَّل للقرآن؛ فهو/ يتلوه آناء الليل والنهار.

---

(١) الملوق: الطعام المصلح الليِّن، تاج العروس: (٢٦/٣٦٥).

(٢) في (ص): في زهد وعبادة.

(٣) بعده في (ص): «إنه منعم كريم، رؤوف رحيم»، ولعلها مقحمة.

ومنهم من يتبتَّل للذِّكْرِ؛ فيكون مُهَلِّلًا مُسَبِّحًا مُكَبِّرًا.

ومنهم من يتبتَّل للصَّلاة؛ فيكون راكعًا وساجدًا.

ومنهم من يتبتَّل للصوم عن الطعام والشراب وقول الزُّورِ والعمل به.

ومنهم من يتبتَّل للصدقة.

ومنهم من يتبتَّل لإصلاح الخلق بالتعليم.

ومنهم من يتبتَّل لتأويل القرآن.

ومنهم من يتبتَّل لجَمْعِ حديث النبي صلى الله عليه[١].

ومنهم من يتبتَّل للذَّبِّ عن المِلَّةِ عن شُبَهِ الأئمة المُضِلِّين[٢].

وكُلُّ باب من هذه إذا خلصت فيه النيَّة لا يوازنه إلَّا ما في علم الله من ثوابه، وما أَعَدَّ للمُعْتَمِلِ فيه القائم به.

ومن هذه الأنواع ما يكون مع الوحدة والعزلة، ومنها ما يكون مع الخُلطة، فأمَّا الاشتغالُ بالنوازل فإحدى المصائب النوازل.

[حكاية]:

وقد قرأتُ بمدينة السَّلام على أبي بكر التُّرْكِي الصوفي: أخبركم محمد بن فتُّوح: أنا أحمد بن رشيق: أنا أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفي قال: «كنت بمصر أيام سياحتي فتاقت نفسي إلى[٣] النساء،

---

(١) في (ص) و(ب): ﷺ.

(٢) في (ك): المضلة.

(٣) سقط من (ك).

فذكرتُ ذلك لبعض إخواني فقال لي: هاهنا امرأة صوفية لها ابنة مثلها جميلة، قد ناهزت البلوغ، قال: فخَطَبْتُها وزُوِّجْتُها، فلمَّا دخلت عليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي، قال: فاستحييت أن تكون صبية في مثل سنها تصلي وأنا لا أصلي، فاستقبلت القبلة وصليَّتُ ما قُدِّرَ لي، حتى غلبتني عيني، فنامت في مُصَلَّاهَا، ونمتُ في مُصَلَّايَ، فلمَّا كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك أيضًا، فلمَّا طال عليَّ قلت لها: يا هذه، ألاجتماعنا معنى؟ قال[1]: فقالت لي: أنا في خدمة مولاي[2]، ومن له حَقٌّ فما أمنعه، قال: فاستحييت من كلامها، وتماديتُ على أمري نحو الشهر، ثم بدا لي في السفر، فقلت لها: يا هذه، قالت: لبيك، قلت: إني قد أردت السفر، فقالت: مُصَاحَبًا بالعافية، قال: فقمت، فلمَّا صرتُ عند الباب قامت فقالت: يا سيدي، كان بيننا في الدنيا عَهْدٌ لم يُقْضَ بتمامه، فعسى في الجنة إن شاء الله، فقلت لها: عسى، فقالت: أستودعك الله خير مُسْتَوْدَعٍ، قال: فتودَّعت منها وخرجت، قال: ثم عدت إلى مصر بعد سنين، فسألتُ عنها، فقيل لي: هي على أفضل ممَّا تركتَها عليه من العبادة والاجتهاد»[3].

٢ [١٧٣/أ]

وهذا لما خُصَّتْ به تلك الديار من رِقَّةِ الحواشي، وحِدَّةِ الخواطر،/ وصفاء القلوب، فترى لنسائها المُخَدَّرات وعامَّتِها المسترسلات على المعاش ما لا ترى لأحد من نُبَلاء بلادنا.

---

(١) سقط من (ص).

(٢) في جذوة المقتبس (ص٩٥): ربي مولاي.

(٣) جذوة المقتبس: (ص٩٥).

[العالمةُ الشيرازية[١]]:

لقد كان في بيت المقدس نِسْوَةٌ يُفْخَرُ بهم على الأزمنة؛ يَلْتَفِفْنَ[٢] على العالمة الشيرازية؛ فقيهة واعظة، مُتَعَبِّدَةٌ مُتَبَتِّلَةٌ، فلمَّا دخل الروم بيت المقدس يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت لشعبان من سنة ثنتين وتسعين وأربع مائة لجأت بهم أجمعين إلى المسجد الأقصى، وجلسوا في قُبَّةِ[٣] السِّلْسِلَةِ التي كان يحكم بها داودُ ﷺ وفيها، فلمَّا غشيتهم[٤] الرومُ قُمْنَ[٥] إليهم بالسَّبِّ ورَمْي التراب في وجوههم، فحَصَدُوهُنَّ[٦] بالسيوف، وأنزلوا بهن[٧] الحُتوف، قال لي من عَايَنَ ذلك وهو في سطح المسجد الأقصى[٨]: «كُنَّ[٩] قريبًا من ألف امرأة».

[أَدَبُ نساء بغداد]:

ولقد خرج بعضُ الغرباء ببغداد في فُرْجَةٍ ليوم هو عندهم بها معروف، في رفقة[١٠] من أهل الطلب، وكان منهم من يحسن الأدب، فساروا، فلمَّا برزوا عن المنازل وصاروا في صحراء البلد على شاطئ

---

(١) ينظر: العواصم: (ص٣٧٢)، ولم نقف لهذه العالمة الجليلة على ما يفيد في معرفتها وبيان أخبارها.

(٢) في (ك): يلتفون، وفي (ب): تلتفون.

(٣) في العواصم (ص٣٧٢): بقية، وهو تصحيف.

(٤) في (ب): غشيهم.

(٥) في (ك): قاموا.

(٦) في (ك): فحصدوهم.

(٧) في (ك): بهم.

(٨) بعده في (ص): قال.

(٩) في (ك) و(ب): كانوا.

(١٠) قوله: «مع رفقة» سقط من (ك) و(ب).

الوادي يتماشون لارتياد مجلس، إذا بامرأة لها حشمة، يَحُفُّ بها جَوَارٍ لها[١]، لهنَّ[٢] منظرة وشارة، فتقدَّم منهم[٣] واحدٌ إليهن، فلمَّا دَانَاهُنَّ[٤] قال مخاطبًا لهن - يعني: سيدتهن-:

من أين يأتي ذا الغزال الذي قد كُحِلت بالسحر عيناهُ[٥]

فصَرَفَتْ سيدتهن رأسها إليه[٦] بأسرع من لمح البصر فقالت:

من دوحة المجد ودار التقى فسعيُه يرضى به اللهُ[٧]

فسُقِطَ في يده لِمَا سمع من الفصاحة، وتبيَّن من العفة والجلالة، وكَفَّ ورجع إلى أصحابه من خلف، وطفقوا يُصَفِّقُونَ عجبًا، ويُفنون القول؛ حَسُنَ ذَا دِيَانَةً[٨] وأدبًا، ونزلت مع جواريها في ظِلٍّ، وضربوا الرواق من المُلاء الصِّفاق، ولم يكن بأقرب من أن أرسلت إليهم جاريتين من جواريها معهما أطباق، فيها طعام وحلاوة، فأكلوا وأقاموا هنالك، حتَّى لما حان انصرافهم أرسلت إليهم جارية تقول لهم: تقدَّمُوا/ في الرجوع، فليس يَحْسُنُ أن نتدانى في المشي، حتى إذا أبعدتم أخذنا نحن في الرجوع، فقمنا متعجبين ممَّا رأينا فيها من الكرم والأدب والعفة. ٢ [١٧٣/ب]

واختصرتُ الحكاية.

---

(١) سقط من (ك) و(ب).

(٢) في (ك): لهم.

(٣) في (ب): منهم.

(٤) في (ص): دنا منهن.

(٥) لعله لابن العربي، والبيت من بحر السريع.

(٦) في (ك) و(ب): إليه رأسها.

(٧) لعله لتلك السيِّدة التي خاطبها ابن العربي، وهو من بحر السريع.

(٨) في (ص): دَماثة.

[أبو الفضل المَرَاغِي]:

وكان أبو الفضل المراغي تفقَّه[١] ببغداد، وكانت كُتُبُ أهله ترد عليه من بلده، فكلمَّا ورد كتاب وضعه في الصندوق ولا يقرأه، حتى مرَّت عليه أحوال؛ بلغ فيها ما شاء الله في العلم من الآمال، وعَقَدَ النيَّة على المرجع إلى بلده، فأخرج الكتب فقرأها؛ فإذا في بعضها[٢] ما لو علمه في ذلك الوقت من اختلال حاله هنالك ومن مات من أهله ما لبث لحظة، ولا تَمَّتْ له قراءة، واكترى[٣] وشدَّ رَحْله وعبَّاه على ظهور الدواب، وتقدَّم إلى الحلبة[٤] ليبتاع هنالك[٥] ما يضع من الزاد في السُّفْرَةِ، فساوم فَامِيًّا، وطفقا يتناولان؛ هذا ثمنه، وهذا زاده، وفي أثناء ذلك قال الفامِيُّ لجاره: أَيْ فُلْ، أما سمعت اليوم العالم الفلاني يقول عن ابن عباس: إنه يجوز الاستثناء في اليمين ولو بعد سنة[٦]؟ قال له: نعم، قال له: إني مفكر من ذلك الوقت في هذه المسألة، ولو كان هذا[٧] صحيحًا لما قال الله لأيوب: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص:٤٣]، وكان يقول له[٨]: قل: إن شاء الله، قال: فقَفَّ شعري تعجبًا، وقلتُ: أخرج من بلد هذه همَّة فَامِيهِ، فضلًا عن حَمَلَةِ الدين وذويه، لا يكون هذا أبدًا، ولحقت المُكاري، وقلت

---

(١) في (ص): يتفقه.

(٢) في (ص): فإذا فيها.

(٣) في (ك): أكرى.

(٤) في (ب): الحلفة.

(٥) سقط من (ص).

(٦) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٦٤٦).

(٧) سقط من (ص).

(٨) سقط من (ك).

له[١]: أنت في حِلٍّ من الكراء، حُلَّ رَحْلِي، وأَخَذَهُ وعاد إلى حالته الأولى من الطلب والقراءة[٢].

[حكاية]:

ولقد كان بعضُ[٣] المغاربة يمشي ببغداد في شارع من شوارع الكَرْخ بالجانب الغربي، إذا سَقَّاءٌ يحمل كأس بِلَّوْرٍ واسعًا مُخَرَّمًا في غاية الجمال، وقد ملأه ماءً[٤]، وجعل في أعلاه وردة في أَنْفِ[٥] زمان الورد، وهو يمشي فيضطرب الماء وتتموَّج الوردة باضطرابه، فتتلألأ حمرةُ الورد فتَشِفُّ من بياض البِلَّوْرِ فيسطع لها نُورٌ، فآنقني وأعجبني ما رأيت من ظرفه وحُسْنِ آلته، ووقفتُ لذلك، فقال[٦] لي: ما نظرك يا مغربي؟ فقلت: أنظر[٧] إلى حسن هذه الوردة في بهاء هذا الإناء، فقال لي[٨]: لا تعجب/ من ذلك، واعجب من قولي فيها حيث أقول: ٢ [١٧٤/أ]

للورد عندي محل ... فإنه لا يُمَلُّ
كل النَّوَاوِيرِ جُنْدٌ ... وهو الأمير الأجلُّ[٩]

---

(١) سقط من (ك).

(٢) ذكرها ابن العربي أيضًا في أحكام القرآن: (٢/٦٤٧).

(٣) كأنَّ الإمام ابن العربي يقصد نفسه.

(٤) سقط من (ك).

(٥) أنف الورد: أوَّل ظهوره واشتداده، تاج العروس: (٢٣/٤٠).

(٦) في (ك): وقلت.

(٧) في (ك) و(ب): أَنَّهُ.

(٨) في (ك): له.

(٩) البيتان من المجتث، وهما لابن سكرة، في ربيع الأبرار للزمخشري: (١/٢٢٠)، واليتيمة: (٣/٢٢).

[محاسنُ البغداديِّين]:

فهذه مراتب الفامِيِّين[١] والسقَّائِين، ولولا خروج هذا الغرض عمَّا نحن بصدده لأوردت عليكم في ذلك غرائب، وإنما قَصَدْنَا بذلك أن كل أحد منهم عاميًّا وخاصيًّا إذا حاول معنًى بَرَّزَ فيه، وأخذه من جميع نواحيه، وضمَّ على أوساطه ما اتَّسع من أطرافه وحواشيه.

[أَقَلُّ أحوال المتبتلين]:

وأَقَلُّ أحوال المُتَبَتِّلِينَ أن يقوم قبل الفجر من نومه؛ فيذكر الله ويقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٢]، ويقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؛ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم يتوضأ ويصلي ثلاث ركعات، ويذكر الله إن كان فارغًا عن شُغْلٍ من خدمة عِلْم أو معاش، حتى إذا طلع الفجر ركع ركعتيه، يقرأ في الأولى بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية بسورة التوحيد، ثم يصلي الصبح، فإذا فرغ منها قال: اللَّهم اغفر لي؛ ثلاثًا، ثم[٣] قال: «اللهم أنت السَّلام، ومنك السَّلام، تباركت يا[٤] ذا الجلال والإكرام، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافَّات: ١٨٠-١٨٢]»، ويقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، عشر مرَّات، ولا يتكلَّم.

---

(١) في (ك) و(ص): الفامين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: (٦٣٢٤-طوق).

(٣) قوله: «اللهم اغفر لي؛ ثلاثًا، ثم» سقط من (ص).

(٤) سقطت من (ك) و(ب).

ثم يدعو؛ فإنه يستجاب له، وإن شاء قال في دعائه - سيد الاستغفار -: «اللَّهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوأُ لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإذا قالها من النهار مُوقِنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مُوقِنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[١].

وليقل: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيى، وبك نموت، وإليك المصير، اللهم إنا أصبحنا نُشهدك ونُشهد ملائكتك وحَمَلَة عرشك، وجميع خلقك،/ أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدك ورسولك»[٢]، «أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق»[٣]، ثلاث مرَّات، «وباسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء -ثلاث مرات-، فإنه لا يضره ذلك اليوم شيء»[٤].

٢ [١٧٤/ب]

وليقل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، فإنه إذا قالها كانت له عِدْلَ عشر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن عن أنس بن مالك ﵁: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: (٥٠٧٨-شعيب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن خولة بنت حكيم السُّلَمية ﵂: كتاب الذكر والدعاء، بابٌ في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم: (٢٧٠٨-عبد الباقي).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه عن عثمان بن عفان ﵁: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وأمسى، رقم: (٣٣٨٨-بشار).

رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أَحَدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[١].

وليقل: «سبحان الله وبحمده، مائة مرة، فإنه تحطُّ عنه[٢] خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البحر، وهي أفضل الكلام، ولم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممَّا جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك»[٣].

قال[٤] النبي ﷺ: «ولأن أقولها أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[٥].

وعن جُوَيرية بنت الحارث أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكْرَةً حين صلَّى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، قال لها: «مازلت على هذه الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ منذ اليوم لوزنتهن؛ سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزِنَةَ عرشه، ومِدَادَ كلماته»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩١-عبد الباقي).

(٢) سقطت من (ك) و(ب).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٢-عبد الباقي).

(٤) في (ص): وقال.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: (٢٦٩٦-عبد الباقي).

(٦) سبق تخريجه.

وليقل: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر؛ ثلاثًا وثلاثين، ويختم ذلك[١] بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وليقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها كنز من كنوز الجنة»[٢].

فإذا أراد أن يخرج من منزله قال: «اللَّهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أَزِلَّ[٣] أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ»[٤]، وذلك يكون في لحظة.

فإن تمادى على الذِّكْرِ بالصَّلاة حتى تطلع الشمس كان حَسَنًا، كما كان النبي ﷺ يفعل فهو أفضل، وإلَّا خرج إلى عمله من خِدْمَةِ عِلْمٍ أو معاش بنيَّة، حتى إذا صارت الشمس من[٥] جهة المشرق كهيئتها من جهة المغرب عند صلاة العصر صلَّى ركعتين، قال النبي صلوات الله عليه وسلامه: «صلاة الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفصال»[٦].

---

(١) في (ص): المائة.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه عن أبي موسى الأشعري ﵁: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: (٢٧٠٤-عبد الباقي).

(٣) في (ب): أذل.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن عن أم سلمة ﵂: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم: (٥٠٩٤-شعيب).

(٥) في (ص): في.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ﵁: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، رقم: (٧٤٨-عبد الباقي).

٢
[١٧٥/أ]

وقال: «يصبح على كل سُلَامَى من أحدكم/ صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة[(١)]، وأَمْرٌ بالمعروف صدقة، ونَهْيٌ عن المنكر صدقة»[(٢)].

ويُجْزِئُ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى.

وقالت عائشة: «كان رسول الله يصلي صلاة الضحى أربع ركعات، ويزيد ما شاء الله»[(٣)].

فإذا زالت الشمس صلَّى أربع ركعات، ويصلي الظهر، ويصلي بعدها ركعتين، ويصلي قبل العصر ركعتين، ويكون نهاره في عمله على الشروط التي قدَّمناها؛ من إخلاص النيَّة في كل قول وعمل لله، وضبط اللسان والجوارح عمَّا لا يرضي الله.

ويستعين بنَوْمَةٍ قبل الزوال على عملة وسهره بالليل، فإذا أمسى قال: «اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيى، وبك نموت، وإليك النشور»[(٤)]، كما تقدَّم في الصباح.

ويقول: «اللهم إني أسألك خير هذه الليلة، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهَرَم، وسوء الكبر، وفتنة الدنيا، وعذاب القبر»[(٥)]، ويقولها في الصباح، ويقول: «اللهم

---

(١) قوله: «وكل تكبيرة صدقة» سقط من (ب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم: (٧١٩-عبد الباقي).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم: (٢٧٢٢-عبد الباقي).

هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وأعقاب صلواتك، فاغفر لي»[١]، ويصلي المغرب، ويركع بعدها ركعتين، يقرأ في الأولى بآية الكرسي والتي بعدها، وفي الثانية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾؛ الآيتين إلى آخر السورة، فإن آية الكرسي تحفظه من الشيطان، ومن قرأ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ في ليلة كفتاه[٢]، ثم يصلي العشاء الآخرة، ويصلي بعدها ركعتين، يقرأ في الأولى[٣] ﴿يسٓ﴾، وفي الثانية بسورة المُلْك؛ فإنها تجادل عن صاحبها[٤]، فإن أَوْتَرَ بركعة صلَّى إذا استيقظ ركعتين، وإن أخَّر وِتْرَه إلى السَّحَر صلَّى في السَّحَرِ ثلاث ركعات، كما تقدَّم قولُنا، فيأتيه من نوافله في اليوم[٥] أربع عشرة ركعة، يقرأ فيها سُبُعَ القرآن إن كان ممَّن جمعه، فيختم القرآن في الجمعة مرَّة، وذلك أوسط الأعمال كما قدَّمنا.

ثم يأتي إلى فراشه فيفتقده، وينفضُه إن احتاج إلى ذلك، ثم يضطجع على شِقِّه الأيمن، وهو على وضوءٍ إن قَدَرَ على ذلك، وليقل: «اللهم باسمك أضع جنبي، وباسمك أرفعه، اللهم إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتها/ فاحفظها بما تحفظ به نفوس عبادك الصالحين»[٦]، ويتفل[٧] [١٧٥/ب]

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن عن أم سلمة ﵂: كتاب الصلاة، باب ما يقول عند أذان المغرب، رقم: (٥٣٠-شعيب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ك): الأول.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) قوله: «في اليوم» سقط من (ب).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﵁: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: (٢٧١٤-عبد الباقي).

(٧) في (ك): يثفل.

في يديه جميعًا، ثلاثًا، ويقرأ التوحيد والمعوذتين، ويمسح بهما رأسه، وما أدرك من جسده، ثلاث مرات، كذلك كان يفعل النبي ﷺ، وكان إذا آوى إلى فراشه نام على شِقِّه الأيمن، وقال: «اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك[١]، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك[٢] الذي أرسلت، قال النبي ﷺ: فمن قالها مات على الفطرة»[٣].

وقال النبي ﷺ لعلي وفاطمة: «إذا أخذتما مضجعكما سَبِّحَا ثلاثًا وثلاثين، واحمدَا ثلاثًا وثلاثين، وكَبِّرَا أربعًا وثلاثين، هو خير لكما من خادم»[٤].

وفي رواية: «عند كل صلاة ومنامك، فذلك خير من خادم[٥]».

وكان النبي إذا آوى إلى فراشه يقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا[٦]، فكم ممَّن لا كافي له ولا مُؤوي له[٧]»[٨].

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب): نبيك.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه: كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن، رقم: (٦٣١٥-طوق).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أوَّل النهار وعند النوم، رقم: (٢٧٢٧-عبد الباقي).

(٥) قوله: «وفي رواية: عند كل صلاة ومنامك، فذلك خير من خادم» سقط من (ب).

(٦) في (ك): فآوانا.

(٧) سقط من (ب).

(٨) سبق تخريجه.

[الصلاةُ على النبي ﷺ]:

ولا يُغفل الصلاة على النبي ﷺ، ولو مرَّة واحدة في اليوم والليلة، سوى صلواته في صلاته[١]، ولا يقل: صلَّى الله على محمد، وليقل كمَّا علَّمه جبريل له[٢] وعلَّمه لنا[٣]: «اللهم صَلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صلَّيت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٤].

صفةُ الصَّلاة:

قد تقدَّم ذِكْرُنا لها في اسم «المُصَلِّي»[٥]، فإذا كان من المُتَبَتِّلِينَ فليقل إذا كبَّر قبل أن يقرأ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نَقِّني من الخطايا كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبَرَد، وجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحيايْ ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي

---

(١) قوله: «في صلاته» سقط من (ك).

(٢) سقط من (ك).

(٣) في (ك): له.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي حُمَيد السَّاعدي رضي الله عنه: كتاب قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، (١/٢٢٦)، رقم: (٤٥٨-المجلس العلمي الأعلى).

(٥) في السفر الثاني.

جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي[١] لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عني سَيِّئَها، لا يصرف عني/ سَيِّئَها إلَّا أنت، لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، إنَّا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[٢]. ٢ [١٧٦/أ]

وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومُخِّي، وعظمي، وعَصَبي»[٣].

فإذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللهم ربنا ولك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، وكُلُّنا لك عبد، وأنت أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد»[٤].

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشَقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين»[٥].

وإذا رفع رأسه بين السجدتين قال: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني»[٦].

---

(١) في (ب): يهدني.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «أمَّا الركوع فعَظِّمُوا فيه الرب، وأمَّا السجود فاجتهدوا فيه[1] في الدعاء، فإنه قَمِنٌ أن يستجاب لكم»[2]، فالروايتان صحيحتان.

فقُلْ في ركوعك: سبحان ربي الأعلى، وسبحان ربي العظيم وبحمده، وإن شئت قُلْتَها في سجودك، فكُلٌّ رُوِيَ.

وتَشَهَّدْ وصَلِّ على النبي ﷺ كما علَّم، ولا تزد عليه شيئًا، ثم ادْعُ بما شئت، قال النبي ﷺ - وليكن من أوَّل ما تقول -: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال»، ثم ادع بعد ذلك بما شئت.

وتُطَوِّلُ في الصبح والظهر بالقراءة، وتتوسَّط في العصر والعشاء، ولتُخَفِّفْ في المغرب، فهذا كله صحيح.

[الوصاةُ بالأحاديث الصحاح]:

وقد عَهِدْنَا إليكم ألَّا تشتغلوا من الذِّكْرِ والدعاء إلَّا بما في «الموطأ» و«البخاري» و«مسلم»، فهو اللُّباب، وبه يستفتح الباب، ويستمنح اللباب، فإن تجاوزتم ذلك فـ«أبو داود» و«الترمذي» و«النسائي»، ولا زيادة لمن أراد لزوم الإرادة، والقيام بحق العبادة.

[إسنادٌ]:

فإن كان سوى هذا من حديث؛ فليكن كما أخبرنا أبو بكر بن طَرخان: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن فتُّوح: أنا أبو الغنائم القاضي

---

(١) سقط من (ب).

(٢) سبق تخريجه.

محمد بن علي بن علي قراءة: أخبرنا أبو العباس العمري[١] إجازة: أنا أبو الحسن[٢] علي بن أحمد الهاشمي: نا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العِجْلي: حدَّثنا أبي أحمد: حدَّثني أبي عبد الله ٢
قال: قال عمرو بن قيس: «وجدنا/ أنفع الحديث لنا ما نفعنا في أمر آخرتنا؛ [١٧٦/ب]
من قال كذا فله كذا»[٣].

[إنشادٌ]:

وسمعتُ أبا بكر الطرطوشي قال: سمعتُ القاضي أبا العباس الجرجاني بالبصرة يقول: وصل إلينا فَتًى من أهل الأندلس يُعْرَفُ بأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، فأنشدني[٤] لنفسه:

إذا كنتُ أعلم عِلْمًا يقينًا ... بأنَّ جميع حياتي كساعهْ
فلِمْ لا أكون ضنينًا بها ... وأجعلها في صلاح وطاعهْ[٥]

وأنشدني أبو بكر محمد[٦] بن طَرخان قال: أنشدني أبو عبد الله الحُمَيدي لنفسه:

---

(١) ضبطه هنا القاضي بالمهملة، وضبطه ابن فتُّوح في جذوة المقتبس بالمعجمة: الغَمْرِي، فكأنه لم يرتض صنيع ابن فتوح، والخبر بإسناده في الجذوة: (ص٥٣٥).

(٢) في (ص): الحُسَين.

(٣) جذوة المقتبس: (ص٥٣٥).

(٤) في (ك): فأنشد.

(٥) البيتان من المتقارب، وهما للفقيه الإمام أبي الوليد الباجي؛ كما في ترجمته من معجم الأدباء: (١٣٨٩/٣)، وفي نفح الطيب: (٧٤/٢).

(٦) لم يرد في (ك).

لقاءُ الناس ليس يفيد شيئًا سوى الهذيان من قِيلٍ وقَالِ
فأَقْلِلْ من لقاء الناس إلَّا لأخذ العلم أو إصلاح[١] حَالِ[٢]

[شرائطُ التبتل في الأمصار]:

ولو كان المال الذي في الأرض اليوم حلالًا، والناس خُلصانًا، والوُلاة على الخير أعوانًا؛ لكان التبتل في الأمصار مُمْكِنًا، ولكن عُدِمَ الثلاث، فلم يمكن للمتبتل بها لَبَاث.

وقد بيَّنَّا لكم في غير موطن[٣] وإملاء أنَّ من أراد الدنيا فعليه ببغداذ، ومن أراد الآخرة فعليه بمكَّة، ومن اجتهد في وطنه فإن الله كما وعد عنه رسوله؛ لن يَتِرَه شيئًا من عمله.

وإذا كان على هذه الصفات كان «بَدَلًا».

* * * * *

---

(١) في (ك) و(ص): لصلاح.

(٢) من الوافر، وهما لأبي عبد الله الحُميدي الأندلسي، كما في ترجمته في معجم الأدباء: (٦/٢٦٠٠)، وفي وفيات الأعيان: (٤/٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/١١٤).

(٣) في (ك): موضع، وفي (ص): في غير ما إملاء.

البَدَلُ[١]: وهو الاسمُ [الخامس] والعشرون ومائة[٢]

والأبدالُ في هذه الأمة كثير، وهو[٣] اسم مُحْدَثٌ، لم يكن في الصَّحابة، ويُروى فيه أحاديثُ عن النبي ﷺ لا أصل لها[٤].

ويعنون بالبَدَلِ أنه يكون خليفة عن النبي ﷺ وعِوَضًا منه في القيام بالدِّينِ؛ يستغني عن الطعام والشراب كما يستغني عن الأصحاب، فقد روى أحمد وابن المبارك وهنَّاد بن السَّرِي في ذلك أخبارًا كثيرة[٥].

---

(١) سقط من (ك) و(ص).

(٢) في (ك): الثاني والعشرون، وفي (ص): السَّادس عشر، وفي (ب): الخامس عشر.

(٣) في (ص): هم.

(٤) منها: ما أخرجه أبو داود في السنن عن أم سلمة ﵂: أول كتاب المهدي، رقم: (٤٢٨٦-شعيب)، ولفظه فيه: «فإذا رأى الناسُ ذلك أتاه أبدالُ الشام وعصائب أهل العراق»، وهو إسناد ضعيف، لجهالة من روى عن أم سلمة، ومنها: ما أخرجه الإمام أحمد في المسند عن علي ﵁: (٢٣١/٢)، رقم: (٨٩٦-شعيب)، ولفظه فيه: «الأبدالُ يكونون بالشام، وهم أربعون رجلًا، كلَّما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلًا؛ يُسقى بهم الغيث، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب»، وأخرجه الإمام أحمد -أيضًا- عن عبادة بن الصامت ﵁: (٤١٣/٣٧)، رقم: (٢٢٧٥١-شعيب)، ولفظه فيه: «الأبدالُ في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلًا».

(٥) أي: ما ورد في كتبهم المصنفة في الزهد من أخبار التقلل من الطعام والاكتفاء =

وجاء عن أبي ذَرٍّ أنه اكتفى بماء[١] زمزم أربعين ليلة[٢].

فإن قيل: تلك[٣] بَرَكَةُ النبي ﷺ؟

قلنا: بَرَكَتُه لم تنقطع بموته، ولا بَطَلَتْ نُبُوَّتُه بوفاته[٤]؛ بل النبوة باقية، والحُرْمَةُ باقية[٥]، والبركة باقية، يُفِيضها الله على من يشاء من خَلْقِه.

٢ [١٧٧/أ]

فإن أردت أن تعلم ذلك[٦] فاقرأ هذه الكتب التي عيَّنتُ/ لك تسمع عجائب، أو هَاجِرْ إلى الفضلاء، وارحل إلى بلاد الخير ترى بدائع، فيجتمع لك ممَّا تقرأ من الروايات وما ترى من ذلك عجائب في الكرامات المُعَرِّفَةِ بالدِّين، والتحلِّي بحِلْيَةِ العابدين.

وليتكم - يا معشر المريدين - قمتم بالظواهر من الأعمال، ورَعَيْتُم[٧] الصريح من الأقوال، وشَرَعْتُمْ في الاجتهاد في ذلك والاعتمال، فطوبى لكم لو فعلتم ذلك وحُسْنَ مَآبٍ.

= باليسير منه، وقد تقدَّم كثيرٌ منه في أسفار الكتاب السَّابقة، وبعضه في السِّفْرِ الأوَّل؛ المقام الأوَّل.

(١) في (ك): ببئر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، رقم: (٢٤٧٣-عبد الباقي)، وفيه: «ثلاثين؛ بين ليلة ويوم».

(٣) سقطت من (ك).

(٤) في (ص): لوفاته.

(٥) قوله: «والحرمة باقية» سقط من (ك).

(٦) في (ص): هذا.

(٧) في (ص): وعيتم.

[خاتمة]:

قال الإمام الحافظ[١] ﷺ: انتهى القَوْلُ في أسماء العَبِيدِ الذين مدحهم الله في كتابه، وأثنى عليهم على لسان رسوله، وحسَّنها لهم برضاه ورحمته، وخلقها فيهم بموهبته ونعمته، بما حضر في الذِّكْرِ من متعلَّقات آيات الكتاب بها[٢]، وحديث النبي ﷺ الصحيح فيها، المتناولة لِعِلْمِ التذكير؛ «القسم الرابع من[٣] علوم القرآن».

ومَنْ جَمَعَ هذه الأسماء المخلوقة على درجاتها مع الأسماء الإلَهية المُوَضَّحَةِ في كتاب «الأمد الأقصى» بمتعلَّقاتها؛ فإنه يكون عارفًا بنفسه، عالمًا بِرَبِّه، فتصحُّ له الإرادة، وتحصل[٤] له كما ينبغي أهلية العبادة[٥].

وأنا أَحْمَدُ الله على ما يسَّر من ذلك، مع توارُد الموانع، وازدحام القواطع، وتضافُر[٦] الصَّادف والمانع[٧]، وكثرة الضار وقلة[٨] النافع، وأعوذ

---

(١) في (ك): قال الإمام الحافظ أبو بكر، وفي (ص): قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

(٢) سقط من (ص).

(٣) في (ك): في.

(٤) في (ص): فتصح.

(٥) في (ب): فتصح له أهلية العبادة، وتحصل له كما ينبغي الإرادة.

(٦) في (ك) و(ص): تظافر.

(٧) في (ك): القانع.

(٨) سقط من (ص).

بالله من أن أَدْعُوَ إليه وأَفِرَّ عنه، وأُذَكِّرَ به وأنساه، ويرزقني وأعبد سواه، وأسأله المعافاة مما[١] يضطر إلى تقصير في حقه، والعصمة من أن يجعلني عِبْرَةً لخَلْقِه، وأن[٢] يُوزِعَني الشكر على ما كفاني وآواني، ولا يجعل أحدًا أسعد منِّي بما آتاني، وأَمُدُّ إليه يَدَ الرغبة -عَنِّي وعنكم- في بَذْلِ غُفرانه، وإحلال رِضوانه، وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله رَبِّ العالمين، والسَّلَامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه[٣].

---

(١) في (ك): بما.

(٢) سقط من (ب) و(ص).

(٣) نَجَزَ «سراج المريدين»، والحمد لله رب العالمين.

آخِرُ السِّفْرِ الرابع من كتاب «سراج المريدين في سبيل الدين» للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ﷺ، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووثَّق نقوله وترجم لأعلامه وصنع فهارسه وقدَّم له الدكتور عبد الله بن عبد السَّلام بن عبد الله بن محمد بن التِّهامي المصمودي التَّوْرَاتي القَصْرِي، عفا الله عنه وعن آبائه، وذلك في شهر الله المحرَّم من عام ١٤٣٨هـ، بتِطَّاوْن - حرسها الله تعالى - قاعدة شمال المغرب الأقصى، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد، وعلى صحابته وقرابته، ومن تبعهم من الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات